ابو الطيب المتنبي

حياته وشعره

مكتبة النهضة - بغداد

فيسبوك/مكتب كتب كتب

فيسبوك/الكتب كتب كتب

فيسبوك/الكتب. كتب كتب

أبو الطيب المتنبي

حياته وشعره

مكتبة النهضة ـ بغداد

فيسبوك/الكتب كتب كتب

فيسبوك/الكتب كتب كتب

أبو الطيب المتنبي

حياته وشعره

شخصية المتنبّي في شعره

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« . . فهو حيث قلبت من حكمته او فخره او غزله او رثائه ، هو هو المعتد بفضله ، الفاشل في امله ، الساخط على زمنه . . »

شخصية المتنبي التي نعرفها في شعره هي شخصيته التي نعرفها من تاريخه وتاريخ عصره

وقد كان عصره عصر مغامرات ودعاوى سياسية ودعاوى دينية وخصومات مذهبية وشكوك جاءت من التفكير والاطلاع ، وشكوك جاءت من اللجاجة في المناقشة والحوار . وكان أناس من طلاب المناصب يرتقون في ذلك العصر كما ارتقوا في العصور التي قبله إلى مناصب الوزارة وليست لهم من شفاعة في الظاهر غير شفاعة الكتابة والأدب . فكان في العصر ما يغري الأديب المغامر بالتطلع إلى جاه الدنيا من طريق المغامرة ، ومن طريق البراعة الأدبية . وكان المتنبي رجلا لا يعوزه الاعتداد بالنفس ولا الطمع في الجاه ولا ملكة البلاغة والقدرة على المنظوم والمنثور مع شيء من الفروسية كما ثبت من مجمل تاريخه ومجمل كلامه . فالشعر الذي نقرأه في الديوان لا يستغرب من الشاعر الذي نظمه ولا من الرجل الذي علمنا بسيرته من أنباء الراوين عنه ، و « شخصيته » ماثلة هنا وهناك على صورة واحدة جلية متفقة لا تعقيد فيها ولا تنافر بين القول والحقيقة

وقد غلبت هذه الشخصية حتى لا تشابه بينها و بين شاعر آخر في باب من الأبواب ولو تشابه العنوان والموضوع

فالمتنبي متشائم ، والمعري متشائم ، ولكن الفرق بين المذهبين في التشاؤم كالفرق بين شخص المتنبي وشخص المعري في المزاج والخليقة والمطلب ، وهو دليل على صدق الشخصية الشعرية عند كل من الشاعرين الكبيرين

فالمعري متشائم لأنه حكيم يتدبر أحوال الخلق ويرثي لما هم فيه من الجهالة والشقاء لغير مأرب يريده إلا التأمل والحكمة

والمتنبي متشائم لأنهُ صاحب رجاء خاب في الناس على غير انتظار ، ولو لم يخب هذا الرجاء لما كان من المتشائمين

والمعري ينظر الى الناس في جميع الازمان والاجيال لانه يطلب المعرفة والعلم بالنفس الانسانية

والمتنبي ينظر الى الناس في عصره ولا يعمم الحكم على الناس جميعاً إلا لما أصابه من زمانه وأهل زمانه، وذلك هو الفرق بين من يدرس الانسان لتحقيق بحث ومن يدرس الانسان لتحقيق أمل، أو ذلك هو الفرق بين الحكيمين المتشائمين والمذهبين المتباعدين جد التباعد على تقارب الكلمات والأسماء.

ولهذا يقول المعرى :

كم وعظ الواعظون منا وقام في الأرض أنبياء
وانصرفوا والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء
حكم جرى للمليك فينا ونحن «فى الاصل» أغبياء

أى نحن « بني الانسان » أجمعين، وهو منهم، كما صرح في موضع آخر حيث قال

كلاب تفاوت أو تعاوت لجيفة وأحسبنى أصبحت ألأمها كلبا

أو قال :

بني الدهر مهلا ان ذممت فعالكم فاني بنفسي لا بحالة ابدأ

أما المتنبي فمعظم تشاؤمه ـ بل تشاؤمه كله في جوهره ـ من قبيل قوله :

أود من الأيام ما لا توده وأشكو اليها بيننا وهى جنده

أو من قبيل قوله :

أريد من زمني «ذا» أن يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

أو قوله :

وانما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن
حولى بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت فى استفهامها بمن
لا أقترى بلداً إلا على غرر ولا أمر بخلق غير مضطغن
ولا اعاشر من أملاكهم ملكا إلا أحق بضرب الرأس من وثن
إني لأعذرهم مما أعنفهم حتى أعنف نفسى فيهم، وأنى

أو قوله

وقت يضيع وعمر ليت مدته في غير أمته من سالف الامم

أتى الزمان بنـوه في شـبيبته فسرهم وأتينـاه على الهرم

أو قوله :

ومن عرف « الايام » معرفتي بها و بالناس روى رمحه غير راحم

فهو يتشاءم لعلة عارضة وهى أن زمانه وأهل زمانه لا ينيلونه ما ينشده من الجاه . ومن هنا كان الذنب عنده ذنب جيله ولا شأن له فيه أما المعري فكان أصيلا في تشاؤمه لايعيب أبناء جيله خاصة إلا لأنهم جزء من الناس أجمعين منذ كان آدم الى أبد الآبدين . ولعل المتنبي لو نظر الى الانسان هذه النظرة لخرج من التشاؤم الى التفاؤل ، لأن رجاءه أن ينـال على أيديهم ما ناله أمثاله ومن هم دونه في اعتقاده ، دليل على أنه يرى الشأن فيهم أن يعدلوا و يعترفوا بالفضل و يعطوا ذا الحق حقه ، ولو كان متشائماً بطبعه لما عجب لفساد طباعهم وحاجة المرء بينهم الى الدس والخداع والحيلة و إرضاء اللبانات والشهوات ، وما من رجل يعتقد أنه صاحب حق و يعجب لفواته إلا وهو أقرب الى التفاؤل منه الى التشاؤم

* * *

وهذه الشخصية ظاهرة في شعر المتنبى كله ظهورها في حكمته وتشاؤمه ، ونعني بها شخصية الطامع المغامر المعتد بنفسه : فهو يتغزل كما يفخر و يصف كما يشكو أو يتهكم ، وأعجب من هذا أنه يمدح أبطاله على هذا النحو ، فيقول وهو فى معرض العتاب والاسترضاء لسيف الدولة :

سـيعلم الجمع ممن ضم مجلسـنا بأننى خير من تسعى به قدم

أنا الذى نظر الاعمى الى أدبي وأسمعت كلماتى من به صمم

الى ان يقول :

الخيـل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

والعادة فى المدح ـ بله الاسترضاء ـ ان يتضاءل المادح ليرفع من قدر الممدوح ، ولـكن « لكل امرىء من دهره ما تعود » كما قال

ويرى بعض الناقدين تناقضا بين طموح المتنبي وتعاظمه و بين طلب النوال من الامراء والبخل الشديد الذى شاع عنه ، ولا تناقض بين الحالتين كما قد يلوح لنا الآن ، لأن نوال الامراء كان حقاً للشاعر في ذلك العصر لولاه لما استطاع الشعراء الحياة ، ومع هـذا لم يكن المتنبي يبتذل حقه في مواقف المدح ولم ينزل الى مدح كل طامع في قصيده ، ولا رضى لنفسه مع الذين ارتضاهم لمديحه مقاماً دون مقام الحفاوة والكرامة ، فينشدهم الشـعر وهو جالس أو

يقف لديهم وقفة التجلة والمهابة . ومنهم من كان ينخلى له عن مكانه ويجلس بين يديه في مقام المادح من الممدوح ، ومع هذا وذاك لم ينس غضاضة النوال ولم يسكن الى دوام هذه الحال ، لأنه يريد أن يكون مشكوراً لا شاكرا ذوى الدسوت والأموال :

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص على هبة فالفضل فيمن له الشكر

ولا يغيبن عنا أن الانسان لن ينكر على نفسه طلب الجاه اذا علم فيها عيباً من العيوب ، لانه يحابيها ويلتمس لها المعاذير ولا يحاسبها كما يحاسبها خصم أو أصدقاؤه . فاذا فرضنا أن المتنبي كان بخيلا فليس من اللازم أن يعترف بالبخل على نفسه ، واذا فرضنا أنه اعترف عليها بهذه الخلة فليس من اللازم أن يلومها ولا يجتهد في محل أعذارها ، واذا فرضنا أنه لامها فليس من اللازم ولا من المعقول أن يعاديها ولا يتمنى لها ما يتمناه المحب لحبيبه فضلا عن نفسه ، ولا سيما حين يقارن بينه وبين من بلغوا المجد والامارة ، فيرى فيهم عيوباً شراً من عيوبه . وقد يتخذ الرجل من الطموح الى المجد عذرا لاقتناء المال كما قال :

ولا ينحلل في المجد مالك كله فينحل مجد كان بالمال عقده

فالبخل والفخر لا يتناقضان ، بل لا يتناقض البخل وعلو الهمة والمغامرة لما هو معروف من اشتهار كثير من عظماء الدول بالتقتير الشديد الذى يخرج عن حد التدبير ، وأن حيلة النفوس في تمليق أصحابها لتجعل العظمة عذرا للنقيصة وتسوغ البخل كأنه ضرورة لا محيص عنها لنجاح المغامر الطموح فيما يتمناه

* * *

ولقد سرت شخصية المتنبي فى ألفاظه وعباراته فضلا عن افكاره ومعانيه . فالولع بالتصغير الذي لوحظ عليه هو عندنا من لوازم مزاجه المتكبر المغيظ من فوات رجائه ، وا كثر ما يصغر المتنبي ـ كما لاحظنا فى بعض فصولنا ـ حين يهجو مغيظا أو يستخف متعاليا كما قال فى كافور :

أولى اللئام « كويفير » بمعذرة في كل لؤم وبعض العذر تفنيد

أو كما قال فيه

نوبية لم تدر أب بنيها النو بي دون الله يعبد فى مصرا

أو كما قال في الشعراء الذين يزاحمونه

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول

وكل تصغيره من هذا القبيل هو تصغير من يضيق صبره بالسخط والانفة والكبرياء فيعاف أن يذكر الأشياء والناس إلا بأهون ما يستطيع في صيغة لفظه بعد التهوين فى مدلول هجائه ومعناه

* * *

ولولا أننا لا نريد أن نكرر ما أسلفناه فى غير هذا المقال لاكثرنا من الشواهد على المطابقة بين شخصيته وكلامه من غزله ووصفه وأمثاله ، ولكن الاشارة هنا تغني في المراجعة ، وما على القارىء إلا أن يتناول ديوان المتنبي ويفتحه على ما شاء من صفحة أو بيت فلن يجد بيتاً واحداً يستغرب به من تلك الشخصية كما عرفناها في تاريخه وفي جملة كلامه ، فهو حيث قلبت من حكمته أو فخره أو غزله أو رثائه هو هو المغامر المعتد بفضله الفاشل في أمله الساخط على زمنه الذى لا ينسى شأنه، حتى حين يعزى المحزون فى مصابه . وما ظنك برجل يعزى محزوناً في فقيد فيقول له :

لا يحزن الله الأمير فانني لآخذ من حالاته بنصيب

بل ما ظنك برجل ينطق حصانه كما قال :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصى وعلمكم مفارقة الجنان

لكأنما كان حصان المتنبي حصاناً متنبياً يخاطب أبناء آدم مدلا بالحيوانية ناظراً اليهم نظرة الحكيم الى الحمقى والعليم الى الجهلاء ؟

أفيستطيع هذا الرجل أن ينسى نفسه أو يخفى « شخصيته » أو يكون غير ما كان أو يقول غير ما قال ؟

إن الناقدين لا يوجبون على الشاعر أن يكون انساناً خيرا مما هو لتتم له ملكة الشاعرية ولكنهم يوجبون عليه أن يكون شعره ترجمان « انسانه » وصورة حياته ، وهكذا كان المتنبي الشاعر حيث عمل وحيث قال . فاحبب ما شئت من خلائقه وابغض ما شئت منها ولكن بعد أن تلقى ميزان الشعر وتأخذ بميزان الشريعة أو ميزان يوم القيامة !

عباس محمود العقاد

فيسبوك الكتاب كتب كتب

بعد ألف عام

سر الاحتفال بالمتنبي

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

يعنى عالم اللغة العربية هذا العام باقامة حفلات لمناسبة انقضاء الف عام على وفاة أبي الطيب احمد بن الحسين المتنبي . أقيمت أولى هذه الحفلات بدار الجامعة الأمريكية ببيروت في اليوم الثانى من شهر يونيو سنة ١٩٣٥ بناء على دعوة جمعية العروة الوثقى بالجامعة المذكورة . وهذه الجمعية تضم الشباب الذى يتكلم العربية من المنتسبين الى الجامعة المذكورة . وينتظر أن تقام حفلات لهذه المناسبة بحلب في أغسطس سنة ١٩٣٥ . وطبيعى أن تذكر حلب الشاعر الذى خلد ذكرها وخلد أميرها سيف الدولة بمدائحه العظيمة . وربما أقيمت حفلة أخرى ببغداد وحفلة رابعة بالقاهرة . فقد أقام المتنبي بمصر زمناً مدح فيه كافوراً الاخشيدى طمعاً فى أن يوليه ولاية يجلس على عرشها مجلس سيف الدولة على عرش حلب . وانقلب المتنبي عن مصر حين أخلفه كافور وعده فذهب إلى بغداد ثم إلى شيراز حيث مدح عضد الدولة . فلا عجب أن أقامت مصر و بغداد حفلات كالتى أقامتها بيروت والتي تقيمها حلب تذكر بهذا الشاعر العربي الذى ملأ الدنيا دوياً منذ حياته . ولا عجب أن يتحدث أبناء اللغة العربية عن شاعر ترك للغة العربية ميراثاً عظيماً

على أن من حق كل إنسان أن يسأل : أفتقام حفلات المتنبي هذه في الشام والعراق ومصر تقديراً للاثر الشعرى الذى تركه المتنبي في الحياة ؟ أم هى تقام تقليداً للحفلات التى أقيمت لمناسبة انقضاء

وهل تقام حفلات المتنبي هذه إعجاباً بشعر المتنبي وفنه فيه ؟ أم تدفع إلى إقامتها اعتبارات ليس الفن وليس الشعر أقواها في حفز النفوس إلى إقامتها ؟ وما هي هذه الدوافع التى تجد فى شعر المتنبي ما يشجعها على الظهور للاحتفاء بشاعر من شعراء العربية اتصلت الخصومة فى شأن شعره ومبلغ مايسمو اليه من مراقي الفن ومايهبط اليه من دركاته منذ حياته إلى عصرنا الحاضر

بيننا من شعراء العربية من انقضى على وفاتهم أكثر من الف عام فلم يفكر أحد في الاحتفاء بهم مع أن ما خلفوا من التراث الشعرى لا يقل روعة وجلالا عما خلف المتنبي ؟

أما أن الاحتفال بانقضاء الف عام على المتنبي إنما هو مجرد تقليد للاحتفال بالفردوسى فذلك مالا يصدقه الواقع . فالتفكير فى المتنبي والاحتفال بانقضاء الف سنة على وفاته تفكير قديم يرجع الى عدة أعوام . والاحتفال بانقضاء الف عام على منشئات أو رجال تركوا على الزمان أثراً ، هو اليوم بعض ما يجول بالخواطر . وها نحن أولاء عما قريب سنشهد الاحتفال باليوبيل الالفى للازهر. وسواء أكانت هذه الفكرة قد نبتت أول ما نبتت للاحتفال بالازهر أو بالمتنبي أو بالفردوسى فهى فكرة طبيعية أجدر بأن تساور النفوس من الاحتفاء باليوبيل الفضى أو باليوبيل الذهبي لحى من الاحياء أو عمل من الاعمال ، وأجدر بأن تساور النفوس من الاحتفال بانقضاء مائة عام على مولد عظيم من العظماء أو على وفاته. فالعظيم الذى صمدت عظمته للزمان الف سنة تباعاً جدير حقاً بأن يذكر و بأن تخلد ذكراه . وهو كذلك ماسست هذه الذكرى نفوس الاحياء على نحو يثير فيها عواطف تحدث بها هـذا العظيم وخلدها على الدهر

وهذا هو في رأينا سر الاحتفاء بالمتنبي دون غيره من شعراء العرب الذين انقضى على وفاتهم الف عام. فليس ريب فى أن من هؤلاء الشعراء من يضارع المتنبي قوة ومن يفوقه رقة ومن يعلو فنه على فن المتنبي علواً كبيراً وكثيرون من الضليعين فى الشعر وفنونه يفضلون أبانواس على المتنبي في سمو خياله ورقة تعبيره وحلاوة أسلوبه وعذوبته الموسيقية في شعره . ومن الناس من يفضل ابن الرومى على المتنبي . لكن هؤلاء جميعا لا يعبر شعرهم عما يجول بخواطر الذين يتكلمون بالعربية اليوم كما يعبر عنها المتنبي.هؤلاء يصفون الطبيعة و يصفون الحياة ويصورون متعها و يستشفون حكمتها من خلال هذه المتع . وهذا كله لا يتصل بعاطفة الذين يتكلمون العربية من أبناء اليوم . إنما يتصل بعاطفتهم هذا الالم لفقد حريتهم ولضياع استقلال بلادهم . و يتصل بعاطفتهم هذا الاعتزاز بالنفس اعتزازاً هو السبيل لاقتناص الحرية من جديد ولتحقيق استقلال البلاد العربية المختلفة . ولم يعبر أحد عن هذه المعاني بمثل ما عبر المتنبي من قوة . ولم يكن عصر اضطربت فيه امور البلاد العربية اضطرابا يكاد يشبه ما هو حادث اليوم كعصر المتنبي . فلا غرو أن استفز شعر المتنبي همة الشباب . ولا عجب أن سارع الشباب الذي يتكلم العربية للاحتفاء بذكرى المتنبي بمناسبة انقضاء الف عام على وفاته

وكيف لا يستفز الشباب مثل قوله :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرءوس الرماح أذهب للغيـ ـظ وأشفى لغل صدر الحقود
لا كما قد حييت غير حميد وإذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى ودع الذ ل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يعـ ـجز عن قطع بخنق المولود
ويوقى الفتى المخش وقد خو ض في ماء لبة الصنديد

وكيف لا يستفز الشباب في وقتنا الحاضر قوله :

من أطاق التماس شيء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا

وهذا المعنى كثير الورود في شعر أبي الطيب . ويقترن به من تصوير البطولة وحب الاستشهاد في سبيل العزة والكرامة ما يهز عواطف هؤلاء الذين تفتحت عيونهم على الحياة فألفوا بلادهم مهيضة الجناح خاضعة للنير الاجنبي خضوعا يسلبها عزتها وكرامتها . والشباب ولوع بالقول الفخم وما يدل عليه من طموح الى العلياء ،وهو أشد بالقول الفخم ولوعا كلما حالت الحوائل بينه و بين العمل الايجابى المثمر الذى يحقق غاياته . فهو يجد في هذا القول عزاء عن حرمانه من أسباب العزة والانفة ، وحافزاً الى التماس هذه الاسباب ومذكراً بها . والذكرى نافعة أبدا . وكلما بعدت هذه الذكرى في أطواء الماضى كانت افعل في النفوس أثرا . فاذا تغنى أجدادنا من الف سنة بمعنى من المعاني وقصرنا نحن دون إدراكه فعار علينا إذا لم نحمل على انفسنا ولم نبذل غاية جهدنا لتحقيقه . فان بلغنا الغاية من قصدنا فذاك . وان لم نبلغها فلنا من العذر أن حالت الاقدار بيننا و بين ما نريد

هذا هو الدافع الاقوى لاحتفاء ابناء العربية اليوم بمرور الف عام على وفاة المتنبى ، وهو كما ترى حافز نبيل غاية النبل . ويتصل به حافز من نوعه ليس أقل منه نبلا فقد نسيت هذه البلاد التى تتكلم العربية في عصورها الاخيرة تراثها العظيم واتجهت بكل جهودها الى ناحية الغرب تلتمس منه أسباب الرقى من العلم والادب والفن . و بلغت من ذلك حتى خيل الى أبنائها أن ما كان لها من علم وأدب وفن لم يعد صالحا للحياة فى هذا العصر ، بل لم يعد صالحا لان يكون أساس بعث واحياء كما كانت الآداب اليونانية والفلسفة اليونانية أساس

البعث والاحياء في الغرب من اربعة قرون خلت. فاذا كان شاعرنا المتنبي لا يقف عند الاشادة بمبادىء العزة والكرامة والحرية بل يضرب بيده في أحشاء الحياة يلتمس حكمتها فتخرج يده مملوءة من حكمة الحياة الخالدة التي لا تفنى وان تقادمت الدهور، كان ذلك دليلا على ان لنا من هذا التراث العظيم في الفن والادب ما ينهض أساساً لبعث البلاد العربية كي تقف جنبا الى جنب مع الغرب دون أن تكون عالة عليه مقلدة إياه فيما يشعر من فن وعلم وأدب. والحق أن المتنبي قد غاص في لج بحر الحياة فاستخرج منه درر الحكمة الخالدة التي لا تبلى. وهو قد جلا هذه الحكمة في فن قوى غاية القوة. استمع اليه إذ يقول:

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وإذ يقول:

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول

وإذ يقول:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وغير هذه من الحكم التي جرت مجرى الامثال كثير جمعه الذين درسوا أبا الطيب وشعره والناس مشوقون للحكمة يلتمسونها في الامثال وفي الشعر وفي كل كلام جميل حسن المدخل الى النفس. فالحكمة رحيق تجاريب الأجيال والميراث الذي يخلفه الناس بعضهم لبعض جيلا بعد جيل

واعتبار ثالث قام بنفس كثيرين ممن احتفوا بأبي الطيب ذلك الاعتبار هو الفكرة العربية في صورتها المقبولة الممكنة. فالفكرة العربية تجول بخواطر البعض على أنها الوحدة السياسية للذين يتكلمون اللغة العربية، والذين كانوا الى ما قبل الحرب يستظلون بعلم الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية. والوحدة السياسية لطائفة من الامم تجمعها جامعة ليست بدعاً مثلها مثل الوحدة السياسية للأمم المتجاورة تجمعها جامعة الجنس أو الدين. على أن هذه الوحدة غير ميسورة في ظروف العالم اليوم. ولا يدرى أحد إن أمكن تحقيقها في الاجيال القريبة. لكن جامعة اللغة تخلق من غير شك اتصالا في الثقافة قد يصل مع الزمن الى وحدة هذه الثقافة. وهو من غير شك يقرب بين الامم التي تتكلم اللغة الواحدة ويقوى

عناصر الثقافة المشتركة بينها بتشابك العناصر التي تشترك في إحياء هذه الثقافة وفي توجيهها والاضافة اليها إضافة تصل بين ماضيها وحاضرها بأوثق الصلات

ولقد بدا هذا الاعتبار الثالث واضحاً أشد الوضوح في الاحتفال الالفي الذي أقامته جميعة العروة الوثقى بالجامعة الأمريكية للمتنبي . كانت العربية والعروبة انشودة ذلك المجتمع والاغنية الجارية فيه على كل لسان . ولا عجب والفكرة العربية تتحرك اليوم في نفوس أبناء سوريا ولبنان وفلسطين بأقوى مما تتحرك في نفوس غيرهم من الناحية السياسية . ولا عجب والاحياء للتراث العربي فكرة تجول بخواطر الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً فيما عدا أولئك الذين يريدون أن ينفلوا ماضيهم وان يقلدوا الغرب وحضارته وفنونه وآدابه تقليدا ينسي أبناء هذه الامم أنها ذات ماض مجيد وأنها أظلت العالم بحضارتها عصورا مديدة ، و بخير مما تظل حضارة أوربا العالم اليوم به . هؤلاء لا رجاء في نجاح فكرتهم وان استندت الى القوى الحاكمة في الشرق اليوم . ومهما يكن الاتصال بين أمم العالم أمرا محتوما لا مفر منه ، حتى لا معدى للشرق اليوم ان يأخذ كثيرا عن الغرب ، فالاتصال بين ماضي الامم وحاضرها أمر محتوم هو الآخر لا مفر منه وذلك هو ما جعل الاحتفاء بالمتنبي وما يجعل كل عمل يقصد به الى احياء ماضينا على أيّة صورة من صوَر الاحياء يقابل بالاكبار والتأييد

محمد حسين هيكل

---

* لما جاء ابن جني في شرحه ديوان أبي الطيب الى قوله في ممدوحه :

قد شرف الله أرضا انت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا

قال : لا يعجبني قوله سواك لانه لا يليق بشرف الفاظه . ولو قال « أنشاك » لكان أليق . قال العروضي : سبحان الله أتليق هذه اللفظة بشرف القرآن ، ولا تليق بلفظ المتنبي ؟ قال تعالى : « الذي خلق فسوى » وقال : « فسواك فعدلك » وقال : « ثم سواك رجلا » . قال ابن فرجة : « قرأت على أبي العلاء ، ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب . فقلت له يوما في كلة : ما ضر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلة أخرى اوردتها ، فأبان لي عوارها . ثم قال : « لا تظن انك تقدر على ابدال كلة واحدة من شعره بما هو خير منها فجرب ان كنت مرتاباً . وهأنذا أجرب ذلك منذ زمن فلم اعثر بكلمة لو ابدلتهـا باخرى كانت اليق بمكانها . وليجرب من لم يصدق بعد الامر على كما أقول » ا . . .

فيسبوك/الكتب كتب كتب

في ذكرى المتنبي

من شاعر الى شاعر

بقلم الاستاذ احمد محرم

أنظر إلى الدُّنيا عَليك رفوف ... واسمعْ شعوبك فى الممالك تهتف
ضجُّوا بذكرك ، فالقياصر خشَّعٌ ... بين المواكب ، والأرائك رجَّف
تقف العواصف دون عرشك ركَّداً ... والدّهر يرْمي بالعروش ويعصف
ويظلُّ تاجك ماله من خاطفٍ ... والنّاس والتّيجان حوْلك تخطف
ملك البيان إليك فوَّضَ أمره ... فاحكم فأنت المالك المتصرّف
تعب الخلود وما تعبت وإنني ... لأرى الخلودَ يضيق عنك ويضعف
أنت ابتدعْتَ الشعر ، ما جدّيده ... مثلٌ يعدُّ ، ولا طرازٌ يعرَف
تلقى على المعْنى المحجَّب نظْرةً ... فإذا الرَّوائع وضَّح تتكشّف
الحكمة الغرّاء حفّ جلالَها ... سورٌ عليهِ من البراعةِ زخرف
والمدح يسْهوى الرجال ، فمحجم ... يلْقى الفوارس ، أو بخيل يسرف
والوَصف تشربه النُّفوس وتنتشى ... منْ حسنه الاشياء ساعة توصف
والفخْر يأنف أن تقسيم بمنزل ... حتى يكون لك المقام الأشْرف
شعر نَظمت به الجمالَ مصوّراً ... والنفس تولع بالجمال وتُشغف
أبقى « لسيف الدَّولة » الشَّرفَ الذى ... تركَ السُّيوفَ مشوقة تتشوف

شرف تخلفَ بعده ، فكأنه باقٍ على طول المدى متخلف
نجّاه من غولِ الفناء ، فهذه دنياهُ موئقةٌ ترف وتنطف
إنزل بساحته ، فتلك عِمارها تجنى بأيدى الراغبينَ وتقطف
الملك أفيح ، والجنود مغيرة والخيل تصهل ، والقواضب ترْعف
والفتح غاد في اللواء ورائح لا أنْتَ تخطئه ، ولا هو يخلف
لمّا رضيت عن « السوّاد » جعلته نوراً يغار النُّور منه فيكسف
ولقد رأيتك غاضباً فاذا الدُّجى متبرِّم بسوادهِ مستنكف
« كافور » من حنق عليك وإحنة يهذى بذكرك ناقماً يتأفف
أوردته العذب الفرات ، فما ارتوى حتى أحاط به الاجاج المتلف
لم ترض يوماً في حياتك موقفاً يعلوه في الدُّنيا لغيرك موقف
« الابيض الطّماح » لم تحفلْ به لما رمى[1] و « الاسود المتعسِّف »
كنت العزيز الحر يكرم نفسه ويعاف منزلة الذليل ويأنف
رمت « الولاية » بالقريض ، وإنه لك في النفوس ولاية ما تصرف
« المضحكات بمصر »[2] حيث رأيتها وأرى « الثعالب »[3] مثل عهدك تزحف
نظمت بدائعك المواكب فخمة ومشت تغنى في البلاد وتعزف
اليوم تنصفك الدُّهور ومالنا غير الدُّهور لدى الحكومة منصب

احمد محرم

---

(١) المراد به سيف الدولة ورميه بالدواة في وجه المتنبي وهو ينشده قصيدته : « واحر قلباه ممن قلبه شبم »

(٢) اشارة الى قوله : « وكم ذا بمصر من المضحكات » البيت

(٣) اشارة الى قوله من قصيدة في كافور : نامت نواطير مصر عن ثعالبها » البيت

فلسفة أبي الطيب

هل كان المتنبي فيلسوفاً ؟

بقلم الاستاذ احمد امين

فيسبوك للكتب كتب

يخطىء من يظن ان لأبي الطيب فلسفة تشمل العالم ، وتحل مشاكل الكون ، فتلك بالفيلسوف أشبه ، وربما قارب هذه المنزلة أبو العلاء لا ابو الطيب ، فان كان ابو العلاء فيلسوفاً يتشاعر فان أبا الطيب شاعر يتفلسف ، انما لأبي الطيب خطرات في الحياة من هنا ومن هنا لا يجمعها جامعة إلا نفس أبي الطيب والمحيط الذي يسبح فيه ويتشرب منه

كذلك يخطىء من ظن أن أبا الطيب عمد الى ما أثر من الحكم عن أفلاطون وأرسطو وأبيقور وأمثالهم من فلاسفة اليونان ، فأخذها ونظمها ، ولم يكن له في ذلك إلا أن حول النثر شعراً ، كما رأى ذلك من تتبعوا سرقات المتنبي وأفرطوا في اتهامه ، فأخذوا يبحثون في كل حكمة نطق بها ويردونها الى قائلها من هؤلاء الفلاسفة . فلسنا نرى هذا الرأي ، فان كان قد وصل الى أبي الطيب قليل من حكم اليونان ونظمها فان اكثر حكمه منبعها نفسه وتجاربه وإلهامه لا الفلسفة اليونانية وحكمها ، ذلك لأن الحكم ليست وقفاً على الفلاسفة ولا على من يحروا في العلوم والمعارف ، انما هي قدر مشاع بين الناس يستطيعها العامة كما يستطيعها الخاصة ، ونحن نرى فيما بيننا ان بعض العامة ومن لم يأخذوا بحظ من علم قد يستطيعون من ضرب الامثال والنطق بالحكم الصائبة ما لا يستطيعه الفيلسوف والعالم المتبحر ، وهذا الذي بين ايدينا من أمثال انما هو من نتاج عامة الشعب اكثر مما هو من نتاج الفلاسفة . وكلنا رأى بعض عجائز النساء ممن لم تقرأ في كتاب أو تخط بيمينها حرفاً تنطق بالحكمة تلو الحكمة ، فيقف أمامها الفيلسوف حائراً دهشاً يعجز عن مثلها ويحار في تفسيرها ، ومرجع ذلك الى ينبوعين وهما التجربة والالهام ، فاذا اجتمعا في امرىء تفجرت منه الحكمة ولو لم يتعلم ويتفلسف ، فكيف اذا اجتمعا لامرىء كأبي الطيب ملىء قلبه شعوراً وملئت حياته تجارب وكان أمير البيان وملك الفصاحة ؟ فنحن اذا التمسنا له مثالا في حكمه فلسنا نجده في أفلاطون وأرسطو وأبيقور ، وانما نجده في زهير بن أبي سلمى وقد نطق في الجاهلية بالحكم الرائعة مما دلته عليه تجاربه وأوحى اليها إلهامه ، كما نجده في شعر أبي العتاهية وقد ملأ عالمه حكما وأمثالا خالدة على الدهر . وكل ما بين أبي الطيب وهؤلاء الحكماء من فروق يرجع الى أشياء : المحيط الذي يحيط بكل شاعر ، وقدرة نفس الشاعر على تشرب محيطه ، والقدرة البيانية على أداء مشاعره . لقد ألم زهير من الحرب ورأى وبلا

فشعر فيها ونطق بالحكم الرائعة يصف شرورها ومصائبها ، وفشل ابو العتاهية فى الحياة فزهد وملك الزهد عليه نفسه فملأ به ديوانه ، وكان لأبى الطيب موقف غير هذين فاختلفت حكمه عنهما وان نبعت من منبعهما ، كما سنبينه

ودليلنا على ذلك ان أبا الطيب - فيما نعلم - لم يثقف ثقافة فلسفية انما تثقف ثقافة عربية خالصة ، قرأ بعض دواوين الشعراء ولقى كثيراً من علماء الأدب واللغة كالزجاج وابن السراج والأخفش وابن دريد ، وكل هؤلاء لا شأن لهم بالفلسفة ومناحيها

وما لنا ولهذا كله ، فاننا لو رجعنا الى حكمه لوجدناها منطبقة تمام الانطباق على محيطه ونفسه ليس فيها أثر من تقليد ولا شية من تصنع ، فهو ينظم ما يجول فى نفسه وما دلته عليه تجاربه لا ما نقل اليه من حكم غيره إلا فى القليل النادر

ونحن اذا أردنا أن نجمل نفسه ومحيطه قلنا : انه بدأ حياته حياة فتوة وفروسية ، تعرفه الخيل والليل والبيداء ، ويحب الحرب والنزال ، ويشتهى الطعن والقتال . قيل له وهو فى المكتب ما أحسن وفرتك ؟ فقال :

لا تحسن الوفرة (١) حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة يعلها من كل وافى السبال

كما نشأ طموحاً الى أقصى حد فى الطموح ، يعتد بنفسه كل الاعتداد ، ولا يرى له فى الوجود نداً ولا مثيلا . قال فى صباه :

أمط عنك تشبيهى بما وكأنه فما أحد فوقى ولا أحد مثلى

قومه من خير العرب بيتاً ومع هذا يجب أن يعتز قومه به لا أن يعتز هو بقومه وبيته :

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودى
وبهم فخر كل من نطق الضا د وعوذ الجانى وغوث الطريد

الى جانب هذا الاعتزاز بالنفس استصغار للناس ونفوسهم وشؤونهم :

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

امتلأت نفسه بهذه العقيدة حتى فى صباه فوضع لنفسه هذا المنطق الساذج البسيط : « إذا كنت خير الناس فلم لا أكون نبيهم أو على الأقل ملكهم » فبدأ ينفذ برنامجه فى سهولة ويسر ظانا وهو فتى غرير - ان الدنيا تحكم بمثل هذا المنطق البسيط . ولم يعلم بعد ان منطق الدنيا أعقد من هذا بل ان الملك منطق يحكم الدنيا اكثر مما يحكمها المنطق . نعم انه سيلاقى فى هذا شداداً وصعاباً ولكن لا بأس فهو مسلح بكل ما يحتاج اليه ذلك من سلاح :

---

(١) الوفرة الشعر المجتمع على الرأس

أى محل تقى ؟ أى عظيم أتقى ؟
وكل ما خلق اللـــه وما لم يخلق
محتقر فى همتى كشعرة فى مفرقى

ولـكن حوادث الدهر علمته شيئاً فشيئاً ان الزمان اكبر من همته ، وانه لا يكفى أن يكون خير الناس ليكون نبى الناس أو ملك الناس . ومن أجل هذا تدرجت مطامحه وأخذت فى النقصان فقد بدأ يطلب النبوة ، فلما فشل فيها بدأ يطلب الملك فلما فشل فيه بدأ يطلب ولاية أو اقليما فى مصر ففشل فى ذلك ايضاً ، فأخذ يعتب على الزمان ويذمه ويلعنه

بدأ النبوة فقال :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح ، بين اليهود
أناترب الندى ورب القوافى وسمام العدى وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله غريب ، كصالح ، فى ثمود

ثم صدمه الزمان بالأسر والحبس فعدل عن النبوة الى طلب الملك فأخذ فى شعره يحقر ملوك زمانه ويقيسهم بنفسه فلا يرى لهم فضلا عليه وله عليهم كل الفضل .

ويقول :

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم

وإذن فليكن هو ملكا وقد طوف بالبلاد يتلمس السبيل لتحقيق مأربه ونيل مطلبه ويقول فى ذلك تلميحاً لا تصريحا

يقولون لى ما أنت فى كل بلدة وما تبتغى ؟ ما أبتغى جل أن يسمى
اذا قل عزمى عن مدى خوف بعده فأبعد شىء ممكن لم يجد عزما
وإنى لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

ثم رأى ان الزمان لا يسعفه إلى ما طلب ولا يعينه على ما أمل فرحل الى مصر وطلب من كافور أن ينيله ولاية فأغدق عليه ذهبا فقال

وما رغبتى فى عسجد أستفيده ولـكنها فى مفخر أستجده

وقال:

فارم بى ما أردت مى فانى أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وان كا ن لسانى يرى من الشعراء

ثم صرح بعد الكناية فقال

اذا لم تنط بى ضيعة او ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلب

حتى ولا هذه استطاع أن ينالها وصدمته الحقيقة فاعترف بانه « يود من الايام ما لا توده» وقد كان فى صباه يقول

ولو برز الزمان إلى شخصاً لخضب شعر مفرقه حسامى
وما بلغت مشيئتها الليالى ولا سارت وفى يدها زمامى
اذا امتلأت عيون الخيل منى فويل فى التيقظ والمنام

عذبته الدنيا فجعلت نفسه نفس ملك ، وهمته همة ملك ، وشعره ملك الشعر أو على الأقل فيما يعتقد هو ، ثم جعلته فقيراً لا يملك من الدنيا شيئاً ، ولا يرث من آبائه مالا ولا ملكا ولا جاهاً ، وكان يأمل فى صباه أن تتحقق نبوته فالنبوة لا تحتاج الى مال فلما يئس طلب الملك والملك يحتاج الى مال فطلبه بشعره ولكن لم تذل نفسه كما ذلت الشعراء فكان يرى انه يعطى لممدوحيه اكثر مما يأخذ منهم ، فهو يمنحهم شعرا خالداً وهم يمنحونه عرضاً زائلا . وكان يتجلى ذلك فى عتابه او هجائه يوم يعتب على ممدوحه أو يهجوه ، يقول لسيف الدولة وهو يعاتبه

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنى خير من تسعى به قدم
أنا الذى نظر الاعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

فتباً لهذا الزمان الذى وضعه هذا الوضع ، منحه صفة الملوك ولم يجعله ملكا ، وحرمه المال ولم يحرمه النفس ، فلم يوائم بين نفسه وحاله - يرى أن الناس لو عقلوا لثاروا ولم يرضوا على ما هم فيه من بؤس وشقاء ولملكوا عليهم خيارهم ، ولعله يعنى نفسه ، ولكنهم خاضعون مستسلمون يقيمون على الذل ولا يأنفون من عار

أما فى هذه الدنيا كريم تزول به عن القلب الهموم
أما فى هذه الدنيا مكان يسر بأهله الجار المقيم
تشابهت البهائم والعبدى علينا والموالى والصميم
وما أدرى أذا داء حديث أصاب الناس أم داء قديم

اعتداد بالنفس لا إلى حد ، وطموح ليس بعده طوح ونقمة على الزمان لأنه لم يسعفه ، ونقمة على الناس لأنهم لم يحققوا أمله - هذا كله روح فلسفة المتنبى - وكل ما قاله من حكم فهو صدى لهذا الوضع وترجمة لهذه الأحداث وتعبير عن شعوره بها

أوضح ما تتجه هذه الحال فى نفس كنفس المتنبى « فلسفة القوة » وكذلك كان ، فالمتنبى قوى فى التعبير نفسه قوى فى الحملة على الناس وعلى الزمان تتجلى القوة فى كل أقواله وفى جميع حالاته . وهذه القوة اكثر ما تكون فى سنيه الاولى أيام كان يتنقل فى البلاد ويدبر خطته

ليحقق أمله . وقد ظل على هذه الحال الى أن بلغ الرابعة والثلاثين ثم ضعفت بعض الشيء يوم اتصل بسيف الدولة يتبعه حيثما كان ويمدحه فى الحل والترحال ، وأثر فى نفسه فشله عنده فرحل الى مصر وبها كافور وشتان بين سيف الدولة فى عربيتـــه وفروسيته وبين كافور فى عجمته وعبوديته. ولـكنه الزمان الغادر رماه بأقسى مالديه حتى جعله مادحاً كافوراً فهو فى مدحه يغالب نفسه ويلعب بالالفاظ ليصوغ مدحاً يشبه الذم ، فاذا تحرر من ذلك واخذ فى هجائه عادت اليه قوته وكأنه استرد حريته . فهو قوى فى نفسه لا يهاب الدهر ولا يكترث لأحداثه :

ان ترمنى نكبات الدهر عن كثب ترم امرءاً غير رعديد ولا نكس

وهو قوى فى احتقاره اللذات الوضيعة وطموحه الى أعلى غايات المجد :

واذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الاجسام

يأبى أن يضعف نفسه بالغزل والخمر فانهما يحولان دون المجد :

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
ذر النفس تأخذ وسعها قبـل بينها فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينـــة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتركك فى الدنيـا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وهو قوى فى هجائه فهو اذا رمى أصمى واذا مس أدمى يطوق من ينـاله الذم ويقلده الخزى ويلزمه عاراً لا تمحوه الايام

وهو قوى فى دعوته للناس أن يثوروا ويؤسسوا مماكتهم على حد السيف

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل
وما تقر سيوف فى ممالـكها حتى تقلقل دهراً قبـل فى القلل

وهو قوى فى احتقار الناس إذ لم تعل همتهم كهمته ولم يرتفعوا عن السفاسف رفعته :

اذا ما الناس جربهم لبيب فانى قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودهم إلا خداعاً ولم أر دينهم إلا نفاقا

كل شيء فى سبيل المجد لذيذ محبب اليه فالقتل والموت والعذاب وقطع الفيافى عذب المذاق :

فموتى فى الوغى عيش لأنى رأيت العيش فى أرب النفوس
سبحان خالق نفسى كيف لذتها فما النفوس تراه غاية الألم
وهان فما أبالى بالرزايا لأنى ما انتفعت بان أبالى

وأخيراً ترى القوة تشع فى جوانب أساليبه وقوافيه فاذا اشترك المتنبى وغيره من الشعراء فى معنى من المعانى رأيت أبيات المتنبى غالباً أقوى أسلوباً وأجزل لفظاً وأقوى قافية وأمتن تركيباً لأنه يسبغ عليها من قوته ويزيد فى شدتهـا وحدتهـا من شدته وحدته ـ حتى لقد يقول

المألوف والفكر الشائع الذى توارد عليه الشعراء فى كل العصور فيخلع عليه المتنبي بعض نفسه وقطعة من حسه فكأنما هو جديد وكأنه لم يسبق اليه

لعل موضع الضعف عنده أنه أنفق حياته فى مدح الولاة والامراء والملوك يصوغ الثناء لهم وينظم عقود المدح فيهم ويجهد عقله فى اختراع معانى الكرم والبأس ونسبتها اليهم .ويرحل من بلد الى بلد طلباً لعطاياهم ويقف على أبوابهم انتظاراً لمنحهم، ويتربص الفرص للقول فيهم ، فاذا أقبل العيد هناهم واذا مرضوا عودهم وإذا انتصروا فى حرب شاد بفعالهم واذا انهزموا لطف من هزيمتهم . واذا مات لهم ميت عزاهم . واذا ولد لهم مولود بادر بتهنئتهم . وذلك ما لا يتفق كثيراً ونفسه الكبيرة وهمته العالية التى يتحدث عنها - لو انه ترفع عن هذا كله وقنع بان يتغنى بشعره فى وصف شعوره لوامم بين نفسه وشعره ، ولكنه - على ما يظهر - لم يشأ عيشة الزهد وانما شاء عيشة الرفعة والشهرة بالملك أو بالولاية فرأى أن يتصل بالملوك للاستفادة منهم والاستعانة على تحقيق غرضه بهم وبمنحهم وبايجاد الصلة بينه وبينهم ، ولكنه من حين لآخر يشعر بلذعة فى أعماق نفسه من هذه الصفة فيفلسف التهنئة ويقول :

انما التهنئات للأكفاء ولمن يدنى من البعداء
وأنا منك لا يهنىء عضو بالمسرات سائر الاعضاء

ثم هو لا يتنزل الى مدح غير العظماء ، واذا أنشد شعره أنشده فى علو وكبرياء فاذا لم يتحقق غرضه أو أحس بتيه ممدوحه عليه ثار ثورة من جرحت عزته ونيل من كبريائه ، وكأنما تجلت له الحقيقة وهى صعوبة الجمع بين نفس تمتلىء عزة وشاعر يقف شعره على المديح - وهذا كله جذبته شؤون الحياة الى الضعة والضعف أبت عليه نفسه ، وحولته من ضعف الى قوة ومن ضعة الى رفعة :

لم الليالى التى أخنت على جدتى برقة الحال واعذرنى ولا تلم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم
ردى حياض الردى يانفس واتركى حياض خوف الردى للشاء والنعم

وبذلك فلسف الحياة كلها فلسفة قوة كما فلسف ابو العتاهية الحياة فلسفة زهد - فويل للضعيف ، وويل للجبان ، وويل لمن يخاف الحوادث ، وويل لمن يهاب الموت :

ولا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

هذه ناحية من نواحى فلسفة المتنبي هى « فلسفة القوة » ، وقد كان له فى فلسفته نواح أخرى كثيرة لم يتسع لها هذا المقال

احمد امين

أبو الطيب المتنبي

كان عبقريًا، ولكن ...

بقلم الاستاذ خليل مطران

« . . لا جرم ان ابا الطيب قال الشعر كأحسن ما قالته العرب الى زمنه وبز بطائفة من ابياته وقصائده كل قائل من قبل ومن بعد ، غير ان من وهب تلك العبقرية كان جديراً بأن يحدث في الشعر العربي حدثا غير ما قصر همه عليه . . . »

عنى العالم العربي بذكرى « المتنبي » لانقضاء الف عام على وفاته واستنفد كتاب الضاد صيغ المدح لذلك الشاعر العظيم وأبدوا فى سيرته وأخلاقه آراء لم يختلف بعضها عن بعض كبير اختلاف دلت بجملتها على عبقريته كما نبهت على مواطن القوة والضعف فى آدابه وطباعه

ولما طلب إلى أن أكتب كلمة بين الكلمات التى ستنشر لاصدقائى من أساطين البيان فى هذا العدد من الهلال ، وكان وقتى على أسف منى لا يتسع لاستئناف المطالعة والمضى فى المراجعة لأخدم الغرض المروم حق خدمته ، رأيت أن أجتزىء بايراد محصل ثبت فى ذهنى من مدارستى القديمة لشعر أبى الطيب ولما وقفت عليه فى كتب شتى من أخباره

فأنا أخط هذه السطور وأبو الطيب متمثل فى ذهنى بناحية منه سما بها الى أعلى الذرى . وأخرى تدلى بها الى قرارة بعيدة الغور

أما الناحية التى رفعته فهى عبقريته - وأما التى خفضته فهى طمعه . صراع شديد قام فى نفسه من بدء أمره بين الهدى والهوى . أحس بأنه وهب ما لم يوهبه غيره من وفرة العقل والقدرة على البيان ، فكان أول ما سلكه فى طلب العلياء ادعاؤه النبوة . غير انه لم يعتم أن تبين من أية قمة شاهقة أشرف على هوة سحيقة مردية . فتاب عندما استتيب وعاد متضعاً لامتواضعاً الى الطريق المعبدالذى طرقه الشعراء منذ جعلوا القريض وسيلة ارتزاق ، فنظم المديح للذين استندى جوانبهم من ذوى الجاه العريض . وفى قصائده الاول خليط عجيب تتبين فيه المشاكسة العنيفة بين الطبع والتطبع ، فآناً يحاكى المبرزين من شعراء عصره فتضعف إجادته وتعتاص اساليبه وترتبك صوره ، وآناً يرجع الى وحى فطرته ويسعده استحكام ملكته فيأتى بالسوانح المبتكرات فى حبر لا تلبس أحسن منها الغوانى الحفرات . على ان هذه الفرائد الغوالى وان لم يدانها ما جاورت من الجمان فى قلائدها هى التى أعلت قدره وأشاعت ذكره ومهدت له السبيل حتى بلغ من الدولة بجلب

ولدى هذا الملك الشجاع الاديب أراد المتنبي أن يمنح تكرمة لم يمنحها الشعراء قبله فأذن في الانشاد جالساً بتلك الحضرة ثم كان له من بسط العيش ما اشتهى وكان له من مصاحبة سيف الدولة في بعض غزواته ما توخى ان يثبت به لنفسه انه رب سيف وقلم

وفي الحق انه كان شجاعاً وفي الحق ان قصائده في سيف الدولة جاءت مصداقاً لظنه بتفرده بين الشعراء وتفوقه عليهم ، ولكنه في هذه الحالة تجددت به النزعة الى اتخاذ مكان حسي لا معنوي إن لم يعل به الملوك علا به سائر الخلق . ولعل بوادر بدرت من هذه النزعة هي التي جنحت بسيف الدولة الى الانقباض عنه آناً واستفزته لتحريش بعض اللغويين أو بعض الشعراء على منافشته او منافسته آناً آخر ، فتأتى من تلك النزعات الظاهرة والخفية الجفاء الذي أفضى بالمتنبي الى مفارقة ولى نعمته وإجابة كافور الاخشيدي الى دعوته

ولقد تأملت طويلا في التماس السبب الذي يحمل رجلا مثله على التخلي عن نعيم وجد فيه لالتماس حالة جديدة ملتبسة يتوخاها ، فلم اقتنع ان النزعات المشار اليها آنفاً وما مست به كبرياءه قد اثارت فيه الحق والغضب والعزم على تلك الهجرة . إذ ان المواقف الاولى التي وقفها من ممدوحيه بعد سقوط ما ادعاه من النبوة لم تكن كلها مما يوفر فيها العرض ويسلم الشرف الرفيع من أذى الذلة والضعة ، وانما كان السبب فيما اعتقدت انه رأى مطمعه لدى سيف الدولة قد حد بحد لا سبيل الى مجاوزته وأن إلحاح الاخشيدي في استزارته قد حرك فيه اقوى عوامل نفسه وهو الطمع . تخيل اليه ان في مصر الواسعة ، وعلى رأسها خصي فدم غاصب للملك ، ولاية يستطيع ان يتصيدها ومن يدري بعد بلوغه الولاية وتمكنه فيها ما تهيئه له الأقدار من غصب الغاصب على حد قوله :

وتضريب أعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

على ان تركه لسيف الدولة وانتقاله من يقين الى ريب وتبدله من رخاء وجاه بآمال تحقيقها في يد الغيب - كل أولئك لم يكن بهين عليه . وفي ذلك يقول وكأنه يستدرج سيف الدولة الى إرضائه واستبقائه

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

ثم يدلف بذلك الاستدراج الى الاغراء فيقول في ختام تلك القصيدة التي هي من لباب الشعر وخلاصته الصافية

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

عرف المتنبي قدر ما يفارقه ولكن مطمعه غلب عليه ففارق . . .

ولقي كافوراً وحظي عنده زمناً ومى مما تمنى خداعاً وزوراً . غير انه أخذ بسحر الرغيبة وأشد في الحصن رأ هو أجود مظلومه لأنه أمن عنده المنافسين من الشعراء ومضى على

سليقته فى استنزال إلهامه وفى اختيار روائع المبانى لبدائع المعانى . حتى اذا طالت غلته وبدا له ما وراء رفيف السراب من حرقة تزيده حرقاً تولى عن مصر ولم يكتف لخيبته بهجو كافور بل هجا اهل مصر فاركبه طمعه فى هذه الخطة نكراً وحمله وزراً نكر الذم فى يومه لمن مدحه فى أمسه ووزر الاستطالة على أمة انما جاءته الاساءة إن كان ثمت إساءة لامنها بل من الهوى اليها

وفى هذا المعرض قد يصح أن يحمل قذع المتنبي لأهل مصر على غرض الاستثارة . ومثل هذا كان جارياً فى ذلك العهد بل ظل شيء منه الى هذه الايام . ولكن رجلا بمقدرة المتنبي وفطنته لا يحاسب كما يحاسب أحمق موتور بل كان حقيقاً به وهو أبلغ المتصرفين فى الكلام أن يجد وجوها أخرى للاستثارة . ولو اتخذ لذلك مدح اهل مصر وتبيين ما يجنيه عليهم ذلك الغاصب لملكهم لكان سهمه انفذ ومرماه أولى بالاصابة

فالطمع من أول شأنه الى آخره ، قد جنى عليه وجنايته لم تقتصر على إبعاده عن مواطن النعماء وإركابه مراكب الهجر والشقاء ، الى أن كان مما اكتسبه فى فراره من مصر لقاؤه منيته فى فراره ، بل تأتى من ذلك الطمع خطب جلل منى به الشعر

ولا جرم ان أبا الطيب قال الشعر كاحسن ما قالته العرب الى زمنه وبز بطائفة من أبياته وقصائده كل قائل من قبل ومن بعد . غير ان من وهب تلك العبقرية كان جديراً بأن يحدث فى الشعر العربى حدثاً غير ما قصر همه عليه من تفكير فى بعض أساليب التعبير ومن التنبه لكل حالة من حالات الحياة ، يقول فيها حكمة تتناشدها ألسنة الخلق كلما عرضت تلك الحالة ، فان أمثال هذه الجزئيات على ما لها من قيمة لم تحول نظم القصائد أدنى تحويل عن الخلط والخبط اللذين جرهما اليها المداحون من سلف له ومعاصرين

رجل ادعى النبوة فى مقتبل شبابه أى انه نوى خلق دين للناس وبالبداهة إحداث نظام روحى واجتماعى وشرع شريعة وسن سنن للمعاش والمعاد

رجل دلت بعد ذلك حكمه فى شعره على انه كان عليما ببنى الدنيا خبيراً بما يبدون وما يخفون واقفاً على مواقع الصواب والخطأ من سرائرهم ومن أفعالهم . زعم قوم انه كان يعرف اليونانية وان كلماته الجوامع مأخوذة عن ارسطاطاليس . وزعم آخرون انه لم يعرف اليونانية وان ما توافق من أفكاره وأفكار ذلك الفيلسوف الاكبر انما كان توارد خواطر فهو على الحالين ذو مقدرة عقلية سامية لا نزاع فيها

رجل ترى فى نخبة من قصائده آيات إبداع فى الوصف وفى إدراك الحقائق فضلا عن الحلى اللفظية والابتكارات الخيالية فتستطيع أن تفاخر بصدر من مختاراته ما هو من نوعها فى أية منظومة أجنبية بلغت ما بلغت من الغايات فى الاتقان

هذا الرجل كيف نفهم أن يلزم فى قرض القريض خطة الشتات والخلط بين الاغراض

المتباينة فى نظم القصيدة الواحدة ؟ ألست ترى ان استخدامه الشعر ، ولا هم له إلا إشباع نهمة فى نفسه ليست من الفن فى شىء ، قد حمله على تلك المحاكاة والمجاراة لئلا يبعده التجديد عن ذوى الحول والطول ومغدق الهبات والصلات ؟

كان غبناً وأى غبن أن يجعل المتنبى قصائده كما جعلها غيره ملتقى أغراض لا ارتباط بين معانيها ولا تلاحم بين أجزائها ولا مقاصد عامة تقام عليها أبنيتها وتوطد بها أركانها . غير ان طمعه قد جنى على عبقريته كما جنى على مجده

فاما اذا نظر الى شعره من حيث هو الشعر الذى ألفه العرب منذ أجراه المداح فى مجراه الباقى الى اليوم ، فانى لمن القائلين بان المتنبى فى الذروة العليا من طبقات شعرائنا وانه رزق ما لم يرزقه أحدهم من سحر البيان وقوة الاختراع وسر التفوق

خليل مطران

بين ارسطو والمتنبى

قال ارسطو « الاشكال لاحقة بأشكالها ، كما ان الاضداد مباينة لأضدادها »

وقال المتنبى وشبه الشىء منجذب اليه وأشبهنا بدنيانا الطغام

وقال ارسطو : « الفرق بين الحلم والعجز ان الحلم لا يكون إلا عن قدرة ، والعجز لا يكون إلا عن ضعف فليس للعاجز أن يتسمى باسم الحليم

وقال المتنبى كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجىء اليها اللئام

وقال ارسطو : « على قدر بصيرة العقل يرى الانسان الاشياء ، فالسالم العقل يرى الاشياء على قدر حقائقها ، والنفس اللئيمة ترى الاشياء بطبعها »

وقال المتنبى ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وقال ارسطو : « على قدر الهمم تكون الهموم »

وقال المتنبى أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقال ارسطو : « النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام »

وقال المتنبى من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وقال ارسطو « الزيادة فى الحد نقص فى المحدود »

وقال المتنبى متى ما ازددت من بعد التناهى فقد وقع انتقاصى فى ازديادى

وقال ارسطو « كره ما لابد من كونه عجز فى صحة العقل »

وقال المتنبى : نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه

فالناس يمدحون الملوك بالشجاعة والاقدام وكثرة الغزوات وأن النصر معقود بلوائهم ، ولكن المتنبي يترك كل هذا ليتناوله صغار الفنانين ويصعد فى المدح بهذه المعانى الى افق أعلى تظهر فيه خصائصه وتتميز مواهبه فيجعل قتل الاعداء سهلاً لاعمارهم واغتصاباً لها ، ثم يدفعه خياله البعيد الى فرض أن هذه الأعمار الكثيرة اتصل بعضها ببعض فكونت عمراً طويلا غير محدود ثم يرتقى الى اوج أسمى فيفرض أن سيف الدولة وهب هذه الأعمار غير المتناهية التى انتزعها من أعدائه ولا يكتفى بان هذا — إن تم — يصل به الى الخلود بل يدعى أن الدنيا بمن فيها و ما فيها تهنأ بهذا الخلود . ثم ما أجل تصوير النصر المحقق فى قوله بعد هذا البيت :

فانت حسام الملك والله ضارب وانت لواء الدين والله عاقـــد

ثم انظر اليه حين يقول فى سيف الدولة

أتحسب بيض الهند اصلك اصلها وانك منها ساء ماتتوهم

اذا نحن سميناك خلنا سيوفنـا من التيه فى اغمادها تتبسم

وقد اتخذ المتنبي من اسم سيف الدولة سبلا شتى للافتنـــان فى مديحه والمماثلة بينه وبين السيوف فاجاد فى كثير من ذلك وحلق ، ومثل هذه الفرص تعرض لكثير من الشعراء ، ومجال القول فيها هين اذا لم يتجاوز الشاعر اللعب باللفظ على نحو رخيص من التخيل ، أما المتنبي فليس من هذا الصنف ولا من ذلك الطابع . استمع له وهو يتهكم بسيوف الهند حين تظن كذباً وغروراً وتلمساً لشرف الاتصال بسيف الدولة أنها هى وسيف الدولة من أصل واحد فكلاهما قاطع بتار ، وكأنى أسمع تهاتفه فى سخرية واستهزاء حين يقول : « ساء ما تتوهم » وهنـا موطن قوته وصرامته الشعرية ، فأكثر ما تظهر فى هذه الجمل القصيرة المفصولة التى لها وقع السهام ، ثم يصعد الى أفق لا تسافر اليه الظنون فيقول ان هذه السيوف تكتفى من الشرف بأن اسمك وافق اسمها فاذا سميناك خلناها تبتسم فى أغمادها تيها وعجباً

ثم خذ مثالا آخر فى مدح كافور :

اذا طلبوا جدواك أعطوا وحكموا وان طلبوا الفضل الذى فيك خيبوا

ولو جاز ان تحووا علاك وهبتها ولكن من الأشياء ماليس يوهب

أيستطيع شاعر ان يصور الصفح والتجاوز وعظم النفس هـــذا التصوير ؟ ان حسادك واعداءك إذا سألوك العطاء اعطيت واغدقت وسألتهم أن يتحكموا فيما يطلبون ، ولكنهم لو طلبوا ان ينالوا ما فيك من كريم الشيم وعالى الهمم ردوا خائبين لا ضنا منك ولا بخلا ،فلو كان فى استطاعتك ان تمنحهم اياها لفعلت ، ولكن من الأشياء ما ليس يوهب ،

وفى هذه الجملة القصيرة ايضا تظهر قوة الشاعر وشدة اسره

ومن ابدع ماقاله فى المديح :

مالئاً من نواله الشرق والغر ب ومن خوفه قلوب الرجال
قابضاً كفه اليمين على الدنـ يا ولو شاء حازها بالشمال

ننتقل بك الى الوصف ولنبدأ بهذه الأبيات :

وذى لجب لا ذو الجناح امامه بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهى ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم
اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدراهم
ويخفى عليك الرعد والبرق فوقه من اللهم فى حافاته والهماهم

برع المتنبي فى وصف الجيوش والوقائع ، ما فى ذلك شك ، فقد كان يحمل بين جنبيه نفسا نزاعة الى القتال تدفعها الآمال الكبار ، وكانت وقائع سيف الدولة مع الروم حافزة لهذه النفس مؤججة لتلك الجذوة ، ولو حاولنا ان نختار له خير ماقاله فى هذه الناحية لطال المقال ، ولكنا نكتفى بالابيات التى قدمنا ففيها قوة وفيها جمال شعرى وفيها وصف دقيق . ما اروع اسلوبه فى البيت الاول ! وما اجمل مافيه من تقسيم وتنسيق ، فالجيش كثير العدد كثير اللجب تتهاوى قذائفه ، أثار الوحوش من مكامنها والطيور من اوكارها ، فلا ذو الجناح بناج من سهامه المترامية ولا الوحوش بسالمة من عديده الخضم ، ثار فيه الغبار فسد الافق وعلا فى السماء فكسف الشمس ، فهى تمر عليه ضعيفة ضئيلة الضوء ، فاذا اطلت عليه فانها تطل من بين ريش النسور التى حلقت فوقه لوثوقها بنصره وشدة طمعها فى جثث اعدائه، وقد شرح هذا المعنى فى قصيدة اخرى وجلاه فقال :

يطمع الطير فيهم طول اكلهم حتى تكاد على احيائهم تقـــع

"وهذه الشمس اذا وقفت الى فرجة بين اجنحة النسور سقطت اضواؤها على الخوذات مدورة كالدراهم ، وهذا تشبيه يدل على دقة الملاحظة وان المشاهدة الدقيقة لمظاهر الاشياء كان لها اثر بعيد فى تكوين المتنبي ، وقد اعاد هذا المعنى فى قصيدة شعب بوان فقال :

والقى الشرق منها فى ثيابى دنانيراً تفر من البنان

ثم إن هذا الجيش كثرت فيه همهمة الأبطال ، وهى الصوت يتردد فى الصدر فاذا رعدت السماء لم تسمع ، وازداد فيه بريق السيوف فاذا لمع البرق لم يبصر ، واذا كانت الهمهمة وهى الصوت الخافت تخفى الرعد فاجدر بأن يكون الجيش بالغاً الغاية فى العظم

وللمتنبي منحى فى الرثاء عجيب ، فهو لا يلطم الخدود ، ولا يشق الجيوب كما يفعل صغار الشعراء ، ولكنه يطاق العنان لفلسفته فى الموت والحياة فهو يقول فى رثاء أخت سيف الدولة الصغرى

خطبة للحمام ليس لها رد ولكنها المسماة ثكلا

واذا لم تجد من الناس كفئاً ذات خدر ارادت الموت بعلا
ولذيذ الحياة أنفس فى النف س وأشهى من ان يمل واحلى
واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشـــباب فاذا وليا عن المرء ولى

وقد سلك فى رثاء الأخت الكبرى طريقا جديداً هو برثاء القواد والملوك أشبه منه برثاء النساء :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
كأن فعلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تمنح ولم تهب

والبيت الأول تصوير غريب لحال من فوجىء بخبر محزن ، فهو يتشبث بالاوهام ، ويفزع لتكذيبه الى أوهى الأسباب

ومن خير مراثيه وأقواها مرثيته فى جدته ، ولكنه شغل اكثرها كعادته بالحديث عن نفسه وللمتنبى فى الهجاء القول الممض والكلام المر . ولم يكن كثير الهجاء ولكن بيتاً واحداً من هجائه يقوم مقام القصيدة الطويلة فى الايلام وشدة الايجاع واصابة المحز، فهو يقول لابن كروس جليس ابن عمار :

فلو كنت امرءاً تهجى هجونا ولكن ضاق فتر عن مســـير

هذا منتهى مايصل اليه الاحتقار فهو ليس برجل يؤبه له لأن قدره أضيق من أن يتسع لجولات الهجاء ، فهو كالفتر أقل من أن ينفسح لمسير

أما هجاؤه لكافور فقد قذفه فيه بالصيلم

إنى نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الايدى وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

ولو أن إنساناً حاول أن يهجو ألام مخلوق ما استطاع ان يقول فيه أنكى من هذا وأقذع

واذا شكا الزمان ونقد الاجتماع أو تعرض لاخلاق الناس ، فهناك الانهمار فى الحكمة وضرب الأمثال وفلسفة الحياة . ولا نريد هنا أن نكثر من التمثيل فحكم أبى الطيب كثيرة جداً وقد تناولها الأدباء بالجمع والتمحيص والنقد ، واكثر قصائده حكماً « لا افتخار إلا لمن لا يضام» ، « فؤاد ما تسليه المدام» ، «لهوى النفوس سريرة لا تعلم» ، « صحب الناس قبلنا ذا الزمانا» وأوابد ابى الطيب التى بز بها الشعراء ووصل بها الى قمة الفن الشعرى اكثر من أن تجمع فى مثل هذا المقال . وتكفينا هنا هذه الكلمات الموجزة فى اذاعة شىء من سر عبقريته

علي الجارم

الدسائس الادبية

بين المتنبي والصاحب بن عباد

بقلم الدكتور زكي مبارك

هذا فصل موجز أصور به لوناً من ألوان الدسائس الادبية التى شهدها القرن الرابع . وما أريد فى هذا الفصل أن اتحدث عن حياة المتنبى . فلذلك تفاصيل فى هذا العدد من الهلال . وما أريد أيضاً أن أتحدث عن حياة الصاحب فقد أطلت فيه القول فى كتاب النثر الفنى . وانما أقف عند مسألة واحدة كان لها أثر فى تلوين النقد الادبى عند كتاب القرن الرابع . وتلك هى الخصومة بين المتنبى والصاحب بن عباد . والمطلعون على التاريخ الادبى لذلك العهد يعرفون أن الصاحب كان يتشهى أن يستعبد كبار الكتاب والشعراء ، ويعرفون أن نفسه تسامت إلى استعباد المتنبى وانه خاب فى ذلك وكانت هذه الخيبة جرحا بليغاً تنزى له قلب ابن عباد فحقد على المتنبى وحرض عليه كبار الناقدين

ولنقيد هنا أن المتنبى كان ترفع عن مدح رجال آخرين من أشباه الصاحب منهم الوزير المهلبى ، نعرف ذلك من خطاب المتنبى الذى أرسله الى الصابى وكان الصابى راسل أبا الطيب فى أن يمدحه بقصيدتين ووسط بينه وبينه رجلا من وجوه التجار فقال ابو الطيب للوسيط : « قل لابى اسحاق : والله مارأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ولا أوجب على أحد فى هذه البلاد من الحق ما أوجبته . وأنا ان مدحتك تنكر لك الوزير — يعنى المهلبى — وتغير عليك لاننى لم أمدحه فان كنت لا تبالى هذه الحال فانا أجيبك إلى ما التمست وما أريد منك مالا ولا عن شعرى عوضا »

والمهم أن يعرف القارىء أن ابن عباد حقد على المتنبى لانه لم يمدحه فلنتحدثه عن خطر ذلك الحقد فى الآثار النقدية التى حفظت عن ذلك العهد ولنكتف بشاهدين اثنين :

الشاهد الاول

الف أبو هلال العسكرى كتاباً سماه « الصناعتين » وهو كتاب ممتع تحدث فيه عن الخصائص الشعرية والنثرية ، ولكن عند التأمل نجد فى ذلك الكتاب النفيس ظلالا للدسائس الادبية التى وقعت بين المتنبى وبين ابن عباد ، فالمؤلف يتلمس الفرص ليشيد بأدب الصاحب وليغض من قدر المتنبى . أما اشادته بادب الصاحب فتظهر فى استشهاده بكلامه كقوله فى باب السجع والازدواج :

« ومثله قول الصاحب : هل من حق الفضل تهضمه شغفا ببلدتك ، وتظلمه كلفا باهل جلدتك . . وقوله : وقد كتبت الى فلان مايوجز الطريق الى تخلية نفسه وينجز وعد الثقة فى فك حبسه »

ونراه فى مكان آخر يقول : « روى لنا أن عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضى الله عنه : تشط غداً دار جيراننا . فقال ابن عباس : وللدار بعد غد أبعد . فقال عمر : والله ما قلت الا كذلك . . . واذا كان القوم فى قبيلة واحدة وفى أرض واحدة فان خواطرهم تقع متقاربة كما أن اخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة . . . وأنشدت الصاحب اسماعيل بن عباد : « كانت سراة الناس تحت أظله . فسبقنى وقال : فغدت سراة الناس فوق سراته . وكذلك كنت . قلت . فعلى هذا جائز مايدعى لهم »

وفى هذه العبارة تظهر مجاملة أبى هلال للصاحب فهو يتخذ من حضور ذهنه دليلا على أن حضور الذهن من النعم التى يخص بها الله بعض الناس !

ونراه فى باب الفصل والوصل يقول :

« وهكذا يفعل الكتاب الحذاق والمترسلون المبرزون . ألا ترى ما كتب الصاحب فى آخر رسالة له : (فان حنثت فيما حلفت فلا خطوت لتحصيل مجد ولا نهضت لاقتناء حمد ولا سعيت الى مقام فخر ولا حرصت على علو ذكر . . .) فاتى بايمان ظريفة ومعان غريبة »

وما أحب أن استقصى ما تكلف العسكرى من الثناء على الصاحب فذلك مبثوث فى كتاب الصناعتين . واما تحامله على المتنبى فيظهر فى مواطن كثيرة من كتابه. فهو لايذكره باسمه ولايتحدث عن شعره الا حين يريد التمثيل للشعر القبيح . ففى باب تمييز المعانى ينشد قول السيد الحميرى :

ايارب انى لم أرد بالذى به مدحت عليا غير وجهك فارحم

ثم يقول : « فهذا كلام عاقل يضع الشىء موضعه ويستعمله فى ابانه . ليس كمن قال وهو فى زماننا :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغر دلائل

فاشمت عدوه بنفسه »

وفى باب الكناية والتعريض يقول : « ومن شنيع الكناية قول بعض المتأخرين :

انى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها

« وسمعت بعض الشيوخ يقول : الفجور أحسن من عفاف يعبر عنه بهذا اللفظ »

وفى باب التوشيح يقول : ومما عيب من هذا الضرب قول بعض المتأخرين :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيش كلهن قلاقل

ألا ترون كيف استطاعت تلك الدسائس ان تفسد الحكم فى نفس رجل شريف مثل أبى هلال ؟ لقد كان فى مقدور العسكرى أن ينصف أبا الطيب وأن يتجاوز عن سيئاته ، ولكنه شغل

نفسه بتعقب مساوئه ليدخل السرور على قلب ابن عباد . ولنتذكر أن ما أخذه العسكرى على المتنبى ظل يلاحق هذا الشاعر فى جميع العصور الادبية بحيث لا يكاد يخلو كتاب من كتب النقد من الاشارة الى تعسف المتنبى واسفافه فى الحدود التى رسمها صاحب كتاب الصناعتين

الشاهد الثاني

لم يكتف الصاحب بتحريض النقاد على المتنبى ، وانما اندفع يغمزه ويناوئه برسالة كتبها بنفسه على قلة ما كان يكتب فى النقد الادبى ، وهى رسالة صغيرة ولكنها قيمة ، بغض النظر عما فيها من تحامل ومكابرة ، وفى مطلع تلك الرسالة يتحدث الصاحب فيقول :

« كنت ذا كرت بعض من يتوسم بالادب الاشعار وقائليها والمجودين فيها ، فسألنى عن المتنبى فقلت : انه بعيد المرمى فى شعره ، كثير الاصابة فى نظمه إلا انه ربما يأتى بالفقرة الغراء ، مشفوعة بالكلمة العوراء فرأيته قد هاج وانزعج ، وحمى وتأجج ، وادعى ان شعره مستمر النظام ، متناسب الاقسام ، ولم يرض حتى تحدانى فقال : ان كان الامر كما زعمت فاثبت فى ورقة ما تنكره ، وقيد بالخطبة ما تذكره ، لتتصفحه العيون . وتسبكه العقول . ففعلت ، وان لم يكن تطلب العثرات من شيمتى ولا تتبع الزلات من طريقتى وقد قيل : أى عالم لا يهفو ، وأى صارم لا ينبو ، وأى جواد لا يكبو ؟ . وانما فعلت ما فعلت لئلا يقدر هذا المعترض أنى ممن يروى قبل أن يروى ، ويخبر قبل أن يخبر ، فاستمع وأنصت ، واعدل وأنصف ، فما أوردت فيه إلا قليلا ، ولا ذكرت من عظيم عيوبه إلا يسيراً ، وقد بلينا بزمن يكاد المنسم فيه يعلو الغارب ، ومنينا بأعياد أغمار اغتروا بمادح الجهال ، لا يضرعون لمن حلب الادب أفاويقه ، والعلم أشطره ، لا سيما الشعر ، فهو فوق الثريا وهم دون الثرى ، وقد يوهمون أنهم يعرفون ، فاذا حكموا رأيت بهائم مرسنة ، وأنعاماً محفلة »

وفى هذه الكلمة بيان لنفسية الصاحب وما انطوت عليه من أضغان وأحقاد ، فهو يرى المتنبى رجلا أنصفه الزمان الجهول ، ويرى أشياعه من السوائم والانعام

ولنقدم للقارىء نماذج من نقد الصاحب للمتنبى . قال :

« ولقد مررت على مرثية له فى أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء أدب النفس . وما ظنك بمن يخاطب ملكا فى أمه بقوله : رواق العز فوقك مسبطر . ولعل لفظة (الاسبطرار) فى مراثى النساء من الخذلان الصفيق الدقيق ، نعم هذه القصيدة يظن المتعصبون له أنها من شعره بمثابة « وقيل يا أرض ابلعى ماءك » من القرآن ، وفيها يقول :

وهذا أول الناعين طراً لاول ميتة فى ذا الجلال

« ومن سمع باسم الشعر ، عرف تردده فى انهتاك الستر . ولما أبدع فى هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

« وقد قال بعض من يغلو فيه : هذه استعارة ، فقلت : صدقت ، ولكنها استعارة حداد فى عرس . ولما أحب تقريظ المتوفاة والافصاح عن أنها من الكريمات أعمل دقائق فكره واستخرج زبد شعره ، فقال :

ولا من فى جنازتها تجار يكون وداعهم خفق النعال

وكان الناس يستبشعون قول مسلم : سلت وسلت ثم سل سليلها . حتى جاء هذا المبدع بقوله :

وأفجع من فقدنا من وجدنا قبيل الفقد مفقود المثال

« فالمصيبة فى الرائى أعظم منها فى المرثى . ومن أوابده التى لايسمع طول الدهر مثالها قوله :

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففى الناس بوقات لها وطبول

« وهذا التحاذق كغزل العجائز قبحاً ، ودلال الشيوخ سماجة ، ولكن بقى أن يوجد من يسمع

« ومن افتتاحه الذى يفتح طرق الكرب ، ويغلق أبواب القلب . قوله :

أراع كذا كل الانام همام وسح له رسل الملوك غمام

« ولو لم يتكلم فى الشعر إلا من هو أهله لما سمع مثل هذا »

وما أحب ان أطيل ما أخذ الصاحب على المتنبى . فقد طبعت رسالته بالقاهرة ، ويستطيع القارىء ان يرجع اليها حين يشاء . والمهم أن نسجل أن رسالة الصاحب جرأت النقاد على المتنبى وفتحت لهم باب القول ، حتى ليمكن الحكم بأن ما ورد فيها من المآخذ كان المصدر الاول لاكثر المطاعن التى صوبها النقاد الى المتنبى

وللقارىء ان يسأل : أكان من الممكن ان تستر هفوات المتنبى لو سكت عليها العسكرى والصاحب ابن عباد ؟ ونجيب بأن تلك الهفوات كانت ظاهرة ، وما كان يمكن أن يسدل عليها الحجاب . ولكن تلك الدسائس الادبية كشفتها بطريقة جارحة . وأحاطتها بألوان من السخرية والتهكم والاستهزاء

وقد مر ذكر المهلبى فى مطلع هذا الفصل . فلنشر هنا إلى أن ترفع المتنبى عن مدح المهلبى كان له من العواقب ما يشبه ماحدث حين ترفع عن مدح ابن عباد ، فقد أولع الحاتمى بالوقوع فى المتنبى ولم يكن ذلك خدمة خالصة للأدب ، وانما أريد به التقرب الى المهلبى

فان سألتم : وما الذى صنع الحاتمى ؟ فانا نجيب بأنه طعن المتنبى طعنة دامية حين الف (الرسالة الحاتمية) وهى سهم مسموم ، لانه رد حكم المتنبى الى أصولها فى كلام ارسطاليس . فاستطاع بذلك ان يفضحه فضيحة بلقاء . . قد تقولون : ولكن المتنبى بقى مع ذلك من الخالدين

وهذا حق . ولكن أولئك النقاد سيخلدون أيضاً . وستظل أرواحهم تضايق روح المتنبى ما دامت الارض والسماء

زكى مبارك

عبرة الشباب

لمحة عن المنازع القومية في المتنبي

بقلم الاستاذ سامي الكيالي

المتنبي كما تخيله جبران خليل جبران

عاش المتنبي عمره وهو يحمل في صدره عزم الشباب . نفس طموحة ، وروح مغامرة ، وقلب قلق وثاب ، وجنون بالمجد والتعالي والعظمة ، وإيمان الواثق من نفسه ، وما إلى ذلك من هذه الألوان التي تتلاقى ظلالها في حياة العصاميين الذين يرتفعون بنفوسهم من الضعة إلى قمة المجد وذروة العلاء .. هذا هو المتنبي وهذه أظهر خصائص نفسيته . فقد نشأ نشأة الفقراء ، وعاش حياة ضنكة مغمورة بألوان الشقاء . ولكن فقره لم يحل دون تفتح مواهبه ، وما كان الشقاء ليحيل ذكاءه بلهاً وتوقد ذهنه خبلا ، أو ليقعده في أرض الكوفة مغمور الاسم لا يدوي صداه في الآفاق . فقد تطلع المتنبي وهو في مقتبل عمره إلى الامجاد ولم تصدمه الاحداث التي جابهته بل احتملها اذ النفس قوي الارادة هادىء الضمير . وظل في طريقه يقتحم المصاعب ويواجه الاهوال ، يجالد ويقارع ويناضل ويسير من بلد إلى بلد حتى همد جسمه بعد أن ترك في دنيا الأدب العربي دوياً رن صداه حتى في آداب الأمم الحية

دخل المتنبي غمار الحياة وهو خلو الا من هذا الخافق بين جنبيه ، ومن هذه النزعات الصلبة القوية التي امتزجت بدمه وأعصابه . دخل غمار الحياة وكأنما كل شيء يعلن له « ان الدنيا لمن غلب » . عصر يعج بالاضطرابات والدسائس ، امارات تتقاذفها الايدي في كل مصر وصقع ، متغلبون تضطرم نفوسهم بالاهواء والشهوات . وشهوة المجد في نفس شاعرنا لم تكن أقل منها في نفس غيره من الطامحين وهو القائل :

وفؤادي من الملوك وان كا ن لساني يرى من الشعراء

فلم يستكن في داره ، ولم يشغل نفسه بالتوافه ، ولا عرف الضعف والوهن بل زج نفسه في هذا الامر المعترك ، وأخذ يجوب البلاد ويبلو أخلاق الناس ويتصل بالامراء . وكان الشعر وسيلته في

المدح ، فاذا مدح أشاد بنفسه وقوته وأدبه ، وأشار الى مطامحه ، وصرح انه ليس كغيره من شعراء المديح الذين يكتفون بالتافه اليسير من أغراض الدنيا :

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلباً بين جنبي ماله مدى ينتهى بى فى مراد أحده

وفرق كبير بين الشاعر الذى يرتمى بين أعتاب ممدوحيه ضعيف النفس ذليلها ، وبين الذى يرسل شعره قوى النفس عزيزها ، ويعلن عن شخصية لها طموحات ورغبات لا حد لها ولا أمد . هذا هو المتنبي فى مجموعه . فما الذى يستفيده الشباب من دراسة حياته ؟ . والشباب فى عصرنا هذا يملأ الدنيا ويشغل الناس — على حد تعبير ابن رشيق فى المتنبي — نعم ، يملأ الشباب الدنيا بميوله وتزعاته ، بواجبه نحو نفسه ووطنه ، بتحمله وقر النهضات وتضحيته بسخاء ، بمدى صلته بحاضره وربطه بين ماضيه وحاضره ومستقبله . فهل يستطيع المتنبي أن يكون هدى الشباب اذا ما تلمسوا بعض شكوكهم فى حياته وشعره ؟ . . ان طابع هذا العصر يختلف عن عصر مضى عليه الف عام ولكن نفسية العصاميين فى جوهرها ومنازعها وطموحاتها هى هى مهما تباينت العصور . وقبل أن نجيب على هذا السؤال الذى فرضه «الهلال» الاغر نريد ان نقول إن النزعة الجديدة فى دراسة الادب لم تعد لترتضى هذه « السطحية » فى درس الادب العربى بل لابد من درسه بتعمق واستقصاء وكشف لهذه القوى الدفينة التى تكمن فى قصيده ومنثوره . فانا مثلا لم يعد يهمنى من قصائد المتنبي فى سيف الدولة هذه البهرجة اللفظية والاساليب القوية والحكم الغوالى ، بل ابحث فيها — وأنا أدرس عصر الحمدانيين — هذه الالوان التى أرى فى أصباغها نقع المعارك التى خاضها سيف الدولة فى حروبه مع نيقفور البيزنطى ، هذه المعارك التى تكاد تشبه معارك هوميروس فى الياذته . وأخرج من دراستى الى أن أدب المتنبي لم يكن أدب الحكمة والمديح فحسب ، بل كان صورة حية لهذا « الادب القومي » الذى تكاد ترتفع دعوته الصارخة فى هذه الايام على « الادب العالمى » . وانه من الزراية بأدبنا القديم ان نقف عند هذه النظرة الضيقة التى لاترى فى أغراض الشعر العربي سوى المديح والغزل والنسيب والرثاء والفخر . مع ان قليلا من البحث فى شعر المتنبي يكشفنا على منازع قومية حية تنبثق من قصائد المديح ، التى تجمع بين نظرته الانسانية الشاملة ، وعاطفته العربية الزاخرة ومن الخبل أن نذهب مع البعض الى أن الادب القومى عرض زائل والادب العالمى جوهر خالد . فخلود الادب العالمى ذى النزعة الانسانية لايجرد الادب القومى من طابعه وقوته وأثره الواضح فى تصوير منازع الأمم تصويراً يظل بارز الاثر مهما تصرمت السنون والاجيال . وهذا الادب يشغل مكانه السابق فى نهضات الشعوب وكفاحها . وهذه النزعة الهتلرية قد قضت أو كادت على كل أدب لا يصور النزعات القومية . ومثل هذا تجده فى تركيا الكمالية وفى ايطاليا الفاشيستية . والمتنبي الشاعر الذى كان يتخذ المدح وسيلة للتحدث عن

نفسه وتصوير الوان الانتكاس فى عصره ، والذى كان يرسل آراءه السديدة فى طباع الدهر ، كان من ناحية ثانية ، ينضح عن نزعة قومية صارخة . وهذا مايجب أن يلتفت اليه الشباب فى دراستهم شعر المتنبي . ودراسة شعره كدراسة حياته تهدى الشباب الى الكثير من هذه الشكوك التى تعترضهم فى كفاح الحياة . وشكوك الشباب فى عصرنا هكذا كثيرة : أينكمشون فى عزلة أم يتصلون بالعالم ؟ أتكون حياتهم حياة ترف وميوعة أم جهد وجلاد ؟ أيغامرون أم يكتفون بالتافه الحقير من أغراض الدنيا ؟ ان شاعرنا الحكيم الذى كان يصرخ من اعماق قلبه :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

والذى كان يرتفع بنفسه وشعره عن حياة الوهن والضعف والميوعة ،الى حياة القوة والمغامرة والكفاح والنصال وما إلى ذلك مما يطويه هذا البيت الذى يمثل نفسيته الطامحة أصدق تمثيل :

يقولون لى ما انت فى كل بلدة وما تبتغى ؟ مالبتغى جل أن يسمى

والذى كان « يطلب من زمنه مالا يطلبه الزمن نفسه » ــ هذا الشاعر الذى يمثل فى حياته روح المغامرة والجرأة والرجولة القوية ــ جدير بأن يكون رفيق الشباب ومنارتهم الهادية فى كفاح الحياة ــ هذه الحياة التى تتطلب من الشباب فى عصرنا هذا الثقافة الواسعة والوثوق من النفس والمغامرة والتضحية فى سبيل فكرة ــ وهذه هى الرجولة الحقة التى يلمسها الشباب واضحة الالوان والخطوط فى حياة ابى الطيب وشعره

سامى الكيالي

من حكم المتنبي

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم فى شأنه ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منـ ـه وان سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليـ ـه ولكن تكدر الاحسانا
وكأنا لم يرض فينا بريب الدّ هر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا
ومراد النفوس اصغر من أن نتعادى فيه وان نتفانى
غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا
كل مالم يكن من الصعب فى الانـ ـفس سهل اذا هو كانا

من نوادر ابى الطيب

بقلم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

كان لابن جنى هوى فى أبى الطيب وكان كثير الاعجاب بشعره وقد شرحه شرحاً مطولا وكان يسوؤه إطناب ابى على الفارسى فى الطعن عليه . واتفق ان قال ابوعلى يوماً : اذكروا لنا بيتاً فى الشعر نبحث فيه . فابتدر ابن جنى وأنشد :

حلمت دون المزار فاليوم لوزر ت لحال النحول دون العناق

فاستحسنه أبو على واستعاده وقال : لمن هذا البيت فانه غريب المعنى ؟ فقال له ابن جنى : هو للذى يقول :

ازورهم وسواد الليل يشفع بى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقال : والله وهذا أحسن فلمن هو ؟ قال للذى قال :

امضى ارادته فسوف له قد واستقرب الاقصى فثم له هنا

فكثر إعجاب ابى على واستغرب معناه وقال : لمن هذا ؟ فقال للذى قال :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فقال : هذا والله احسن ، ولقد اطلت يا ابا الفتح ، فمن هذا القائل ؟ قال ابن جنى هو الذى لايزال الشيخ يستثقله ويستقبح زيه وفعله . وما علينا من القشور اذا استقام اللباب !

قال ابو على : اظنك تعنى المتنبى ؟ قال : نعم . فقال : والله لقد حببته الى ونهض ودخل على عضد الدولة ، فاطال فى الثناء على ابى الطيب . ولما اجتاز به استنزله اليه واستنشده وكتب عنه أبياتاً من شعره

وقال ابن خلكان فى كتابه « وفيات الاعيان » نقلا عن شرح ابن جنى لشعر المتنبى ما نصه :

« سأل شخص أبا الطيب المتنبى عن قوله : « باد هواك صبرت أم لم تصبرا »

« فقال : كيف أثبت الالف فى (تصبرا) مع وجود لم الجازمة وكان من حقه أن يقول « لم تصبر » ؟ فقال المتنبى : لو كان ابو الفتح (يريد ابن جنى) ههنا لاجابك (يعنينى)

« وهذه الالف هى بدل من نون التا كيد الخفيفة . كان فى الاصل لم تصبرن ونون التأكيد الخفيفة اذا وقف الانسان عليها ابدل منها الفاً — قال الاعشى : « ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا » وكان الاصل فاعبدن فلما وقف أتى بالالف بدلا » اه

وقال ابو الفداء المؤرخ الحموى :

« قصد كافور الاخشيدى المتنبى ومدحه . وحكى المتنبى قال : كنت إذا دخلت على كافور الهده يضحك لى ويبش فى وجهى إلى أن انشدته :

ولما صار ود الناس خباً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن اصطفيه لعلمى أنه بعض الانام

« قال : فما ضحك بعدها فى وجهى الى أن تفرقنا . فعجبت من فطنته وذكائه » اه

وروى بعضهم : ان المتنبى رحل الى العراق بعد خدمته لسيف الدولة بن حمدان فى حلب . فاقام فى البرية وسئل عن ذلك فقال : « ان بنى حمدان كدروا خاطرى فجئت اريحه »

وقال ياقوت الرومى الحموى فى كتاب « معجم الادباء » :

« ومن خطه (أى من خط ابى على ابن ابراهيم بن هلال الصابىء) حدثنى والدى ابو اسحق قال : راسلت أبا الطيب المتنبى رحمه الله فى أن يمدحنى بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ووسطت بينى وبينه رجلا من وجوه التجار . فقال : قل له والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ولا أوجب على فى هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت ، وان أنا مدحتك تنكرلك الوزير يعنى أبا محمد المهلبى وتغير عليك لانى لم أمدحه . فان كنت لا تبالى هذه الحال ، فانا أجيبك الى ما التمست وما اريد منك مالا ولا عن شعرى عوضا . قال والدى : فتنبهت على موضع الغلط وعلمت أنه قد نصح فلم أعاوده » اه

وقال ياقوت أيضاً :

« وكان ابو العلاء المعرى يتعصب للمتنبى ويزعم أنه أشعر المحدثين ويفضله على بشار ومن بعده مثل أبى نواس وابى تمام . وكان المرتضى يبغض المتنبى ويتعصب عليه . فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبى فتنقصه المرتضى وجعل يتبع عيوبه . فقال المعرى : لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قوله :

« لك يا منازل فى القلوب منازل »

لكفاه فضلا ، ففضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من مجلسه . وقال لمن بحضرته : أتدرون أى شىء أراد الاعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فان للمتنبى ما هو أجود منها لم يذكرها . فقيل النقيب السيد اعرف ، فقال : أراد قوله فى هذه القصيدة

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

عيسى اسكندر المعلوف

حياة المتنبي

حياة متعبة ممزوجة بالدم

بقلم الاستاذ شفيق جبري

لم يخلق المتنبي لهذه الطبقات من الناس الذين يرغبون فى هدوء الحياة ، ويفتشون عن راحة الفكر ونعمة البال ، فالعيون الرقيقة التى تؤذيها حمرة الدماء ، والآذان الناعمة التى يؤلمها صهيل الخيل وقعقعة اللجم وصرير العوالى، والقلوب اللينة التى تخشى مغالبة الأيام ومطاعنة الدهر، لاتأنس بشعر المتنبي ، ولا تنعم بمطالعته . ان هذه الطبقة من الناس التى تحاول أن تعيش فى عزلة عن كل مغامرة فى الحياة تفر من شعر المتنبي وتستوحش منه ، فان بينه وبينها آفاقا مديدة ، فقلوب أهلها لا تخفق خفقان قلبه . فان شعره يضجرهم ويقلقهم

قضى أبو الطيب حياته كلها فى المغامرات والمنازعات فكانت هذه الحياة سلسلة شدائد . فالمتنبي لم يخلق للحياة الهادئة الذليلة وانما خلق لحياة الدوى ولحياة العز . فالذين يريدون أن تكون عيشتهم سالمة من كل ضيم بعيدة عن كل ذل ، فانهم يأنسون بشعر المتنبي فلا يبالون بتعب الاجسام وسفك الدماء ولا يحفلون بابر النحل دون الشهد — خلق المتنبي لهذه الطبقة من الناس الذين يهون عليهم رزء جسومهم فى سلامة عقولهم وأعراضهم فلا يحتملون الاذى ولا يغبطون الذليل ، يأخذون من هذه الدنيا مايمكنهم أخذه زاهدين فى كل زق وفى كل قينة ، راغبين فى الفتكة البكر وضرب أعناق الملوك . خلق المتنبي لهذه الطبقة فى الأمم التى لا تكسب المجد الا من تضارب السيوف ومن سنان الرماح . خلق لهذه الامم التى تقاتل فى سبيل العلى وفى سبيل السلم وتبنى مملكتها على الاسل وتطلب حقوقها بالطعن والضرب لان الدنيا لمن غلب

هذه هى الحياة التى أعد لها المتنبي . انها لحياة ممزوجة بالدم بعيدة عن الهدوء والسكينة مملوءة بالقلق والاضطراب كلها نزاع وكلها غلاب . ان الحياة التى يريدها أبو الطيب انما هى حياة القوة قاتل غالب . هذا هو الهدف الأعلى الذى يرمى اليه المتنبي

ولكن هل عاش أبو الطيب هذه العيشة التى وصفها فى شعره ؟ هل قلق هذا القلق ؟ هل اضطرب هذا الاضطراب فى حياته ؟ أو على تعبير أدق — هل كان بين حياة المتنبي الخاصة وبين شعره شيء من التناسب ؟

لست أعلم حياة ملئت بالجهاد من اولها الى آخرها مثل حياة المتنبي . كان فى أول أمره فى

خشونة من عيشه ورقة من حاله يعوزه كل شيء — يعوزه الناعم من الملابس والكريم من المطايا ، فقد توفى ابوه فقيراً فضرب أبو الطيب فى منا كب الشام التماساً للرزق وجال فى البوادى والحواضر ، ولم يكن له من المطايا إلا النعل والخف ولا من اللباس الا القطن الخشن . ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد وشماتة الشامتين وكيد الكائدين

وما زال على هذه الحال حتى اتصل بسيف الدولة ففرق فى مكارمه البدرات فكان سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والجوارى والخلع والجوائز والاقطاعات . ولكن نعمة مثل هذه النعمة لم تنج أبا الطيب من حسد الحساد وكيد الكائدين لانه زاحم فى حضرة سيف الدولة غيره من الشعراء على هذه النعم حتى مات بعضهم حسداً . فلئن شكا أبو الطيب الحسد وهو فى خشونة من العيش فاخلق به أن يضجر من الحسد وهو يتقلب فى ظلال النعيم . فصعب حينئذ على المتنبى أن يواظب على باب سيف الدولة : الشعراء يحسدونه ويوقعون فيه ويضربونه ، وسيف الدولة يهزأ به ويعبث ، فانه لم يصن عرض المتنبى ولاسلمت نعمته عليه من المنة والاذى

ترك المتنبى سيف الدولة وانحدر الى دمشق ثم إلى الرملة واتصل بأميرها الحسن بن طغج فهدده جماعة علويون فما كاد يسلم من حاشية سيف الدولة حتى أثاره وعيد آخر فكأن بينه وبين المصائب صلة رحم

غادر الرملة وقدم على كافور الإخشيدى فامر له بمنزل ووكل به جماعة وأظهر التهمة له وطالبه بمدحه ثم وقعت الوحشة بينهما فوضع عليه العيون والارصاد خوفا من أن يهرب ، وأحس المتنبى بالشر ، ولم يخل أبو الطيب وهو فى ظلال كافور من جماعة كانوا يغضبونه ويوغرون صدر كافور ، فما أشبه ما كان يقع له وهو عند كافور بما كان يقع له وهو عند سيف الدولة من ابتغاء الغوائل به . فلم يلبث بعد هذا كله ان عجل الرحيل فضرب فى البوادى متوجهاً نحو الكوفة . وتنكر له عبيده فى الطريق وفسدت نياتهم وأخذوا يسرقون الشيء بعد الشيء من رحله ولكنه نجا منهم إلى ان بلغ الكوفة . فتحركت نفس سيف الدولة فأنفذ اليه ابنه من حلب ومعه هدية وطمع فى رجوعه الى ظله ولكن أبا الطيب اعتذر من العودة إلى سيف الدولة خوفا من الوشاة

ثم ترك الكوفة وسار إلى بغداد فثقلت وطأته فى دار السلام على أهل الادب ووقع بينه وبين أبى على الخاتمى ما وقع ، ونا نجا من شر أبى على أصابه شر الوزير المهلبى وشر معز الدولة نفسه ونال شعراء بغداد من عرضه وتباروا فى هجائه وأسمعوه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه

فاتخذ الليل جملا وفارق دار السلام قاصداً الى حضرة ابن العميد ، فورد أرجان وأحمد مورده ، ثم ترك ابن العميد وسار إلى أبى شجاع عضد الدولة . وكان الصاحب بن عباد طمع فى زيارة المتنبى إياه باصبهان واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان وكتب اليه يلاطفه فى استدعائه

وضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم المتنبي له وزناً ولم يجبه عن كتابه ولا الى مراده ، فاتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته فى شعره وهفواته وينعى عليه سيئاته

لم يعرج أبوالطيب على حضرة الصاحب وانما قصد عضد الدولة بشيراز فانجحت سفرته وربحت تجارته بحضرته ووصل اليه من صلاته أكثر من مائتى الف درهم . واستطاب المتنبي الاقامة ببابه ثم استأذنه فى المسير عنه ليقضى حاجات نفسه ثم يعود فأذن له وأمر بأن تخلع الخلع الخاصة ويقاد اليه الحملان الخاص وتعاد صلته بالمال الكثير . ولكنه لما سار من حضرة عضد الدولة ومعه ابنه محسد وغلامه ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب السمينة والآلات ـ تعرض له قوم من بنى ضبة فقتلوه بعد ان قاتل قتالا شديداً

هذه خاتمة حياة المتنبي

ولكنى لم أخص هذه الحياة المتعبة إلا لأجعل صلة بينها وبين شعر المتنبي فاذا نظرنا فى طائفة من شعر المتنبي تبين لنا ان بين حياته الخاصة وبين هذا الشعر كثيراً من التناسب ، فعظم شعر المتنبي يكاد يكون صورة هذه الحياة التى مائت بالتعب والقلق والاضطراب . لم تكن الحياة فى نظر أبى الطيب حياة هدوء وراحة . فالذين يريدون أن يعيشوا هذه العيشة التى وصفها المتنبي ينبغى لهم أن يهيئوا أنفسهم لكثير من الجهاد . جاهد المتنبي فى حياته فزاحم ونازع وطاعن فكانت هذه الحياة المملوءة باجهاد والمزاحمة والمنازعة والمطاعنة ملء شعره ، فهو لم يصف هذا النوع من العيشة إلا بعد أن جربه وقاسى أهواله ولقى منه مالقى . فالحياة التى يريدها أبو الطيب انما هى الحياة السالمة من كل راحة ومن كل ضيم ، وإذا وازنا بين حياته الخاصة وبين فلسفته فى الحياة وجدنا صلة وثيقة بين هذين النوعين . انه لم يذق الراحة كل عمره . وإنه لم يتحمل الضيم فى ظلال سيف الدولة ولا تحمله فى ظلال كافور ولا تحمله فى ظلال الوزير المهلبى ، فالمتنبي يعرض لنا فى شعره نمطا من تعب الحياة وجهدها ثم يضرب لنا مثلا لهذا النمط. أماهذا المثل فهو حياته الخاصة من مبادئها الى خواتيمها. علام نخاف الموت فقد يقتل العاجز وهو آمن فى سربه ؟. والمتنبي لم يخف الموت حتى فى الايام التى تفتر فيها الاعصاب ويميل فيها الانسان الى الهدوء . فقد قاتل لما تعرض له بنو ضبة القتال الجديد فلم يجبن ولم يهرب

ما أتعب حياة المتنبي !

دمشق
شفيق جبري
عضو المجمع العلمى العربى

اذا كنت ترضى أن تعيش بذلة ... فلا تستعدن الحسام اليمانيا
تعيش الاسد الحيا من الطوى ... ولا تتقى حتى تكون ضواريا

الوصف في شعر المتنبي

بقلم الاستاذ انيس مقدسي

« . ان المتنبي برغم بعض سقطاته شاعر عظيم نعم انه لم ينصرف خاصة الى الوصف ، ولكن شعره عموماً وصف بليغ لعواطفه ولمناقب ممدوحيه واحوالهم . وهو يمتاز بدقة التعبير عن الحركات والنزعات . . »

الوصف نوعان حسي وخيالي ـ تقف الى نهر في واد كبير وترى تدفق المياه بين تلك الشواهق العظيمة فتأخذك روعة المنظر وتستفز فيك الميل ان كنت شاعراً الى وصف ما تراه من جمال وجلال فاذا أنت تصف أسناد الوادي وما عليها من الاشجار والكروم . وتصف تلك الصخور القائمة وانقضاض الماء من بينها ، وقد ترسم ما يتراءى لك في ذلك الوادي من ألوان تلقيها عليه ظلال المساء أو أشعة الفجر . وربما تعديت ذلك الى ما تراه من حيوان هناك ـ قطعان البقر أو الغنم ترعى في المروج أو الحقول ـ ولعلك ترى الفلاح يحرث الحقل ، أو تنظر الى السماء فترى قطع الغمام يسوقها راعي الريح ، أو قوافل الضباب تنيخ فوق قمم الهضاب . يؤثر كل ذلك فيك فترسمه بألوان خلابة تستفز في القارىء عواطف الطرب ، وتحبب اليه رؤية تلك المشاهد ، وهو ما نسميه الوصف الحسي وهو أن تصور لسواك ما استفز فيك عوامل الاستحسان من المحسوسات على اختلاف أشكالها وألوانها

أما الوصف الخيالي فنظر فني الى ما وراء المحسوسات ، فاذا كان الشاعر واسع الخيال لا يقف عندما يقع تحت حسه فقط ، بل يتعداه الى مناطق يفتتحها أمامه الخيال ، فيجعل المرئيات أساساً لغير المرئيات ، ويولد من المحسوسات صوراً مجردة يرسمها للبشر تأملات وذكريات . يقف مثلا في قلب الوادي فيسمع فيه نبضات الحياة ويمر أمامه على صفحات الماء حوادث التاريخ فيذكر الأمم الغابرة والوقائع الماضية ، ويستخلص من ذلك عبر الايام وعلاقتها بازدهار المدنيات واندثارها وما الى ذلك مما يستخدم فيه الحس توصلا الى صور الخيال البعيدة

واذا تأملت شعر المتنبي وجدته ـ كأكثر الشعر العربي ـ معنياً بالوصف الحسي دون الخيالي . ويتناول المناقب البشرية والمشاهد الطبيعية والعمرانية ووقائع الحرب والفروسية . وهو عادة دقيق جيد الديباجة يثير العاطفة ويهيجها

ولنتقدم الآن الى النظر في رسومه الشعرية المختلفة

ويدخل فيها المديح والغزل والفخر أما المديح (مدح الحي أو رثاء الميت) فمذهبه في أكثر قصائده ولا يخرج فيه عما ذهب اليه سواه من وصف مكارم الممدوح وذكر أعماله وصفاته ، سداه ولحمته الاطناب والمبالغة ، فالممدوح هو المثال الاعلى في الشجاعة أو الكرم أو علو الهمة والاقدام على العظائم . ويصدق ذلك أيضاً على وصفه الغزلي . فان القطع الغزلية التي يصوغها مقدمات لقصائده تدور على وصفه لشدة الوجد وأثره في المحب من سقم وسهاد وعناء وألم . وله في ذلك ما يعد فنياً من الطبقة الاولى كقوله في نظرة المحبوب :

يا نظرة نفت الرقاد وغادرت في حد قلبي ما حييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي انما أجلي تمثل في فؤادي سولا

ومن بديع فنه في هذا الباب

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا
المنهبات عقولنا وقلوبنا وجناتهن الناهبات الناهبا
حاولن تفديتي وخفن مراقباً فوضعن أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه من حر أنفاسي فكنت الذائبا

أما وصفه الفخري فينم عن شخصية جبارة يجتمع فيها العنف والأنفة وطلب المعالي :

أهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد
وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالد

وفي فخره وصف دقيق لعواطف نفسه ولتأثير البيئة فيه ، وقلما تجد شاعراً ترتسم خوالجه في شعره ارتسامها في شعر المتنبي . وما ديوانه ولا سيما الفخر والحكم فيه إلا مرآة تعكس لنا نفسية ذلك الشاعر الكبير ويبرزها في أجل الألوان وأشدها تأثيرا في النفس . ولا يدانيه في ذلك إلا ابو تمام ، ولكن المتنبي يفرقه في جمال التعبير وجلال المطلب ودقة النظر في الحياة

المناظر الطبيعية والعمرانية

ليس للمتنبي في هذا الباب ما لسواه من الوصافين . والغريب انه اختبر حياة البادية والحضر فجاب السهول والجبال وتقلب في شتى الامصار ، ومع ذلك لا نرى ان مناظر الطبيعة والعمران من أنهار وبحار وجبال وقفار ورياض وقصور وآثار قد أثارت قريحته ودفعتـه الى التمتع بوصفها فها هو مثلا يمر بلبنان ويرى ما فيه من شواهق ووهاد ، وما وهبته الطبيعة من جمال يخلب الألباب فلا يذكره إلا عرضاً إذ يقول للممدوح :

بينى وبين أبى على مثله شم الجبال ومثلهن رجاء
وعقاب لبنان وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهن شتاء
لبس الثلوج بها على مسالكى فكأنها بياضها سوداء

والوصف هنا جميل ولكنه غير كاف للدلالة على ميل خاص فى الشاعر الى وصف الطبيعة وقد رأى العاصى والأردن وأقام على ضفافهما ، وهبط مصر وجاور النيل الأهرام ، وعرف دجلة والفرات واتحادهما بشط العرب العظيم ، ورأى الى كل ذلك كثيراً من المناظر الخلابة ، والمشاهد المثيرة للشعور ، وليس له مع كل ما عر ورأى وصف يذكر إلا بضعة أبيات فى شعب بوان نظمها فى وصف طريقه الى شيراز . فقال منها

غدونا تنفض الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الحر عنى وجنّ من الضياء بما كفانى
وألقى الشرق منها فى ثيابى دنانيرا تفر من البنان
لها ثمر تشير اليك منه بأشربة وقفن بلا أوان
وأمواه تصل بها حصاها صليل الحلى فى أيدى الغوانى

وقائع الحرب والفروسية

وهنا يبلغ شعره الوصفى أعلاه . فالمتنبى فارس ، خاض غمرات الحروب وعرف وقائعها ، فاذا وصف الكتائب وعراك الأبطال ساق الكلام على سجيته وجاء بالنظم الفائق . وهو يمتاز بتصوير الحركات وما يثيرها من نزعات ، فاذا وصف معركة لم يكتف بذكر عظمة الجيوش ومعداتها الحربية بل نظر نظراً دقيقاً الى حركات الفرسان ومضاء خيولهم كقوله :

تبارى نجوم القذف فى كل ليلة نجوم له منهن ورد وادهم
يطأن من الأبطال من لا حملنه ومن قصد المران ما لا يقوم
فهن مع السيدان فى البر عسل وهن مع النينان فى البحر عوم
وهن مع الغزلان فى الواد كمن وهن مع العقبان فى النيق حوم

ويجرى مجرى الوقائع الحربية أعمال البأس فى الانسان والحيوان . وفيها أيضاً يظهر ميل المتنبى الى وصف الحركة والنزعات الداخلية ، وأهم ماله فى ذلك تصوير الأسد فى قصيدته لابن عمار وقد أصاب ابن الأثير إذ فضله فى ذلك على البحترى فقال :

« إن معانى أبى الطيب أكثر عدداً وأسد مقصداً » . وأساس هذا التفضيل أن المتنبى تفنن فى ذكر الأسد فوصف صورته وهيئته ووصف أحواله فى انفراده وفى هيئة مشيه واختياله ، ووصف خلقه (من بخل وشجاعة) وشبه الممدوح به فى الشجاعة وفضله عليه بالسخاء ، ثم انه

عطف على ذكر الانفة والحمية التى بعثت الاسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح ، وأخرج ذلك فى أحسن مخرج وأبرزه فى أشرف معنى ،

واذا تأملت كلام ابن الاثير فى المتنبي رأيته محمولا على ما ذكرناه لشاعرنا من وصف الحركات والاحوال والنفوذ الى النزعات النفسية العميقة . فانظر كيف ينتقل من وصف هيئة الاسد ولونه وبأسه وعينيه ووحدته فى الغاب الى وصف حركاته فيقول

يطأ الثرى مترفقاً من تيهه ... فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه ... حتى تكون لرأسه إكليلا

حتى اذا شاهد ابن عمار مقترباً منه :

ألقى فريسته وبربر دونها ... وقربت قرباً خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان فى اقدامه ... وتخالفا فى بذلك المأكولا

واليك هيئته وهو يستعد للوثوب

ما زال يجمع نفسه فى زوره ... حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه ... يبغى الى ما فى الحضيض وصولا

ثم يلتفت الشاعر الى نفسية الاسد فيصف جرأته - بل تهوره وغروره - ويقرن ذلك بحكمة عامة قرناً يمتاز به شعره فيقول :

وكأنه غرته عين فادنى ... لا يبصر الخطب الجليل جليلا
أنف الكريم من الدنيئة تارك ... فى عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس يخافه ... من حتفه من خاف مما قيلا

ومن هنا يتقدم الى وثبة الاسد الهائلة ومصادمة الممدوح إياه حتى :

خذلته قوته وقد كافحته ... فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقه ... فكأنما صادفته مغلولا

هذا الوصف الشائق الذى يتناول الحركات والاحوال ، وينفذ الى العواطف فيربطها برابطة الحكمة العالية ، ويجعل من الحوادث عبر الحياة الخالدة ، هو الاسلوب العالى الذى عرف به المتنبي فى تاريخ الادب العربى

والخلاصة أن المتنبي برغم بعض سقطاته شاعر عظيم . نعم انه لم ينصرف خاصة الى الوصف ، ولكن شعره عموماً وصف بليغ لعواطفه ولمناقب ممدوحيه واحوالهم . وهو يمتاز بدقة التعبير عن الحركات والنزعات ، ولا بدع فحياته كلها حركات ونزعات . وأحسب أنه لو انصرف الى وصف الطبيعة والعمران لكان له من القلائد ما يعد من مفاخر الشعر

انيس مقدسي

أبو الطيب في مصر

نبي في بلاد الوحي لا يوحى اليه

بقلم الاستاذ محمد شوكت التوني

كانت حالة مصر الاجتماعية والسياسية فى ذلك العصر على اسوأ ما تكون حالات الامم فى عصور الانحلال . فكانت الدولة العباسية قد طال بها الزمن وبدلت بعد منعتها تفككا وبعد عزتها ذلة . وأدبرت عنها الدنيا وهانت سطوتها . وولى الموالى الاقطار . وأى شر على الامم وأى المصائب على الدول أعظم من أن يحكمها العبيد ويسودها الاذلاء ؟

وكانت مصر قد آلت ولايتها الى محمد بن طغج بعد ان وليها بعض الموالى أمثال أبى منصور تكين الخزرى واحمد بن كيغلغ ، ومحمد بن كغج وان لم يكن من الموالى، وهو من نسل ملوك فرغانة الا أنه لم يكن الكفء لولاية مصر وقد استقل بها بعد قليل عن الخلافة العباسية . ولما انتهى أمره بالوفاة وتولى بعده أبو قاسم انوجور ابنه وكان صغيراً قام كافور بتدبير الدولة عنه وكذلك لما توفى أبو قاسم وتولى أخوه ابو الحسن على وكان صغيراً قام بتدبير الملك كافور فلما مات أبو الحسن استقل كافور بالملك

من هو كافور

اختلفت أقوال الرواة فى كافور وقد اجمعوا أولا على أنه كان عبداً خصيا وأنه كان من موالى محمد بن طغج الاخشيد ولكن بعضهم أقذع فى ذمه ووضعه

على ان المعقول استقراء ومنطقا أن يكون كافور قد وصل الى تدبير الملك فى عهد الملكين الصغيرين عن جدارة حقة خاصة ، وقد روى ان محمد بن طغج قد ولاه قيادة الجيش الذى أرسله لمقاتلة سيف الدولة فى عام ٣٣٣ هـ عند مهاجمته لحمص ودمشق فى سوريا وكذلك تولى قيادة الجيش الذى حارب سيف الدولة عند ما استولى على دمشق فى ولاية أبى قاسم وانتصر على سيف الدولة

فليس عبداً عادياً ذلك الذى لا يجد محمد بن طغج من هو أكفأ منه لقيادة الجيش ومحاربة سيف الدولة . وليس عبداً عادياً الذى يدبر أمر مصر من ٣٣٤ هـ الى ٣٥٧ أى نحو ثلاث وعشرين سنة

اذن لا بد أن يكون كافور شخصية كبيرة فيها ذكاء ومضاء وقوة وهمة وطموح وحزم وعزم . والذى عرف عنه أنه قد كان معنيا بالعلم والادب . وكان من عنايته ان بعث فى استقدام « ابى الطيب المتنبى الى مصر »

استقدام المتنبي

وكان الثرى قد جف بين المتنبي وسيف الدولة إذ بقي يمدحه وهو ملازمه مدى تسع سنوات وكان يؤمل أن يقطعه ولاية يتولى أمرها . وقد كان المتنبي بعيد المطامع يرمي بآماله الى مدى واسع في الحياة . فقد نشأ نشأة وضيعة . وكان أبوه سقاء . فتعلم ونبغ وتلفت حوله فلم يجد له نداً . وقيل ان اعجابه ببلاغته قد جعله يدعي النبوة وقيل إنه وضع كتاباً وجعله « قرآناً »

والى هذا الاعجاب بأدبه كان يظن نفسه قد خلق لمهمة اجتماعية سياسية فكان يكثر من وصف نفسه بالشجاعة . ومن قوله في ذلك :

ومهمه جبته على قدمي ... تعجز عنه العرامس الذلل
بصارمي مرتد بمخبرتي ... مجتزىء بالظلام مشتمل
في سعة الخافقين مضطرب ... وفي بلاد من أختها بدل

وكان لاعجابه بنفسه واعدادها لمهمة عظمى يصد عن مجالس اللهو وكان جاداً لا يعرف المجون ولا يتنزل الى ما يتنزل اليه غيره من الشعراء الذين أثر عنهم ذلك . كما أنه لم ينصرف الى الحب والغزل. وكان يكثر من الفلسفة والحكم في غزلياته والعهد في الحب أنه قليل الصلة بالحكمة والفلسفة !. كل ذلك لانه كان يطلب مطلباً في الحياة عظيما حتى قال :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة ؟ ... وما تبتغي ؟ ما ابتغي جل أن يسمى

فالذي جل أن يسمى من مطلبه اما النبوة أو الخلافة . أو على الاقل الامارة !

ولم لا ! وقد كان يرى الموالي العبيد تحكم البلاد وتقوم على ولاية أعمال الخلافة . وهل العبيد أجدر منه وأكثر كفاءة واسمى همة وأشد استحقاقا وهو الذي لا يرى في الوجود من يدانيه أو يماثله ؟ اذاً فقد طمع المتنبي من سيف الدولة في أكثر من المال فلم يوفق فتركه إلى دمشق وكان بها رجل يهودي من أهل تدمر يعرف بابن ملك يقوم بأمور كافور الاخشيدي فيها فسأل المتنبي ان يمدحه فثقل عليه ولم يفعل . فغضب اليهودي وجعل كافور يكتب في طلب المتنبي فكتب اليه بذلك فقال المتنبي : «لا. لا أقصد العبد وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده » ثم ذهب بعد حين الى الرملة فارسل اليه كافور رسولا يستقدمه . ولا ريب عندي ان هذا الرسول قد ألقى في روع المتنبي أنه إذا سافر إلى مصر فان الطريق إلى ولايتها أو الامارة على ولاية منها قريب غير بعيد بدليل أن المتنبي بعد امتناعه الطويل أسرع بعد لقاء الرسول إلى لقاء كافور يحمل اليه الخرد من القصائد التي لا نظير لها في المدح ويقول له كاذباً إنه كان مشتاقا الى رؤيته وكان يرجو هذا اللقاء :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا ... اليه . وذا اليوم الذي كنت راجياً

مع ان حقيقته قد كشفته وخديعته قد وضحت من مطلع قصيدته التي لاقى بها كافوراً إذ قال :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا ان يكن أمانيا

فلقد كان الالم يمضه لاضطراره إلى الرحيل إلى كافور . ويحسب بينه وبين نفسه أنها سخرية من القدر أن يركب ذلك المركب الصعب فينزل من علبائه الى أسفل موضع فيمدح عبداً خصياً ! لا يدانى فى رأيه الثرى الذى تطأه قدمه بل إنه يجد فى ذلك الموت

أبو الطيب في مصر

نزل أبو الطيب وادى النيل ، كنانة الله فى أرضه ، حيث الجنة الغناء ، التى تنضر وجه الارض والتى تقف بسمة وضاءة فى فم الدهر . ووطىء الوادى الخصيب ، الزمردة الخضراء حيث الزرع واضح النضج قوى العود ، والنيل يشق الوادى ميمون الغدوات ، مبارك الروحات ، يمثل القوة والعظمة والجمال والجلال والرحمة

الى هذا الجمال والجلال ذكريات ماض منسوجة على رقعة من بلاد الوادى . وعلى كل صفحة من صفحات التاريخ . كل هذا عاش فيه أبو الطيب المتنبي ورآه بعينه وتمتع به من نواحى حواسه ولمسه ، وتذوقه ، فما حرك له شاعرية ، ولا أثار منه العبقرية ، ولم ينبض له عرق فيه ، ولا اهتزت له نقطة من دمه ، ولا مال اليه شعاع من فكره ، ولا طوف حوله شارد من خياله !

فيا للعجب ! كيف تحيا العبقرية فى بلاد الوحى ولا تثور ولا تنتج ولا تفيض ؟ كيف يعيش البلبل فى الروض الانيق وتحت ضوء القمر ولا يرسل الاغانى صعداً فى السماء كالسحر أو أبلغ موقعاً ؟ كل هذا يفسره أمر واحد وهو أن المتنبي جاء الى مصر غازياً طامعاً مطالباً ولم يدخلها شاعراً . والدليل على ذلك أنه ترك كل ما فى مصر من جمال وجلال ، وكرس وقته لا قبح ما فيها ومن فيها . فقال فى كافور :

ولكن بالفسطاط بحراً أزرته حياتى ونصحى والهوى والقوافيا

ثم علا به الى اسمى ما يصل اليه وصف الكريم فقال :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

وفى هذه القصيدة لمح المتنبي بما فى نفسه من مطمع فقال :

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا

ويطول نفس ابى الطيب فى مدح كافور . ويقول كل يوم . فيقلب الحقائق ويهاجم قدرة الخالق سبحانه . ويغير من أصول الطبائع ويكذب . ويكذب ويضاعف كذبه . وهو أعرف الناس بأنه يكذب . ولكن الطمع يذل أعناق الرجال . ويظهر له المتنبي فى مظهر المهمل غير المكترث لمطلبه فيذكره بأمره مادحاً نفسه مزكيا كفاءته مبيناً فضائله . مقدماً مستنداته ! فيقول

وانى لنجم تهتدى صحبتى به إذا حال من دون النجوم سحاب

وأصدى فلاأبدى إلى الماء حاجة ... وللشمس فوق اليعملات لعاب
وللسر منى موضع لا يناله ... نديم ولا يفضى اليه شراب

والى هنا لا يطيق المتنبي سكوتاً ولا يستطيع صبراً ، فيصارح كافوراً بما فى نفسه قائلا :

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا ... ودون الذى أملت منك حجاب
وفى النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتى بيان عندها وخطاب

ولكن كافوراً لا يسمع لهذا النائح . فيقول له أخيراً قولة الخائب ويصيح به صيحة اليائس :

أمولاى هل فى الكأس فضل أناله ... فانى أغنى منذ حين وتشرب

غير أن كافوراً ظل « يشرب » ولم يصغ إلي غناء المتنبي فسكت هذا عن التغنى !

وجرى الواشون بالوشاية . وبلغ الياس من نفس المتنبي منتهاه فلما وجد فرصة لدى أبى شجاع فاتك مدحه فأجزل له العطاء . ولكن ذلك لم يدمل الجرح الناغر . فهرب المتنبي من مصر. وقبل ان يخطو خطوة خارج حدود الديار اقذع فى هجو كافور بقصيدته المشهورة :

عيد بأية حال عدت يا عيد ... بما مضى أم لامر فيك تجديد
أما الاحبة فالبيداء دونهم ... فليت دونك بيدا دونها بيد

ويذكر أبو الطيب انه دخل مرة فوجد كافوراً حافياً ورأى شقوقا فى قدميه فقال قصيدته المعروفة . ولعله فى الحقيقة اخترع مسألة شقوق القدمين زيادة فى التشنيع والنكاية :

اريك الرضا لو أخفت النفس خافياً ... وما انا عن نفسى ولا عنك راضيا
أميناً واخلافا وغدراً وخسة ... وجبناً أشخصاً لحت لى أم مخازيا
وتعجبنى رجلاك فى النعل انني ... رأيتك ذا نعل اذا كنت حافيا

ويظهر انه تنبه إلى هذا الخلط . والاسفاف المشين وهذا الانحطاط الخلقى الفظيع . بين ثناه فى المدح واسراف فى الذم فأراد أن يعالل ذلك فقال :

أخذت بمدحه فرأيت لهواً ... مقالى للاحيمق حليم
ولما أن هجوت رأيت عياً ... مقالى لابن آوى يا لئيم

وهكذا ترى ذلك الشاعر العبقرى دخل مصر طامعا يسيل لعابه وتطوف برأسه أحلام . فنزل قدره ونزل عن مكانته وبذل كل مافى وجهه من ماء رخيصاً وأغمض جفنيه عما حواليه من مرئيات . واعتنق دين الكذب والنفاق فمدح كافوراً حتى جعله الهاً يصرف الريح والشمس و بعمل قبحه وحسن عيوبه وزين مساوئه . فلما لم يصب عنده مطلبه هوى به الى أحط ما ينزل القادح بخصمه فجعله اقبح من فى الحياة وألأمهم بعد أن سبق فجعله الكمال فى صورة انسانية !

محمد شوكت التوني
المحامى

الحياة الفنية في عصر المتنبي

ماذا بقى من آثارها

بقلم الاستاذ حسن محمد الهوارى

الامين بدار الآثار العربية

المتنبي في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى وكانت الدولة العباسية في القرنين الثاني والثالث الهجريين قد بلغت من الحضارة أقصاها واستفدت كل قواها حتى بلغت الغاية في جميع الفنون والآداب والعلوم ثم اخذت منذ أوائل القرن الرابع الهجرى تتفكك أجزاؤها وتستقل الولاة بالاقاليم نائية عن مركز الخلافة تضعافاً للخلفاء وكان الامراء والوزراء بل والوالى يعلمون الخلفاء ويولون من يتوسمون فيهم الضعف ليبقى الامر في أيديهم ، فكانت الدولة العباسية في هذا العهد دولة عجيبة الوضع . فبينما نرى الخليفة العباسي منكمشاً في قصره لا يملك من الامر شيئاً نرى أمراء دولة بنى حمدان على حدود بلاد الروم فى حرب سجال . ومع استقلال أمرائها عن الخلافة فانهم كانوا يدافعون عن الاسلام باستبسال وشجاعة وكان الخلفاء يعقدون لهم الالوية ويخلعون عليهم الخلع يلقبونهم بالسيف الدولة وناصر الدولة نظراً للوظيفة التى كانوا يؤدونها من حماية الثغور ودفاعهم عن الدولة وقيامهم بالحروب توغلا في البلاد الاجنبية ثم ترى دولة بنى مزيد بفارس وقد خلع الخلفاء على أمرائها وقلدوهم الوزارة والامارة ولقبوهم بعماد الدولة

ج في عهد الطايع لله ... ايها سطران ... كتابة كوفية أحدهما عكس الآخر ... صور حيوانات ... في وسط كل منها كلمة « الملك » بخيوط من ذهب

قطعة من الخشب مزينة بالرسوم البديعة ومنقوش عليها كتابات بالقلم الكوفي المتقن يرجع عهدها الى دولة بني بويه
[من مجموعات دار الآثار]

وعضد الدولة وركن الدولة كأن الدولة كانت قائمة بهم وعليهم مع أنهم شيعة متعصبون لمذهبهم وهم أول من أحيى مأتم الحسين في يوم عاشوراء ، أحياه معز الدولة في سنة ٣٥٢ هـ فألزم الناس باغلاق الاسواق ومنع الطباخين من الطبخ ونصبوا القباب وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا النساء منشورات الشعور يقمن المأتم على الحسين بن علي رضي الله عنه ، فكان هذا أول يوم وقعت فيه هذه العادة الشيعية في بغداد على مسمع ومرأى من الخليفة العباسي ثم ترى الاخشيديين في مصر شيعة مستقلين يتوارثون الحكم في أبنائهم بأمر من الخليفة العباسي

عاش المتنبي في هذا العصر المضطرب واضطر أن يتصل بأمراء هذه الدول المختلفة المرعاب وأن يمدحهم بشعره إذا كانت علاقته بهم حسنة ، وأن يهجوهم إذا عضوا عليه أو عضت منهم وكان أول اتصاله بسيف الدولة بن حمدان بكافور الاخشيدي ثم بعضد الدولة بن بويه

وبالرغم من هذه الاضطرابات فقد كانت الحياة الادبية في أوج عزها وبلغ ملعاً عظيماً وكان المتنبي زعيم عصره بل اتفق اهل الادب على انه لم يبلغ بعده في الشعر من بلغ شأوه

وقد قال الشعر في عصر الذي فيه والوصيف ويقال إن الخليفة العباسي اض كان شاعراً محباً للعلماء وهو آخر خليف مدون ومن

كل صعو الى كبد كل الى حد
ومصير الشباب للـ
در در الشيب من وا
أيها الآمل الذي في لمه الم
بين من كان قبلنا ه ولا
رب فاغفر لي الخطـ من

وقال الشعر في ... سنة ٩٠٠ شاعر نظم قصيده ذكر فيها اخبار العالم وقصص الانبياء وسئل قيل مو ... كم بلغت قصيدتك الى الآن ؟ فقال ثلاثين الفاً وماءً

ولم يكن نظم الشعر في هـذا العصر مقصوراً على الأمراء والمتعلمين بل ان اميّاً يجهل القراءة والكتابة اسمه نصر بن احمد ابو القاسم البصري اشتهر بالخبزأرزي لانه كان يحبر حبر الارز ليكسب كان ينشد الشعر في دكانه الذي كان يحبر فيه الارز وكان الناس يزدحمون عليه لاستماع شعره ويمحضون من حاله ، ولجزالة شعره جمع له احد الشعراء المعاصرين ديواناً عنى بتدوينه ومن بديع نظمه قوله

بت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما ... هلال الدجى من هلال الشعر
ولولا التورد في الوجنتين ... وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب ... وكنت أظن الحبيب القمر

ولم يقف انتشار الشعر في هذا العصر عند هذا الحد بل قيل في كل شيء وكتب على كل شيء. ومن الغريب ان نعثر لأول مرة على شاهد قبر من هذا العصر في مجموعة الشواهد المحفوظة في دار الآثار العربية بالقاهرة نقش عليه بيت من الشعر بدلا من الآيات القرآنية التي كانت تختار عادة للعظام او للدعاية لتعاليم الدين الاسلامي مع ذكر الشهادتين ، وغير ذلك من عبارات جنائزية

جزء من سور الحرم الشريف الذي حبره علي أبو الحسن بن الاخشيد سنة ٣٥٠ هـ

كالتذكير بالحساب والجنة والنار والوعد والوعيد والبعث وقيام الساعة ترى عوضاً عن هذا كله بيتاً من الشعر هذا نصه

كل العباد على الحيوة حريص والموت كأس ليس منه محيص

وليس لي ان أتكلم عن الحياة الادبية في عصر المتنبي أكثر من ذلك بل أردت مما سبق ان امهد لكلمتي عن الحياة الفنية الأثرية في هذا العصر

* * *

ان دراسة الفنون والصناعات في عصر المتنبي ليست هينة لانه لم يبق لنا من تحف هذا العصر وآثاره شيء كثير

والدول التي نريد أن نبحث مخلفاتها وآثارها هي الدول الثلاث التي احتلط بها المتنبي وعاصر امراءها وهي دولة بني حمدان والدولة الاخشيدية ودولة بني بويه

دولة بني حمدان

عاشر المتنبي من امرائها سيف الدولة (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ) وكان ملكه يشمل حلب والعواصم ثم دمشق أخذها من الاخشيديين وكان أخوه ناصر الدولة على الموصل والجزيرة ولم يبق لنا الزمن من آثار هذه الدولة إلا قطعاً من عملة عليها اسم سيف الدولة ولكن المؤرخين يقولون ان سيف الدولة بنى داراً بظاهر حلب اعظمت فيها النفقة نزلها امبراطور الروم بعد احدى الوقائع التي انكسر فيها سيف الدولة سنة ٣٥١ هـ وأحصى بها ثلثمائة وتسعين بدرة دراهم ومن السلاح ما لا يحصى ثم نهبها وأحرقها وأحرق بلاد حلب

الدولة الاخشيدية

استقل الاخشيديون بمصر في سنة ٣٢٤ هـ وفي عهدهم لم تذق البلاد طعما للراحة وقد حالت الحروب الداخلية التي وقعت في ذلك العهد دون ترقي الصناعة ولذلك لا تجد في التاريخ ذكراً لعمارة هامة شيدت في عهد هذه الدولة التي امتد سلطانها إلى الشام والحجاز وقد نزل الاخشيديون في مبدأ أمرهم في مصر في دار الامارة التي كان بناها صالح بن علي أول ولاة بني العباس في مدينة العسكر ، وذلك لان القصر والميدان في القطائع الطولونية كان قد خربهما محمد بن سليمان قائد الخليفة العباسي المكتفي بالله عند ما أتى على أمراء الدولة الطولونية

ورغب محمد بن طغج الاخشيد ان يبني في حريرة الروضة قصراً يسميه المختار ، فطلب مخطط الموقع وتقدير النفقة فخطوا له بستاناً فيه دار للغلمان ودار للنوبة وحرائن للكسوة وحزائن للطعام وصوروه وأتوا به اليه فاستحسنه وقال كم قدرتم النفقة ؟ قالوا ثلاثين الف دينار فاستكثرها فلم يزالوا يضعون من التقدير حتى صار خمسة آلاف دينار فأذن في عمله ولما شرعوا فيه ألزمهم المال من عندهم فقسط على جماعة وفرغ من بنائه فاتخذه الاخشيد متنزها له وصار يفاخر به أهل العراق

ومن العمائر التي ذكرها التاريخ للاخشيديين في مصر اصلاحهم جامع عمرو في سنة ٣٢٤ هـ

وفي سنة ٣٤٦ هـ بنى كافور الاخشيدي على بركة قارون (موضعها الآن شارع بالبعالة) أنفق عليها مائة الف دينار ولكنه انتقل منها بعد أن سكنها بضعة أيام لوباء وقع في غلمانه من بحار البركة

كل ذلك اندثر ولم يبق له أثر وكل ما بقي من زخرف من عهد هذه الدولة في مصر هي قطع من الخزف ذي بريق ذهبي عثر عليها في أطلال مدينة الفسطاط زخارفها بين الطولونية والفاطمية رؤى اعتبارها من مصنوعات هذا العهد لان صناعة الخزف ذي البريق الذهبي عرف في مبدأ الامر في عهد الدولة الطولونية وترقى إلى ان بلغ غايتها في عهد الدولة الفاطمية فمرت أثناء حكمها على الدولة الاخشيدية وفي قطع الخزف التي عزوناها الى هذه الدولة زخارف تبين مرحلة الانتقال من العصر الطولوني الى العصر الفاطمي كما اننا نرى امضاء الصانع في قاع صحن واسمه « رمضان »

وقد عثرنا في السنين الاخيرة على عدة قطع من المنسوجات عليها أسماء الخلفاء العباسيين اكثرها من عهد المطيع الذي كانت الدولة الاخشيدية في عهده تحكم مصر ومكتوب على بعض هذه القطع انها صنعت في بعض المدن المصرية كما ان الكثير منها حوى زخارف ونصوصاً بالقلم الكوفي المطرز أو المنسوج بالحرير وأحيانا بالذهب ومن أحسن المنسوجات التي من عهد هذه الدولة قطعة من النسيج عليها سطران بالخط الكوفي أحدهما عكس الآخر يتضمنان اسم المطيع وألقابه ويحصران بينهما شريطا به صور حيوانات كتب في وسطها كلة « الملك » محيوط من ذهب

والأثر الثابت الوحيد الباقي من عهد الدولة الاخشيدية هو جزء من سور الحرم الشريف القدس عمره الأمير علي أبو الحسن الاخشيد في سنة ٣٥٠ هـ ونقش عليه بالخط الكوفي قليل التشجير البارز الملفوف اسمه واسم الأسـ بو المسك كافور الأخشيدي وألقاب من تولوا العمارة النقش في هذا التعمير ويظهر ان السبب في اصلاح هذا الجزء من السور هو ان الاخشيديين كانوا يقومون في القدس بالقرب من هذا الموضع

شاهد مؤرخ سنة ٣٢٤ هـ . نقش عليه بيت من الشعر بدلا من الآيات القرآنية ونص المكتوب هو

(١) بسم الله الرحمن الرحيم
(٢) كل العباد على الحيوه (٣) حريص
والموت كأس ليس (٤) محيص
هذا قبر (٥) مرونة ابنت اسحق بن مهدي
(٦) رحمة الله ومغفرته ورضوانه (٧)
توفي (كذا) يوم الخميس لخمس (٨) (كلتين)
ذي الحجة سنة أربع (٩) وعشرين وثلاث مائة

وقد شاهدنا في شواهد قبور من حد الثالث الا ه مدونة
بها كتابات بالقلم الكوفي الجميل من عهد هذه الدولة أيضا

دولة بني بويه

يقول المؤرخين إن معز الدولة بن بويه شرع في سنة ٣٥٠ هـ في بناء دار هائلة
بغداد وأخرب لاجلها وقصور وقلع أبواب الحديد التي كانت على أبواب مدينة المنصو
والزم الناس ببيع أملاكهم ليدخلها في البناء ونزل في الاساسات ستة وثلاثين ذراعا فلزمه من
المرتبات عليها الى أن مات ثلاثة عشر الف الف درهم وصادر الدواوين وعيرها وكان
يحمل له شيء أحرجه في بنائها وقد درست هذه الدار من قبل سنة ستمائة ولم يبق لها أثر

وزر عضد الدولة بن بويه مدينة برسوليس التي بدأ انشاءها دارا الاكبر فاعجب بها واحض
من قرأ له ماعلمها من نصوص قديمة ثم أمر فنقشوا أسفل الكتابة بالخط العربي ما نصه « حضر
الأمير بو الدولة عضد الله في صفر سنة أربع واربعين وثلثمائة وقرىء له ما في ها

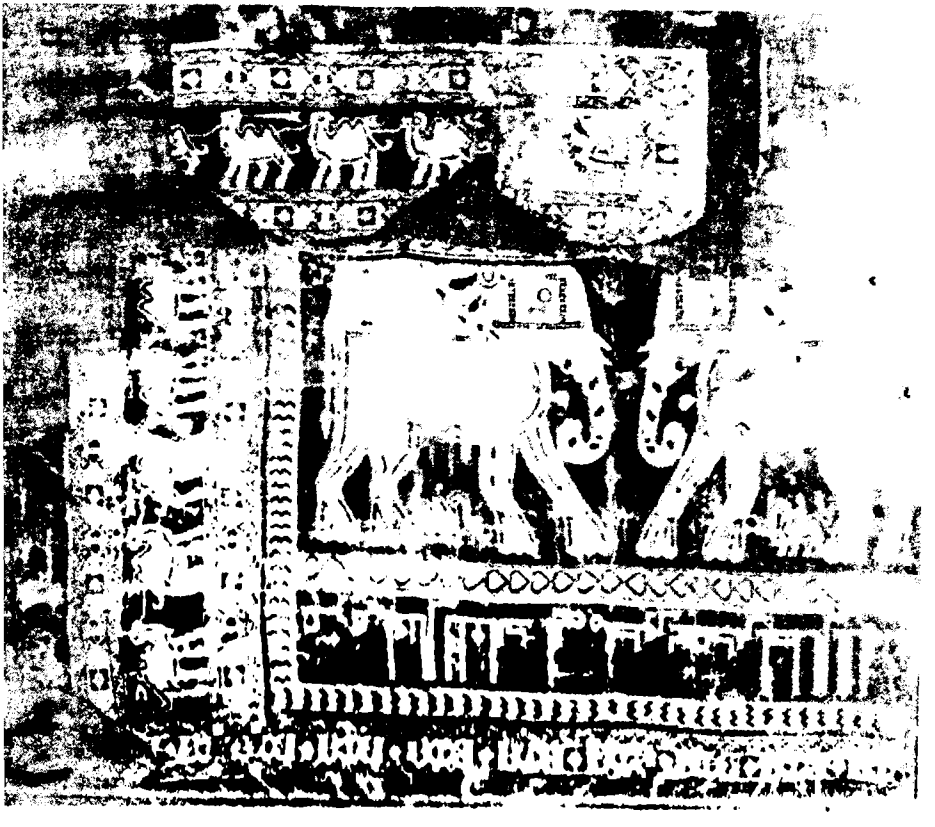

واقف
(بحفر بحف الاوفر)

الآثار من الكتابة قرأه على بن السري الكاتب الكرخي وحرر سعيد الوبذ الكازروني »

وعرض في معرض الفن الفارسي الذي انعقد بلندن في أوائل سنة ١٩٣١ بعض حشوات من خشب عليها كتابات من عصر دولة بني بويه تضمنت نصوصا شيعية ومدحا في أهل بيت رسول الله وقد حازت دار الآثار العربية بعض هذه الحشوات المزينة برسومات متقنة والنقوش عليها كتابات كوفية تتضمن اسماء بعض أمراء دولة بني بويه

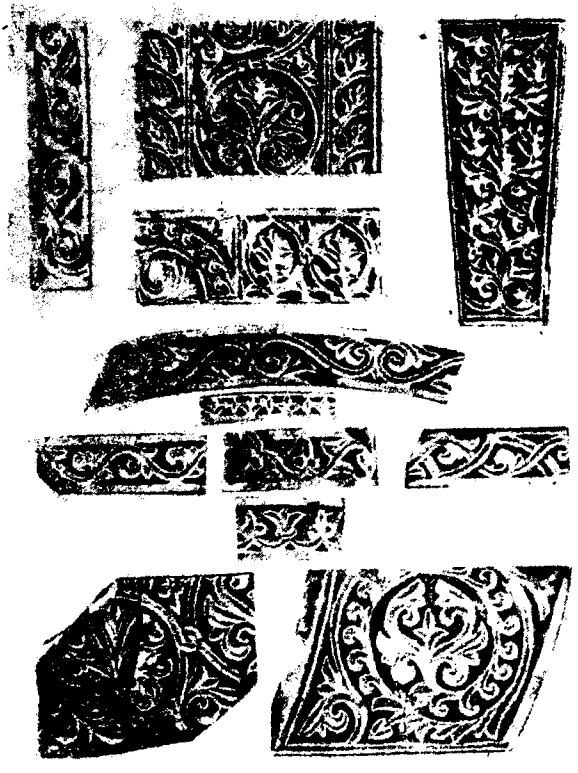

صور بعض الأحجار المنقوشة التي عثر عليها بين اطلال الزهراء بالاندلس

ومما لانزاع فيه أن حالة الفنون والصناعات في غير هذه الدول الثلاث من الامبراطورية الاسلامية كانت في ازدهار وعلو وفي هذه الأيام بدأ عبد الرحمن الناصر مدينة الزهراء ويقول أحد المؤرخين « بينما كان الشرق في نزاع واضطراب كان الغرب في هدوء وسكينة فبنى الناصر لدين الله الاموي مدينة الزهراء وكان منتهى الانفاق في بنائها كل يوم مالا يحد. كان يدخل فيها كل يوم من الحجر المنحوت ستة آلاف صخرة سوى الآجر وغيره وحمل اليها رخام من أقطار ودخل فيها أربعة آلاف وثلثمائة سارية . وأهدى لهملك الفرنج بعين سارية من رخام، وأما الوردي والأحمر فمن أفريقية والحوض المذهب جلب من قسطنطينية والحوض الصغير عليه صورة أسد وصورة غزال وصورة عقاب وصوره ثعبان وغير ذلك ، والكل بالذهب المرصع بالجوهر ، وبقوا في بنائها ست عشرة سنة وكان ينفق عليها ثلث دخل الاندلس يومئذ خمسة آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف درهم »

وبين هذه المدينة وبين قرطبة أربعة أميال وطولها الف وستمائة ذراع وعرضها الف وسبعون ذراعا ، ولم يبن في الاسلام أحسن منها لكنها صغيرة بالنسبة إلى المدائن وكان بسورها ثلثمائة برج

وعمل ثلثها قصورا للخلافة وثلثها للخدم وثلثها الثالث بساتين . وقيل إنه عمل فيها بحيرة ملأها بالزئبق وقيل إنه كان يعمل فيها الف صانع مع كل صانع اثناعشر اجيرا وقد احترقت هذه المدينة وهدمت في حدود سنة اربعمائة وبقيت رسومها وسورها

وقد كشفت اطلالها في أوائل القرن الحالى وعثر بينها على قطع من الاحجار منقوشة نقشا جميلا ، واجزاء من أوان خزفية ذات بريق ذهبي عليها رسومات وصور طيور وحيوانات شبيهة بالخزف الطولوني فى مصر

وكانت الصناعات فى اقصى البلاد الاسلامية شرقا مزدهرة خصوصا صناعة النسيج فى فارس وخراسان ويمتحف اللوفر قطعة من الحرير مرسوم عليها فيلان احدهما يواجه الآخر ، واسفلهما سطر بالخط الكوفى يتضمن اسم أحد القواد المسمى بختكين وقد ورد ذكر هذا القائد فى حوادث سنة ٣٤٩ هـ فى كتاب تجارب الامم لابن مسكويه قال عنه ان امير خراسان عبدالرحمن ابن نوح قتل أحد قواده العظام واسمه بختكين فى هذا العام

ولا يبعد أن يكون هو المنقوش اسمه على هـذه القطعة من النسيج كما أن هـذه القطعة هي بلا مراء من صناعة خراسان التى اشتهرت بصنع المنسوجات فى عهـد الدولة العباسية ولشهرتها وتأثرها بفنون الصينيين قيل عنها إن زائر عاصمتها مدينة مرو يشعر أنه فى بلد من بلاد الصين لكثرة ما كانت تصنعه من منسوجات

وليس لنا فى النهاية إلا أن نقول هاهي ذى بعض التحف الفنية التى وصلت الينا من عصر التنبى ، وهى على ضآلتها شاهد صدق على ان الحضارة الاسلاميه لم تكن زاهرة فى الحياة الأدبية فحسب ، بل وفى الحياة الفنية أيضا

قطع من خزف ذى بريق ذهبي عثر عليها في اطلال الفسطاط عليها ظرف رؤي اعتبارها من عهد الدولة الاخشيدية. ويرى في أحد الصحون امضاء الصانع المسمى « رمضان »

حسن محمد الهواري

جنون العظمة في المتنبي

مرض نفسي - فضيلة خلقيّة

« كان المتنبي ذا كبرياء وترفع ، وكانت له دالة على الملوك والامراء الى حد لم يكن لغيره حتى لسب الى الجنون » . هكذا يقول المؤرخون . وقد جعل الاستاذان عبد الرحمن صدقي ، وطاهر احمد الطناحي هذه الناحية في المتنبي موضوع مناظرتهما ، فرأى الاول ان جنون العظمة عند المتنبي مرض نفسي ، وان مبعث ذلك الصلف والخيلاء . ورأى الثاني ان هذه الصفة فضيلة خلقية وانها لم تكن صادرة عن صلف وغطرسة ، بل عن اعتداد بقيمة الفن، واحتفاظ بالكرامة

مرض نفسي

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

قال هيني شاعر الالمان بأسلوبه اللاذع الصادق في احدى رسائله « الانسان أزهى الحيوان كافة ، والشاعر أزهى بني الانسان » فاذا أضفنا الى ذلك اعتقاد العربي بأن أمته خير أمة أخرجت للناس عامة فكل من عداها أعاجم ، وان قبيلته من بين القبائل اكرمها خاصة ، حتى بلغ من العصبية أن صارت الانساب علماً له المقام الاول بين العلوم ، واذا أضفنا من الناحية الأخرى اعتقاده بفضل اللغة العربية على سائر اللغات ، وان أبناءها هم دون سواهم المطبوعون بالفطرة على الشعر ، فقد اجتمعت لنا من هذا جميعه صورة صحيحة ، أو هي أقرب ما يكون إلى الصحة ، عن جنون العظمة عند شاعر العربية الاكبر أبي الطيب المشهور بالمتنبي

كان ابو الطيب من أصل وضيع خامل ، وأبوه الحسين يعرف بعبدان السقا . وكان فيما يقال سقاء بالكوفة يستقي على جمله لأهل محلة بها اسمها كندة . والمأثور عن أبي الطيب حرصه على لكتم نسبه ، وقد سئل في ذلك فقال يلتمس وجه الحجة : « إني أنزل دائماً على قبائل العرب وأحب ألا يعرفوني خيفة أن يكون لهم في قومي ترة »

ولكنه مع هذا الذي رأينا من خمول نسبه ، ما برح منذ الحداثة شامخاً ، مصعراً خده ،

ينفخ شدقيه بالمفاخرة والتعاظم فلا يقف عند نفسه بل يتجاوزها الى ذكر جدوده

لا بقومي شرفت ، بل شرفوا بي وبنفسي فخرت ، لا بجدودي

وبهم فخر كل من نطق الضـــاد ، وعوذ الجاني وغوث الطريد

وفي قصيدة أخرى على لسان أحد التنوخيين ، ينفي الكرم عن غير اليمانية وهم الأرومة العاربة التي اليها تنتمي في القدم سلالات بينها شعبة شاعرنا الجعفي :

ومجدي يدل بني خندف على أن كل كريم يمان

ولولا شعور المتنبي بتواضع نسب أبويه لما قنع بالاشارة الى عشيرته مرات قلائل ، وعلى هذه الصفة من الايجاز والتعميم ، ولما انفك يقرع الاسماع ويجلجل الآفاق بذكر آبائه والاشادة بضخامة حسبهم في كل قصيدة ، بمناسبة وغير مناسبة ، ذهاباً مع مادرج عليه العرب من الفخر بالأنساب ، وما انطبع هو عليه من غلواء الكبر والتعالي على الخلق . وليس أدل على هـذه الغضاضة المكتومة من طريقته في تركيزه العظمة في نفسه ، ثم استدراكه إلى ذكر قومه أنفة من الاستخذاء وخيفة أن يؤخذ سكوته عنهم تسليما بخفاء شأنهم وحطة قدرهم . وقد تقدم للقارىء في البيتين السابقين مثال على طريقة الشاعر في التركيز والاستدراك ، ونزيد عليهما بيتين من قصيدته الشجية في رثاء جدته :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما

واني لمن قوم كأن نفوسنـا بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

وطبيعي أن يكون لهذا التحرز عند ذكر الحسب ردة فعل في ضمير صاحبنا ، وانتقاض بقدر ما يعانيه من كان في مثل كبره من الحزازة والكبت . فانه ليعتاض مما فاته من تفاخر بحسبه ونسبه ، بالذهاب الى الشأو الأبعد في الاعتزاز بنفسه ، والمغالاة بقدره ، والاستطالة على من سواه . وليست تعوزنا الشهادة على ذلك في ديوانه وفي سيرة حياته ، بل ان ذاك وتلك لا يشهدان على شيء إن خفيت دلالتهما على جنون العظمة عنده . فاستمع اليه يصف مقامه في الناس وإرباءه على الاكفاء وتميزه عن النظراء بما يجعله صنو الانبياء :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام «المسيح» بين اليهود

أنا في أمة تداركها الله غريب «كصالح» في ثمود

وفي قوله هاجياً

يا لك الويل ، ليس يعجز «موسى» رجل حشو جلده فرعون

وهو يعلم من نفسه خيلاءها وعجبها فلا يصطنع المداجاة ، ولا يحتال باعتذار ، ويأبى له صدق إيمانه بنفسه وعمق يقينه إلا أن يصدع بقول لا جمجمة فيه بأن الكبرياء حقه لا منازع له فيه

إن أكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

وهذا الاحساس المفخم تتردد أصداؤه فى كل قصيدة حتى ولو كان فى موقف العبرة أمام الموت كقوله عن نفسه فى مرثيته لجدته :

تغرب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلا إلا لخالقه حكما

بل انه ليقع فى دخيلة روعنا منه انه فى تسليمه هنا للقضاء لينطوى على مضاضة الرغم ، وان هذا الشطر الاخير منتزع منه انتزاعاً . فاننا نعرف الرجل متمرداً على كل سلطان ، مستعظماً كل شىء ، وإن لنا من تصرفه كدعوى النبوة فى صباه ، وتركه للصلاة والصيام طيلة حياته ، ومن مبالغاته الكفرية فى بعض تشبيهاته لممدوحيه ، ما يشعرنا منه بسلب العقيدة ورقة الدين . وهل نستشعر خشعة التقوى من يقول ذات يوم ولو فى مقام الفخر

أى محل أرتقى ؟ أى عظيم أتقى ؟
وكل ما خلق اللـــه وما لم يخلق
محتقر فى همتى كشعرة فى مفرقى

والذى يروى عن تعاظم المتنبى كثير . ونحن لا نستكثره عليه ، وانما نستكثره منه لخروجه عن المألوف فى زمنه . فقد اشترط على سيف الدولة الحمدانى ملك حلب أول اتصاله به ، انه اذا أنشده مديحه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه . ويعقب الرواة على ذلك بقولهم « فنسب الى الجنون » . وقد دخل سيف الدولة تحت هذه الشروط وارتضاها ، وتوثقت بين الامير وشاعره أسباب الولاء والمحبة أعواماً . إلا أن ما بالمتنبى لم يك صيان حرمة وحفاظاً على كرامة ، بل هو الصلف ثقيل الوطأة والكبرياء الى غير حد . فغاظ ذلك سيف الدولة منه ، فكان أحياناً يجفو عليه اذا كلمه ، ثم زادت الوحشة فوقعت النبوة وانصدع الشمل . ولم يكن هذا الذى حصل ليطامن بأوه ويكفكف من نعرته ، فانه لما سار عنه الى كافور الاخشيدى حاكم مصر كان يقف بين يديه وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف ومنطقة ، وكان يركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . وإذ كان على هذا المثال مسلكه من الملوك والأمراء وهم ممدوحوه يقصدهم للنوال ، فقد غنينا عن إطالة الكلام فى تعاظمه على سائر الناس ، وتعرضه لعداواتهم واعراضه عن شانئيه من رجال الدولة والمتأدبين ، وتعمده تجاهلهم ولقد روى ابو على الحاتمى وروده بغداد ، وكيف كان ملتحفاً رداء الكبر والعظمة ، لا يرى أحداً إلا ويرى لنفسه مزية عليه ، ويخيل له انه نسيج وحده ، وان العلم مقصور عليه والشعر لا يعذب من غيره ، حتى ثقلت وطأته على أهل الادب بمدينة السلام

ويستطرد ابو على فيقول « فتوخيت أن يجمعنا مجلس أجرى أنا وإياه فى مضماره ليعرف السابق من المسبوق ، فلما لم يتفق ذلك قصدت مجلسه ، فوافق مسيرى اليه حضور جماعة يقرأون عليه شيئاً من شعره فحين استؤذن لى نهض من مجلسه ودخل بيتاً الى جانبه . ونزلت عن بغلتى

وهو يراني ودخلت الى مكانه ، فلما خرج إلى نهضت اليه فوفيته حق السلام غير مشاح له فى ذلك . وكان سبب قيامه من مجلسه لئلا يقوم لى عند موافاتى . ولبس سبعة أقبية ملونة ، وكان الوقت أحر ما يكون من الصيف وأحق بتخفيف اللبس . فجلس وأعرض عنى ساعة لا يعيرنى طرفاً ولا يكلمنى حرفاً . وكدت أتميز غيظاً ، وأقبلت أسخف رأيي فى قصده ، وأعاتب نفسى فى التوجه الى مثله وهو مقبل على تكبره ، ملتفت الى الجماعة الذين بين يديه وكل منهم يومىء اليه ، ويوحى بطرفه ، ويشير الى مكانى ، ويوقظه من سنة جهله ، فما يزداد إلا ازوراراً ونفاراً جريا على شاكلة خلقه . ثم توجه إلى فما زادنى على قوله : « أى شىء خبرك ؟ »

والمتنبي شاعر مقل لا يبذل المديح لكل من لقيه . ولقد جر عليه ترفعه عن مدح الوزير المهلبي والصاحب بن عباد عداوات مشبوبة اللظى ملحة النكير ، فكان الاخير بأصفهان لا حديث له إلا تتبع سقطاته والنعى على سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته واكثرهم تمثلا به فى محاضراته ومكاتباته ، وأغرى الاول به شعراء العراق حتى نالوا من عرضه ، وتباروا فى هجائه ، وتنادروا به وتماجنوا عليه . والمتنبي معرض عنهم سادر فى كبريائه . وكان الشاعر شديد الادلال على ممدوحيه . فكان يعطيه سيف الدولة كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، مع ذلك فقد يتأخر بالمديح عنه حتى يشق على سيف الدولة فيتنكر له ويحضر من لا خير فيهم يتعرضون له فى مجلسه بما لا يحب . وكان شاعرنا نادرة فى الحفظ مكباً على التحصيل منذ نعومة أظفاره ، وقد صحب الأعراب فى البادية وجاء بعد سنين بدوياً قحاً ، وكان يكثر من ملازمة حلقات الأدب ومكاتب الوراقين . ويروى عنه رجل من أهل الشام كان يتوكل له فى داره « . . . ثم جن الليل فقدمت له شمعة وأمر برفع دفاتر وكانت تلك عادته كل ليلة ، فجعل عينه الى الدفتر يدرس ولا يلتفت الينا حتى مضى من الليل اكثره . . . » . فترى انه الى جودة الملكة كان واسع الاطلاع ، غزير الأخبار الـ وأشعار المتقدمين بصيراً بفنون الكلام ، ومع ذلك فشعره يكثر فيه التصعب والاغراب والتعاظل ، ولا غرو فتلك شنشنة معروفة عند الذين بهم مس العظمة ترفعاً عن السهولة وقرب المتناول ، وازدهاء بما يتكلف الناس فى دركهم من النصب :

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وشاعرنا ككل شاعر مزهو بشعره فخور :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغنى مغرداً

ولكن الشعر لم يكن قط عنده غرضاً لذاته . وانما كان هم الرجل فى العظمة ، فهو يطلبها عن طريق الشعر كما يطلبها عن غيره . ولقد تنازعه الشك فى جدوى القريض وهو فى أول الطريق ، فتردد فى المضى فيها لامتراثه فى انها مؤدية الى ما يبتغيه « ما يبتغى جل أن يسمى » ، وقام بنفسه

أن يعدل عن حياة الدرس ومزاولة الشعر الى خوض المكاره والمغامرة فى الحروب

أفكر فى معاقرة المنايا وقود الخيل مشرفة الهوادى
زعيم للقنا الخطى عزمى بسفك دم الحواضر والبوادى
الى كم ذا التخلف والتوانى وكم هذا التمادى فى التمادى
وشغل النفس عن طلب المعالى بيع الشعر فى سوق الكساد !

ومع ان الرجل سبق أن ذاق الحبس حتى كاد يتلف واستهدف للردى فى مغامراته ، إلا انه لم يزل يحك فى صدره قبل الاعتقال وبعده نزوة الخروج على السلطان وطلب الرياسة . ولقد حاولها فى صدر أيامه غلاباً بالسيف والفتكة البكر ، وبالهبوات السود ، والعسكر المجر ، وتضريب أعناق الملوك على حد قوله وله فى توعدهم ومقاضاته عروشهم شعر كثير

أيملك الملك والأسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآنى ماء مات من ظمأ ولو مثلت له فى النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً ومن عصى من ملوك العرب والعجم

فلما أعجزته الولاية غلاباً ، التمسها فى إدبار عمره سؤالا فلم يصبر عند قدومه على كافور أن أشار الى ذلك فى أول قصيدة قالها فيه

وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا

ثم ضاق بالانتظار فصارحه أن يوليه صيداء من بلاد الشام أو غيرها من صعيد مصر وكأنما كان يخشى أن يحول انتسابه الى الشعراء دون الولاية فاستدرك فى قصيدة أخرى :

وفؤادى من الملوك وإن كا ن لسانى يرى من الشعراء

فالرجل يقول الشعر وأى شعر ! ولكنه لا يحيا له ، أو لا يحيا له وحده فهو شديد الامتلاء بنفسه ، مكظوظ بها إن جاز هذا التعبير ، وكأن ليس للعالم وجود خارجاً عنه . فلا شىء فى العالمين إلا وهو أحق به من كل انسان ، سواء أكان هذا الشىء شعراً أو فروسية ، أو يتصل بساحة الملك او حرم النبوة . والناس أجمعون ملوكهم كعبيدهم طغام فى طغام :

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت له جثث ضخام
أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام
وشبه الشىء منجذب اليه وأشبهنا بدنيانا الطغام

ويعود فى أبيات أخرى لأهل زمانه يتناولهم بالتصغير والتحقير

أذم الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم ، وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم وأسهدهم فهد ، وأشجعهم قرد

ومع استخفافه هذا بالدنيا واحتقاره الناس ، فانه ما برح يطالب فيها الرياسة بهم تجشما الأسفار متحيراً بين الاقطار ، حتى طاح رأسه وفكرة الملك تدور فيه . وهذا الجنون بالعظمة تلازم أصحاب المبالغة فى تصور الاضطهاد الواقع بهم ويركبهم وسواسه . فترى المتنبى لا يفتأ يذكر الحاسدين والشامتين والقائمين والقاعدين بالنقمة عليه والساهرين للكيد له والوقيعة به فهو أبداً فى حرب طاحنة مع قوى لا قبل لأحد بها ظاهرة وخافية حتى ليقول

« أطاعن خيلا من فوارسها الدهر »

ونحب قبل الختام أن نشير الى ان هذا المرض النفسى عند المتنبى كان أظهر من أن يفوت نظر النقاد من العرب ، فقد قال الشريف الرضى فى صدد المفاضلة التى أولعوا بعقدها بين شاعرنا وأبى تمام والبحترى « أما ابو تمام فخطيب منبر ، وأما البحترى فواصف جؤذر ، وأما ابو الطيب المتنبى فقائد عسكر » . وجاء فى مرثية أبى القاسم الطبثى له

كان من نفسه الكبيرة فى جيـ ش ، وفى كبرياء ذى سلطان

فضيلة خلقية

بقلم الاستاذ طاهر احمد الطناحي

كثير ممن تعرضوا للكتابة عن المتنبى رموه بالكبرياء والغرور ، واتهموه بالغطرسة والتنفج وجفاء الطبع ، حتى قال ابو على الحاتمى « كان ابو الطيب عند وروده مدينة السلام قد التحف برداء الكبر والعظمة ، يخيل له أن العلم مقصور عليه وأن الشعر لا يغترف عذبه غيره ولا يقطف نوره سواه ولا يرى أحداً إلا ويرى لنفسه مزية عليه » وزعموا أنه لكبريائه وخيلائه ادعى النبوة وهو فتى فى مقتبل الفتوة ، وطمع فى الأمارة والملك. وترفع عن مدح غير الملوك والأمراء. وهم حينما يروون هذه الأقاصيص التى تتعلق بكبريائه ، والتى اكثرها موضوع افتعله حساده ليشوهوا سمعته ويخفضوا مكانته انما هم يصورونه فى حالة خلقية هى نقيصة النقائص فى الطبع ، وعيب العيوب فى الخلق . ولم يجد حساده فى زمنه سلاحاً يحاربونه به أقوى من هذا السلاح الذى يغرى به الملوك وذوى المطامع والسلطان . وقداتخذوا من هذه الصفة ـ صفة الكبرياء ـ التى قلبوا حقيقتها فيه ، وأنكروا فضيلتها عنده وسيلة استخدموها للدس عليه ، والغض من شأنه ، حتى إن أبا فراس الحمدانى ـ وهو على ما عرف فيه من أدب ورفعة محتد ـ لم يستطع أن يحاربه عند سيف الدولة بعد اليأس إلا من هذه الطريق التى تظهر المتنبى مدلا متغطرساً ممجوجاً ذا منقصة شنيعة ، وهى ليست عند

العارفين بطبائع العظماء بنقصة أو عيب يحسب فى عداد النقائص والعيوب

فقد حكوا أن أبا فراس قال لسيف الدولة « إن هذا المتنبى كثير الدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرق مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » . . وليس ابو فراس واحداً فى مهاجمة أبى الطيب من هذه الناحية ، بل كل حساده هاجموه منها ، ووصموه بوصمة الكبر والجنون بالعظمة الى جانب رميهم إياه بالسرقة ، واتهامه بالاخذ من الشعراء ، وهم يعلمون ان هذه التهمة تجرح كبرياءه وتمحق خيلاءه ، وتقوض عظمته التى يغيظهم منها قوله

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغنى مغرداً
أجزنى إذا أنشدت شعراً فانما بشعرى أتاك المادحون مردداً

وأنت حين تتصفح حياة المتنبى ، وتدرس أخلاقه ، وتستقرى هذه الكبرياء فى شعره ، وفيما روى عنه فيما كان بينه وبين سيف الدولة ، وبينه وبين كافور أو ضد الدولة وغيره ممن اتصل بهم ، لاتجد أثراً للكبرياء الممقوتة التى تحط من قدر صاحبها ، وتلحقه بالمغرورين المتنفجين الذين يتعالون فى غير علو ، ويفخرون بغير ما سبب للفخر ، وانما تجد عظمة أدبية ، واعتداداً بالنفس وصوناً لكرامة الادب والاديب عن الصعلكة والمهانة فى مجالس الملوك والأمراء

فقد عرف المتنبى قيمة رسالته الفنية وعرف ما للفن من مقام فى حياة الجماعة ، فربأ به عن أن يكون ذليلا مهيناً ، وأراد أن يفرض على الناس احترامه وتعظيمه ، حتى إذا وجد نفسه وهو فتى بين قوم لا يفهمون فنه كما يريد هو أن يفهموه قال قصيدته المشهورة التى جاء فيها

إن أكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا ترب الندى ورب القوافى وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

ولا يشكو هذه الشكوى إلا الفنان الذى يفهم قيمة فنه ، ويرى الوسط المحيط به لم يفهم هذا الفن أو هذه النبوة فى الفن التى تفرد بها فى قومه كتفرد صالح بنبوته فى ثمود . فهو انما يعتبر رسالة الفن كرسالة النبوة تخدم كل منهما الحياة البشرية من ناحيتها الخاصة بها . ومن أجل ذلك يجب تعظيمها وتعظيم صاحبها ، وأن يعطى حقه من الاجلال والاكبار

وليس أبو الطيب بالشاعر الذى خدمت عظمته الظروف ، وساعده ضعف شعراء عصره فى الظهور ، فقد عاش فى عصر يعد أقوى عصور اللغة العربية الماضية ، وأسماها فى نواحى الادب والثقافة والتفكير . وكانت المائة الثالثة للدولة العباسية هى المائة الذهبية للعلوم والآداب فى حياة هذه الدولة . وقد نضجت فيها اللغة وعلوم التاريخ والادب والطب والفلسفة والجغرافية وغيرها

من العلوم والفنون ، وكان الملوك والامراء والوزراء من كبار العلماء والادباء . وكان سيف الدولة شاعرا وعضد الدولة شاعرا كما كان الفضل بن العميد والصاحب بن عباد من فحول الادباء وكان من شعراء ذلك العصر ابو فراس الحمدانى ، والسرى الرفاء ، وابن نباتة السعدى ، والسلامى وابن هانىء الاندلسى وغيرهم فاذا ظهر أبو الطيب على هؤلاء جميعاً بل على جميع شعراء عصره وشغلهم بمنافسته وحسده ، فان ذلك ليس من السهولة بحيث يبيح للكاتب أن يتهم المتنبى بالكبرياء والغرور ، ويجعل فضيلة الاعتداد بالفن ومعرفة قيمته والمحافظة على كرامته عيوباً مزرية به

ولو لم يكن فى خلق المتنبى إلا هذه الكرامة التى احتفظ بها لأدبه ، لكفاه فضلا أن يكون هو أول الشعراء بعد العصر الجاهلى الذين حافظوا على كرامتهم وفرضوا على الملوك والامراء أن يطأطئوا لهم الرءوس احتراما ويجلسوهم من مجلسهم خير مجلس

ومن من الشعراء شرط على ملك من الملوك ألا يمدحه إلا وهو جالس ، وانه اذا دخل عليه لا يكلف بتقبيل الارض كما يفعل سائر رجال الدولة ؟

ومن من الشعراء غير المتنبى شرط ذلك على سيف الدولة ، فقبله ودخل تحت حكمه رغبة فى شرف هذا المدح الذى توجه به وخلد به ذكره على الدهر ؟

ثم من من الشعراء غير المتنبى شرط على كافور حين قدم مصر ألا يمدحه الا وهو متقلد منطقته وسيفه ، ولا يسير فى الطريق الا بمملوكين شاهرين سيفيهما عن يمينه وشماله ، فرضى هذا الاسود المتسلط بهذه الشروط ، وخضع لها أربع سنوات حتى حسد صاحبها ، وخشى ان يظهر عليه فى مصر وينتزع ملكها منه

لقد كانت هذه الكبرياء او الاعتداد بالكرامة مما يشرف الاديب ، ويعلى من مكانة الادب فى أعين الجماهير . وقد كان المتنبى لذلك يأنف ان يمدح ما دون الملوك والامراء ، وكانت هذه الصفة سببا فى حقد الوزير المهلبى عليه ، وحسد الصاحب بن عباد وخصومته وخصومة غيره من الطامعين فى شرف مدحه

وما مدح ابو الطيب المتنبى الفضل بن العميد الا لصداقته اياه وعلمه بأدبه وفضله . ومثله فى ذلك غيره - وهم قليلون - ممن مدحهم من الادباء وذوى الجاه الذين كانوا يشتهون ثناءه

وقد روى ان الشريف ابا القاسم طاهراً العلوى رجا ان يمدحه المتنبى ، وبعث اليه فى ذلك ، فأبى ، فأحال عليه الامير أبا محمد بن طغج . وكان قد وفد عليه المتنبى فألح عليه الامير وهو لا يزداد الا اباء ، ويقول : « ما قصدت غير الامير ، ولا امدح سواه » فقال له ابو محمد : « اذن فانظم قصيدة فى مدحى ثم اجعلها له » فقبل بعد صعوبة . . . قال محمد بن القاسم الصوفى : « فسرت أنا والمطلبى برسالة طاهر الى أبى الطيب ، فركب معنا حتى دخلنا وعنده جماعة من

الاشراف فلما اقبل ابو الطيب نزل طاهر عن سريره ، والتقاه مسلماً عليه ، ثم أخذه بيده ، واجلسه فى المرتبة التى كان فيها ، وجلس هو بين يديه ، وتحدث معه طويلا ثم أنشده ابو الطيب فخلع عليه للوقت خلعاً نفيسة ، قال ابو القاسم الكاتب

« كنت حاضراً هذا المجلس ، فما رأيت ، ولا سمعت ان شاعراً جلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير ابى الطيب !! »

وفى هذا المديح يقول لطاهر العلوى

حملت اليه من لسانى حديقـــة سقاها الحجا سقى الرياض السحائب

فانظر كيف تكون كرامة الاديب واعتداده فى قبول الخلع والعطايا . فهو قد حمل اليه هدية بدية ، وقدم اليه حديقة من الفن تسمو على هذه الخلع والعطايا

وقد كانت الخلع والعطايا عادة سارية ، وهدية مألوفة للشعراء الذين يمدحون الملوك وذوى الجاه فى ذلك الزمان ومع ذلك فان المتنبى كان يعتبر ما يأخذه من خلع وعطاء ليس سوى مقابل ضئيل لما يعطيه هو من فنه ، ويرى ان ما يخلعه على الملوك والامراء من أثواب الخلود افضل وأجل مما يخلعونه هم عليه ، ويهدونه اليه من بدر المال وربات الجمال

ولذلك كان يقول لسيف الدولة

أبا الجود أعط الناس ما أنت مالك ولا تعطين النـــاس ما انا قائل

ويقول له

ولى فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا

ويقول لعضد الدولة

ليت ثنائى الذى اصوغ فدى من صيغ فيه فانه خالد (١)

لو يتـه دملجاً على عضد لدولة ركنها له والد

ثم هو اذا عاتب ملكا او اميرا ، فقد كان يعاتبه معاتبة النظير للنظير ، فقد وشى به ابو فراس وبعض منافسيه عند سيف الدولة ، وتأثر سيف الدولة بهذه الوشاية فنظم المتنبى قصيدته التى بدأها هذا الابتداء الجرىء

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

ومالى اذا ما اشتقت ابصرت دونه تنائف لا اشـــتاقها وسباســـبا

ثم نظم قصيدته التى يقول فيها

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(١) أى أن فدى شعرى عضد الدولة لان شعرى خالد . والدملج ما يلبس من الحلى فى العضد . ومعنى البيت الثانى أن الممدوح كان يحلى العضد بالحلية . وهو عضد الدولة ركنها ابوه

ان كان بجمعنا حب لغرته فليت انا بقدر الحب نقتسم
يا اعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام وانت الخصم والحكم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا ارضاكم ألم
وبيننا - لو رعيتم ذاك - معرفة ان المعارف فى اهل النهى ذمم

وانت تقرأ هذه الابيات فتشعر ان ناظمها كان يعتبر نفسه فى منزلة هذا الملك الخطير الذى كان ينشر سلطانه على حلب وما بين النهرين. بل كان يعتبر نفسه اكبر منه منزلة لأنه أديب ذو رسالة فنية يفنى سيف الدولة، وتفنى أعماله، وتبقى هى بروعتها وجلالها خالدة مدى الزمان

وقد كان لا يغرق فى المدح لانه كان يعتبر ممدوحه مثله أو أقل منه. فلا يكثر فى مدحه، بل كان يجود بالبيتين او الابيات ثم يفيض بالحكم. ويستطرد الى وصف المشاهد والمعارك وضرب الامثال وشكوى الزمان والدراية بالاعداء - هذا بعد ان يكون قد جعل الجزء الاول فى كثير من مدائحه غزلا وتشبيباً بالنساء على عادة شعراء الجاهلية وفى ذلك الغزل يراه ايضاً محتفظاً بكرامته صائناً لعزته، لا يذل فى الشوق والهيام، ولا يتقرب إلى المرأة الا من قبيل المجاملة، فلا ينزل به الغزل الى الهوان الذى ينزل اليه ضعفاء الارادة من المتغزلين فمنتهى ما يتقرب به الى المرأة ان يقول:

زودينا من حسن وجهك ما دا م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك فى هذه الدنيـ ـا فان المقام فيها قليل
إن تريني ادمت بعد بياض فحميد من القناة الذبول

أو يقول:

ان التى سفكت دمى بجفونها لم تدر ان دمى الذى تتقلد
قالت وقد رأت اصفرارى من به وتنهدت فأجبتها المتنهد

وفى هذه الابيات يضع نفسه من محبوبته فى مكان من يستحق أن يقاسم الحب. وان يكون نصيبه منه عندها كنصيبها منه عنده - وهذا على ما نظن يتفق والدعوة للمساواة! - على أنه لا يواصل محبوبته الا اذا واصلته. فاذا كانت تجود بالوصال، فانه يجود به. وهو اذا رضى بسفك دمه، فانما لأن محبوبته لا تعلم أن دمه هو الذى تسفك. ولو أنها علمت لما سفكت. حتى اذا رأته فى اصفراره أشفقت وتنهدت كتنهده، وقابلته بمثل ما قابلها به وفى ذلك ما فيه من الاعتداد بالنفس والحرص على الكرامة حتى فى الحب، اما الذل فلا يقبله بحال من الاحوال

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العز فى لظى وذر الذ ل ولو كان فى جنان الخلود

كذلك كانت كبرياء المتنبى. وكذلك كان ترفعه. وهو ترفع يشرف الأدباء حقا. وهو

وقد رووا عنه منقصة البخل ، ورموه بانه كان غاية فى الحرص والشح. وما أحسب إلا أن هذه الوصمة قد دسها عليه حساده دساً ، وافتعلوها افتعالا ، فان شجاعة ابى الطيب ، وعلو نفسه واستهانته بالحياة تأبى عليه ذلك . ولو كان بخيلا حريصاً على المال لما فارق سيف الدولة وزهد فى خلعه وعطاياه وكانت تعد بالآلاف . والحريص البخيل يضحى بكرامته وبأعز شىء لديه فى سبيل الحصول على المال . وما كان كذلك أبو الطيب

قال ابن زيد التكريتى « بلغنى أنه قيل للمتنبى قد شاع عنك من البخل فى الآفاق ، ما قد صار سخرا بين الرفاق ، وانت تمدح فى شعرك الكرم ، وتتعاطى كبر النفس وعلو الهمة وطلب الملك ، والبخل ينافى ذلك ، فقال ان للبخل سبباً وذلك انى أخذت يوماً خمسة دراهم . ومشيت فى اسواق بغداد فمررت بصاحب بطيخ ، فتقدمت اليه وقلت له : بكم تبيع هذه البطيخات الخمس . فقال بغير اكتراث : اذهب فليس هذا من أكلك ، فتماسكت معه ، وقلت ايها الرجل دع مايغيظ ، واقصد الثمن . فقال : ثمنها عشرة دراهم . فدفعت له الخمسة فلم يقبل ، واذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهبا الى داره ، فوثب اليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له ، فقال الشيخ ويحك بكم هذه . قال بخمسة دراهم ، فقال بل بدرهمين ، فباعه وحملها الى داره وعاد مسرورا الى دكانه . فقلت يا هذا ما رأيت اعجب من جهلك . أعطيتك فيها خمسة دراهم فلم تقبل وبعتها بدرهمين محمولات ؟! فقال اسكت هذا يملك مائة الف دينار . فقلت ان الناس لا يكرمون احدا اكرامهم من يعتقدون انه يملك مائة الف دينار . وانا لا ازال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون ان أبا الطيب قد ملك مائة الف دينار »

وهذه الحكاية ظاهرة الاختراع على انها لو صحت لكانت مؤيدة لما نقوله من ان الرجل حين جرحت كرامته بهذا الذى فعله بائع البطيخ ، رأى ان الحرص على المال باب من ابواب الاحترام فحرص عليه . وهو اذا حرص هذا الحرص ، فلانه لم يكن له ريع يعيش منه سوى ما تفرضه العادة على الملوك والأمراء لامثاله فى هذا الزمان

اما بعد ، فهذه كبرياء المتنبى ، وهذا جنونه بالعظمة وهما فضيلتان فى جميع ظروفهما المحيطة بهما ، وفى حالة صاحبهما الذى كان يرى للادب مكانة ممتازة ليست دون مكانة الامارة والملك . واذا كان الامراء والملوك قد ذهبوا بعظم السلطان ، وكثرة الاعوان ، فقد ذهب الادب بما لم يذهب به الملك فى جميع الاجيال بفخر سلطانه على النفوس ، وامتلاكه للقلوب من جميع الالوان ، وكان له فى كل نفس عون ، وفى كل قلب نصير ، لانه روح الحياة المعنوية التى تحفز الناس على النهوض ، وتحيى فيهم الآمال ، وتدفعهم الى طلب المجد

من حكم أبي الطيب

خليك أنت لا من قلت خلي وإن كثر التجمل والكلام
وما كل بمعذور ببخل وما كل على بخل يلام
تلذ له المروءة وهي تؤذى ومن يعشق يلذ له الغرام

* * *

الحب ما منع الكلام الالسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلنا
ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى

* * *

إنما أنفس الأنيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا
من أطاق التماس شيء غلابا واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى أن يكون الغضنفر الرئبالا

* * *

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغنى ولا مثل الشجاعة فى الحكيم

* * *

لا تلق دهرك إلا غير مكترث مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفائت الحزن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهى السفن

* * *

ذريني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلى في الصعب والسهل والسهل
تريدين إدراك المعالى رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

المتنبي
بين محاسنه ومساوئه

بقلم الامير شكيب ارسلان

المتنبي احمد بن الحسين الكندي الجعفي من كبار فحول الكلام الذين لم تنجب الانسانية أمثالهم في آلاف من السنين . ولو أن المتنبي ترجم ديوانه الى اللغات الاوربية بأقلام فصحاء يتقنون اللغتين المترجم منها والمترجم اليها ، لعرف الاوربيون من فصاحة العرب وتحليقهم في سماء الادب ما هو فوق تصورهم الحالي . هذا برغم ما يكون بين الترجمة والاصل من الفرق العظيم الذي لا تفيد براعة الترجمة شيئا في تلافيه . فالمتنبي لسان ابداع الاولين ولسان ابداع في الآخرين ، وهو شاعر سرمدي لا يختص بعصر ولا بمصر ، فأين كانت الانسانية وأني كانت ، فالمتنبي مثلها الاعلى في الفصاحة والبلاغة . وكل عبقري في العالم قد يعطيه الناس زيادة على حقه ، إما لافراط في الاعجاب ، واما لاجل التأثير في السامع ، فان الكتاب قد يحسبون حساب المسافة الفاصلة بين الحقيقة في حد ذاتها وبين افهام السامعين أو القراء ، فيتعمدون زيادة القوة الموصلة للحقائق حتى تصل سالمة ولا ينقص منها شيء في الطريق ، وأما المتنبي فمهما قيل فيه فانه قمن ، وذلك لانه ليس هناك شاعر مثله اتسع في فتوحات الكلام ، وتساوى في فهم شعره الخاص والعام . ومما لا مشاقة فيه هو ان أبا تمام الطائي أجزل شعراً وأمتن لغة وأعلى نفساً ، وان أبا عبادة البحتري اطلى نظماً وأرق نسجاً وأعذب لغة ، فليس عند المتنبي قوة أبي تمام في الجزالة ولا ملكة البحتري في السلاسة ، ولكنه يعلو على الاثنين علواً كبيراً في الامثال والحكم وجوامع الكلم ، فانه لا يوجد معنى تبحث النفس عنه لتجد له قالبا لائقا الا وجد الانسان عليه بيتا من شعر المتنبي . ففي هذا لا يباريه مبار ولا يصطلي له بنار ولا تأتي بمثله الاعصار ، لا في شعراء العرب ولا في غيرهم . وقد نشر الحاتمي رسالة قابل فيها بين معاني المتنبي المنظومة شعراً وبين أقوال ارسطاليس ، فوجد طائفة متشابهة قال انها ان كانت من قبيل توارد الخواطر ، فذلك مقام كبير لأبي الطيب وهو ان يتفطن لما فطن له شيخ الفلاسفة ، وان كان المتنبي اطلع على أقوال ارسطو ونظمها شعراً فهو أيضا فضل عظيم! . ومن قرأ شعر المتنبي من أوله الى آخره اقتنع بأنه لم يكن يرجع في اختراعاته غير المسبوقة وابتكاراته الناشئة عن محض السليقة الى أرسطو ولا الى غيره ، وانما كانت ابياته المشابهة لاقوال أولي الفلاسفة من قبيل توارد الخواطر وتوافق الضمائر . وكم يقع هذا بين العلماء الكبار

ولاسيما بين العبقريين الذين يتراءى للواحد منهم ما يتراءى للآخر ، كأن العبقرية شركة عنان وكأن النبوغ حصة شائعة كما يملكه الواحد يملكه الاثنان . وبالاختصار فلا يكاد يمر بالانسان يوم الا ويخطر بباله معنى من مناحي الحياة المتعددة يفكر في ايراده في بيت منظوم ، اذا وجد من ذلك واحداً عند الشعراء كلهم وجد بازائه خمسة عند المتنبي وحده . فهو ملجأ المتمثلين ومفزع المتأثرين. وكأن المستشهد بشعر المتنبي إذا شكا أو بكى أو حن أو طرب أو هاج أو غضب أو تحرك أو ركب أو أحب أو شرب ، وجد في شعر المتنبي الغاية التي يشتفي بها اواره ، ويقر عندها قراره فاذا قيل ان المتنبي رفيق كل مفكر وكهف كل متعمق وشيخ كل واعظ وحلية كل لافظ وعمدة كل خطيب وخزانة كل جوال في المواضيع ، وإذا قيل ان العقل السليم والمنطق السديد لم يألفا في ادمغة أهل الارض قاطبة ممن أوتي الحكمة شعراً والبيان سحراً مثل دماغ أبي الطيب المتنبي ، فلا يكون هذا القول مفرطا ، ولا يكون صاحبه مسرفا . وقد أجاد المتنبي ككل شاعر كبير في مختلف الموضوعات ، فليس باب من أبواب القول الا وقد جاء فيه بالمعجز . غير أنه ربما باراه سائر الشعراء في كثير من الفنون . وقد فاقه أبو تمام في الرثاء وربما في المديح ، وعلا عليه أبو العتاهية في الزهد وأبو نواس في المجون والحاجري في الغزل والبهاء زهير في الرقة وابن سهل الاشبيلي في دماثة العشق ، ولكن الحكمة هي المملكة التي أبت أن تعطى لغير أبي الطيب قيادها ، فجميع الشعراء هناك سائرون تحت لوائه يقال لكل واحد منهم : اطرق كرى . ويقال ذلك لحق

وقد عيب على المتنبي أشياء كثيرة في شعره ذكرها جهابذة النقد ، ولست الآن من تعدادها بسبيل ، فقد عابوه في اللفظ ، وقد عابوه في المعنى ، وقد عابوه في المناسبة . ومثل المتنبي من يعاب ، ومن يجتهد أهل النقد بأن يثبتوا له نقصا ، لان الحسناء هي التي لكمال حسنها يبحث لها الناس عن مكان لا يستوفي فيه التناسب حقه حتى يجدوا فيها ذاماً ، ولو كنت أملك من الوقت الآن ما يتسع لهذا الغرض لسردت من اعتراضات الادباء على المتنبي ما يستغرق كتاباً ، ويجوز ان أرد كثيراً من أقوال منتقديه ، وأن أؤيد البعض الآخر ، وأن آتي بما لم أعثر عليه في الكتب . وغاية ما يقال في هذا الباب أن المتنبي له غث يكاد الانسان لا يصدق صدوره عنه ، وانه ينزل في الاحايين نزولا يكاد يوقع الشك في نسبة كلامه اليه . وانه ليحار الانسان لشاعر مثله يقول ما يقول من المعجزات ، ثم يقرنها بما يقرنها من المزعجات ، وهذا مما اتفق عليه أهل الادب في نقد المتنبي ، ولكن الطامة الكبرى التي غطت على الجميع كانت قصيدته التي مطلعها

« ما انصف القوم ضبة »

فان الذي يقرؤها ويتأمل معناها أو مبناها يقول انه قضاء وقدر نزل بالمتنبي ليس غير . ولو لم

يكن مقدراً عليه أن يسقط هذه السقطة لما تصور العقل أن عبقرياً يبلغ من البلاغة ما يحير النهى ، ويتفيأ من الفصاحة فى ظل سدرة المنتهى ، يعمد من نفسه الى شعر يسجل بالسقوط على قائله ، ويصير عليه سبة باقية على الدهر . هذا فضلا عن أن هذا الشعر الساقط كان سبباً فى حرمان البشر من تلك العبقرية النادرة ، فان المتنبي لقى حتفه فى هذه القصيدة ، ولقد حاول الناس أن يعتذروا عن المتنبي فى ارتكابه هذه الصلعاء التى قتلته مادة ومعنى ، فخاموا وما نزلوا ، ووردوا وما نهلوا . وعندى نسخة من شرح ديوان المتنبي لابى العلاء من ابدع النسخ خطا وأجودها ضبطا ، ولكنها لا تشتمل على جميع ديوان المتنبي بل على النصف الثانى منه ، وقد قرأت فيها خبر الحادثة التى نظم فيها أبو الطيب تلك الابيات الخاسرة فهو يقول ما خلاصته :

« كان ضبة يغدر بكل أحدنزل به أو أكل معه أو شرب ويشتمه . واجتاز أبو الطيب بالطف فنزل بأصدقاء له وسار خيلهم الى هذا العبد واستركبوه فلزمه المسير معهم . فدخل هذا العبد الحصن وامتنع به وأقاموا عليه وليس سلاحه لهم الا شتمهم من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب بشتمه ، وأراد القوم أن يجيبه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوه ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لو سبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح . فخاطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة

قال ابن جنى : « ورأيته وقد قرأت عليه هذه القصيدة ينكر انشادها » وكان مثل أبى الطيب فى هذه القصيدة مثل بشار كما روى ابن مهرويه عن أبيه قال قلت لبشار يا أبا معاذ انك لتأتى بالامر المتفارق فمرة تثير بشعرك العجاج فتقول :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس اوقطرت دماً
اذا ما اعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

ثم تقول :

رباب ربة البيت تصب الخل فى الزيت
لها سبع دجاجات وديك حسن الصوت

فقال : « انما أكلم كل انسان على قدر معرفته ، فأنت وعلية الناس تستحسنون ذلك ، وأما رباب فهى جارية تربى دجاجاً وتجمع بيضهن ، فاذا انشدتها هذا حرصت على جمع البيض وهو أحسن عندها وانفق من شعرى كله ، فاذا انشدتها فى النمط الاول لما فهمته ولا انتفعت به » . فهذه صورة المتنبي فى هذه القصيدة ، ومن أنعم النظر فى هذه العبارات تبين له وهن العذر وضعف الدفاع ، فان عبداً كهذا ذكروا عنه ما ذكروا من لؤم أصله وبذاءة لسانه وولوعه بشتم الخلق ، لا يعلم الانسان كيف ان رجلا فى علو مقام المتنبي يقابل كلامه بمثله ، أفلا ضحك منه وهزأ به ، وقال لمن حوله دعوه

وشأنه ، وقال لمن أراده أن يجيبه على الفاظه القبيحة « لم أكن لأنزل الى ساحة لهده وان أجعل نفسي سفيها بازاء سفيه» . أو انه ان كان ولا بد من أن يجيب رفقته إلى ما اقترحوه . فقد كان يمكنه وهو أمير الكلام وسلطان سلاطين البيان ، ان يأتي من الكناية بما هو أفعل من التصريح ، وأن يعرض تعريضاً يبلغ به الغاية بدون تصريح على اللفظ القبيح . وأحسن ما في هذه القصة قول ابن جني انه قرأ على المتنبي هذه القصيدة وهو ينكر انشاءها ، ويا ليته سير في الآفاق انها ليست له ، وأعلن منها براءته ، ولكن القول إذا برز ، كالسهم اذا نفذ ، وقد كان ينبغي للمتنبي ان يعلم أن مثله إذا قال شيئاً علق باسمه طول الدهر ، ولم ينفعه بعد ذلك عذر . وانما هي نازلة سبق بها اللسان لامر يريده الله فكان منها ان فاتكا الاسدي خال ضبة بن يزيد الضبي عند ما بلغته هذه القصيدة ، أخذ يترصد المتنبي . فبينما كان المتنبي راجعاً من عند عضد الدولة بن بويه الى بغداد عرض له فاتك الاسدي في عدة من أصحابه قيل انهم كانوا سبعين فارساً . اذ لم أزل اتذكر بيتاً في رثائه :

عدت على المتنبي من فوارسها سبعون في العد لم تنقص ولم تزد

وأورد الشيخ ابراهيم اليازجي في شرح والده للمتنبي رواية عن كتاب « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » للبديعي ، جاء فيها ان المتنبي مر بدير العاقول ونزل على أحد اصحابه . وكان صديقه هذا قد علم بأن فاتكا الاسدي يترصد المتنبي اخذاً بثأره من هجوه اخته في قصيدة ضبة ، وأن مضيف المتنبي أراد ان يرسل مع المتنبي رجالا يدافعون عنه اذا طرأ طارئ ، وكان المتنبي عظيم النفس كما هو معلوم ، فأبى ان يذهب معه من يحميه . ولما قال له صاحبه قد بلغني ان هذا الجاهل « فاتك الاسدي » يترصدك في الطريق اجابه المتنبي بقوله : « والله لو ان محصرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات ، وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا الى الماء يتفجر كبطون الحيات لامتنعوا عن الورود » . أو ما هو بمعناه مما يصح ان يقال أنه كلام فارغ برغم فصاحته ومتانة لغته

والخلاصة ان المتنبي بنخوته وعنجهيته أبى ان يرافقه احد وقال : « أأبذرق وهذا الجراز في عنق ؟ » وعلى رواية لسان العرب : « أأبذرق ومعي سيفي ؟ » أي أيذهب معي من يحميني وهذا السيف معي لان البذرقة هي الحفارة ، وهي كلمة فارسية معربة . فذهب المتنبي ومعه ابنه محسد وغلامه مفلح . ولما وصل الى النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول ، طلع عليه بنو اسد فأراد أن يفر فقال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال له : « قتلتني قاتلك الله » ثم كر راجعاً حتى قتل

وكأن المتنبي استشعر هذه الواقعة من قبل فانه قال في قصيدته التي مدح بها أمير طبرية :

« . . وكافور هذا عبد اسود مثقوب الشفة السفلى بطين قبيح القدمين ثقيل البدن من يره يحسب أنه أمة »

المؤرخون

[رسم كاريكاتورى]

والعار مقاص وليس بخائف من حتفه من خاف عما قيلا

فانه بعد ان رأى كثرة خيل بنى أسد، وعلم أن لاقبل له بهم، لوى عنانه حتى يفر بخاء الغلام وهاج حميته واباه نفسه بتذكيره اياه بذلك البيت، فنسى الموت خوفا من أن يقال فيه انه قال ولم يفعل، وكر على بنى أسد وهو يعلم أنه مقتول لا محالة. وفى نسخة المعرى التى عندى يقول ما يلى «وخرج من عند عضد الدولة حتى إذا قرب من بغداد وخرج متوجها نحو العراق فلما بلغ النعمانية خرج عليه قوم من بنى أسد فمانعهم عما كان معه، وأثخن فيهم القتل، فتكاثروا عليه فقتلوه وقتلوا ابنه محسداً فى السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة اربع وخمسين وثلثمائة» اهـ. وفى وفيات الاعيان يقول ان قتله وقع يوم الاربعاء لست بقين من رمضان وقيل لثلاث وقيل لليلتين. فان رجعنا الى رواية المعرى فيكون قتله وقع لثلاث بقين من رمضان. فقتله كان نتيجة كبره كما ان كبره كان سبب حرمانه طول حياته المناصب التى كان يصبو اليها. فقد كان الملوك يخافونه، وكان كافور الاخشيدى وعده بولاية فلما رأى تعاليه بنفسه وشدة بأوه، لم يوله عملا وكان قد طلب منه ولاية صيدا فلم يعطه اياها فعوتب فى ذلك فقال: «ياقوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدعى المملكة مع كافور؟» ولولا شدة خنزوانته لما فارق سيف الدولة الذى كان يحبه ويبره ويصبر عليه وحسبكم القصيدة التى انشده اياها والتى مطلعها:

«واحر قلباه ممن قلبه شبم»

وفيها من الدلال والتسحب والعظمة والتكبر ما لا يعجب الانسان بعده من بقاء المتنبى طول حياته يرمى أغراض الحظ ولا يقرطس. ولقد أورد الشيخ ابراهيم اليازجى فى العرف الطيب شيئا من خبر المتنبى يصح الرجوع اليه. وشرح والده لديوان أبى الطيب هو من الشروح التى يوثق بها، ولكنى رأيت مواضع أخذت عليه بها وذلك عند قوله:

فتى ما سرينا فى ظهور جدودنا الى عصره إلا رجى التلاقيا

فانه جعل الجدود بمعنى الجظوظ وقال اننا ما ركبنا مطايا حظوظنا الى عصره الا لنتلقاه. وانما أرى أنه يريد ان يقول اننا ما تناسلنا من اصلاب اجدادنا حتى وصلنا الى عصره الا لنفوز بلقائه

وقد تختلف الانظار وتتباين الافكار. وللمتنبى اربعون شرحاً فيما يقال، وكم جاء فيها من الاختلافات فى تأويل معانيه، وهذا أول دليل على علو مقامه، اذ لم يعهد ان شاعراً من الشعراء اهتم الادباء بشرح ديوانه كالشاعر أبى الطيب. وللاديب الراسخ الاستاذ شفيق جبرى من دمشق كتاب عن المتنبى قرأت منه شذرات اعجبتنى. وعلى كل حال فقد كان المتنبى مفخرة عربية كبرى تدين بها هذه الامة فى التاريخ العام ولا يكابرها أحد وتحتج به لدى الانسانية باجمعها ولا بال لها: بالغب

في ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ شكيب ارسلان

أبو الطيب المتنبي
تاجر من تجار الادب

بقلم الاستاذ سليم عبد الأحد

الشعر شعور تجيش به نفس الانسان فيعبر عنه بألفاظ ذات نبرات تتساق على أوزان مختلفة وأوضاع شتى . ولم يكن للشعر فى زمن الجاهلية روابط تقيده فلما جاء الخليل استنبط قيوداً حصر بها جميع أشعار العرب قيل إنه مر يوماً فى البصرة فسمع دق المطارق بأصوات مختلفة وكان يسمع من دار « دق دق » ومن دار أخرى « دقق دقق » فبنى على الاول السبب الخفيف وعلى الثانى الوتد المجموع . ثم أخذ يفرع عليهما بقية الاجزاء التى استنتمها واستنبط منها علم العروض

وليس معنى ذلك أن العرب لم تكن تقول الشعر قبل زمن الخليل بل لقد كانت تقوله بالسليقة . بل الحقيقة أن الشعر بلغ فى الجاهلية أعلى المراتب ونبغ فيه أفراد سارت بذكرهم الركبان وكانت أشعارهم مضرباً للامثال . ولم يذكر التاريخ أمة بلغ الشعر عندها المنزلة التى بلغها عند العرب . فكان الشاعر العربى مرجواً ومخوفاً معاً يتوسل بشعره لنيل الحظوة عند الملوك والامراء . وبمرور الزمن أصبح لكل أمير شاعر يلازمه ويتغنى بمديحه ويرتزق مما ينفحه به من الاعطيات . ولعله ما خفض قدر الشعراء شىء مثل تلك الاعطيات . فبعد ان كان الشعر وسيلة للاعراب عن عواطف النفس وما تفيض به القريحة أصبح وسيلة للارتزاق يستغله الشاعر فينطق به كلما الجأته الفاقة وسولت له نفسه ابتزاز أموال الغير . ولذلك وصف بعضهم الشعراء بالكذب والرياء وقالوا إن اعذب الشعر أكذبه . ونشأت طائفة من الشعراء تكيل الثناء جزافا لمن يستحقه ولمن لا يستحقه

ومن نكد الاقدار ان أكثر الشعراء المداحين كانوا اذا لم يكافأوا عن شعرهم انقلبوا الى الذم والهجو لان الشعر عندهم كان وسيلة لا غاية ولان العرض فى نظرهم كان فوق كل اعتبار آخر . فاذا خيب الممدوح ظنهم أطلقوا عليه سيلا من قوارص المنظوم وشهروا به تشهيراً . وقلما سلم من هذه النقيصة أحد من الشعراء الذين زاولوا صناعة المديح . وهذا مما يخفض قدر الشعر لان الشاعر الذى يمعن فى الخيال الى ماوراء العالم المنظور ثم ينقلب مرتزقا يتاجر بشعره انما يبيع كرامته بالعرض

وغريب أن شاعراً فذاً كأبى الطيب لم يسلم من هذه النقيصة اذ لم ينزه قلمه عما يجب أن تعف عنه النفس بل وقف قريحته على مدح الامراء والاغنياء طمعاً فى نوالهم. فاذا أجزلوا له النوال أجزل الثناء وإذا طووا عنه الكشح قلب لهم ظهر المجن وسلقهم بألسنة حداد . ذلك لان عرض الدنيا كان فى نظره كل شىء . فلا شرف ولا مجد ولا جاه ولا سلطان إلا لمن وفرت أمواله واتسعت ثروته.

وليكن خلقه كيف كان ، وليكن طيب العنصر فما طيب العنصر بنافع له . أو ذليل النفس فما الذ بناقصة من متعته بالحياة أو ليس هو القائل :

هما خلتان ثروة أو مية ... تعلك أن تبقى بواحدة ذكرا

وهو القائل أيضاً

فلا يتحلل فى المجد مالك كله ... فيحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذى المجد كفه ... إذا حارب الاعداء والمال زنده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وفى هذا ما يذكرنا بالقول المأثور عن نبوليون « ان المال عصب الحرب » وعلى كل فقد كا حرص المتنبى على المال مضرباً للامثال ، حتى يقال إنه ما كان ينتقل من مكان الى مكان الا ويحمل معه متاعه وكنوزه جاء فى الصبح المنبى عن لسان أبى نصر محمد الجمالى أن المتنبى وافاه وم بغال موقرة من الذهب والفضة والطيب والملابس والتحملات النفيسة والكتب الثمينة والادوا الكثيرة لانه كان اذا سافر لا يترك فى منزله درهما ولا شيئاً يساويه

فشاعر مثل هذا يحرص على المال ويسعى إلى كنزه ما كان ليحجم عن تسخير قريحته للمد أو الهجاء كيفما اقتضت الحال . وفى الحقيقة ان الشاعر فى ذلك العهد ما كان يرى من العار أن ينقل من المديح الى نقيضه وقد كان يفعل ذلك انسياقا وراء المال وطمعا فى أعراض الدنيا . وقلما تجد بي القوم من كان يقصر قريحته على المديح فقط وينزهها عن الهجاء . وهذا دليل على ان النوال كان عل أكثر الذين مدحوا الملوك والامراء فى ذلك العصر — كما فى غيره من العصور — وان المال هو الذ كان يملك على الشعراء أمرهم ويخرجهم عن الوعظ والحكم والانذار

وقد كان تزلف أبى الطيب الى كافور الاخشيدى طمعا فى المال والولاية . ألا تراه يعبر ع تلك الغاية بقوله مخاطباً كافوراً :

ابا المسك هل فى الكأس فضل أناله ... فانى أغنى منذ حين وتشرب
اذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية ... فجودك يكسونى وشغلك يسلب

واسمعه يقول فى موضع آخر :

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا ... ودون الذى أملت منك حجاب ؟

وقوله : « املت منك » تعريض بوعد كافور اياه بالولاية وتذكير له

ومن سوء حظ المتنبى أنه بلغ من الشعر مرتبة قصر عنها فحول الشعراء فزاد ذلك فى حساد والناقمين عليه . ولشدة حبه المال وحرصه عليه انقلب غير مرة على أصدقائه الذين وصلوه وخلعو عليه . فهجاهم ولم ينزه قلمه عن سلقهم بأقذع ما تجيش به قريحة الشاعر . وهذا من جملة ما أحده الكثيرين عليه حتى لقد نفى بعضهم الشاعرية عنه كابن خلدون وغيره ، مع ان أكثر علماء الادب

رجحوا شعره من حيث الصياغة على شعر أبي تمام والبحترى

والمجال لا يتسع لايراد جميع القصائد التى هجا بها المتنبى أصحابه وغير أصحابه ممن أحسنوا اليه وأجزلوا له النوال . فقد انقلب على بعض الذين أصاب منهم خيراً ولم ينج من ذلك أعز أعزائه ونعنى به سيف الدولة على بن حمدان العدوى صاحب حلب . فقد كان للمتنبى عنده فى أول الامر منزلة سامية إذ حسن موقعه عنده وأحبه وقربه وأجازه الجوائز السنية . وكان يجرى عليه كل سنة ثلاثة آلاف دينار خلا الاقطاعات والخلع والهدايا المتفرقة . ولسبب يطول بنا شرحه وقعت بينهما وحشة ففارقه وقدم مصر ومدح كافوراً الاخشيدى (وكان من أعداء سيف الدولة) فاجزل كافور صلته وخلع عليه . وكان أبو الطيب يطمع فى تولى عمل من اعمال مصر . فلما لم يحقق كافور أمنيته انقلب عليه وهجاه بعدة قصائد تعد من عيون الشعر من حيث الصياغة والفن ، ولكنها من أدل ما نظمه أبو الطيب على حقيقة خلقه . قيل ان آخر ما مدح به كافوراً الاخشيدى قصيدته البائية التى يقول فى مطلعها

منى كن لى ان البياض خضاب فيخفى بتبييض القرون شباب

ثم وقعت بينهما وحشة فاقام أبو الطيب سنة لا يلقى فيها كافوراً وهو يعمل فى الخفاء على الرحيل عنه . فأعد الابل وخلف الرحل . وجاء يوم عرفة سنة خمسين وثلثمائة قبل خروجه من مصر بيوم واحد . فهجاه بقصيدة لو قيلت فى غير كافور لتمنى الموت . وهـذه القصيدة على مابها من قذع لاذع من عيون الشعر التى يحفظها تلاميذ المدارس وقد سار مطلعها مثلا . واليك بعض ابياتها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لامر فيك تجديد
انى نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الايدى وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود
مايقبض الموت نفسا من نفوسهم الا وفى يده من نتنها عود
العبـد ليس لحر صالح بأخ لو أنه فى ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد إلا والعصا معه ان العبيد لا نجاس مناكيد

وليست هذه بأولى القصائد التى هجا بها كافوراً ولا باخراها اسمعه يخاطبه وقد نظر الى شقوق فى رجليه :

وتعجبى رجلاك فى النعل انتى رأيتك ذا نعل ولو كنت حافياً
وانك لا تدرى ألونك اسود من الجهل أم قد صار أبيض صافيا
ويذكرنى تخييط كعبك شقه ومشيك فى ثوب من الزيت عاريا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحداد البواكيا

واسمعه أيضا يقذعه بهذه الابيات اللاذعة وهى قوله :

لا ينحز الميعاد فى يومه ولا يمى ما قال فى أمسه
وانما تحتال فى جذبه كانك الملاح فى قلسه
فلا ترج الخير عند امرىء مرت يد النخاس فى رأسه

وقد اعترف المتنبى نه ما كان يمدح كافوراً إلا ليحتال عليه بالشعر لأخذ ماله . فلما أقصاه كافور وقطع عنه النوال انقلب المتنبى عليه وأخذ يهجوه قال يسخر من أهل مصر خضوعهم لكافور

ومادا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا
بها بطى من اهل (١) السواد يدرس أنساب أهل الفلا
وأسود مشفره نصفه يقال له انت بدر الدجى
وشعر مدحت به الكركدن بين القريض وبين الرقى
فما كان ذلك مدحاً له ولكنه كان هجو الورى

وهجاه بقصائد اخرى كثيرة وهجا أمه أيضاً . من ذلك قوله فى كافور ملمحاً الى مفارقته سيف الدولة

وفارقت خيرالناس قاصد شرهم وا كرمهم طراً لأ لامهم طراً
فعاقبنى المحصى بالغدر جازياً لان رحيلى كان عن حلب غدرا
وقد قيل للخنزير انى مدحته ولو علموا قدكان يهجى بما يطرى

ثم انظر منزلة المال من نفس المتنبى اذ نزل مرة فى أرض حسمى برجل يقال له وردان من ربيعة الطائى فاستغوى عبيد ابى الطيب فجعلوا يسرقون امتعته . فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فاصاب وجهه وأمر الغلمان فاجهزوا عليه.ثم قال يهجو وردان ويتهمه بانه كان يستغوى اولئك العبيد بامرأته ويحرضهم على سرقة أمتعته لاجلها :

مررنا الامس فى حسمى بعبد يميج اللؤم منخره وفوه
اشذ بعرسه عنى عبيدى فاتلفهم ومالى اتلفوه

☆ ☆ ☆

نستخلص مما تقدم أن أبا الطيب المتنبى كان يتاجر بشعره وان المال كان له عنده منزلة سامية وأن مطامحه ومطامعه هى التى احفظت عليه الكثيرين ممن هجاهم . والمجال لا يتسع لايراد حكايات جميع الذين هجاهم والقصائد التى قالها فيهم . وفى الحقيقة ان لسانه كان سبب هلاكه . وتفصيل ذلك انه هجا مرة « صبة » بن يزيد العتبى (ويروى « العينى » بالياء المثناة بعدها نون) وكان ضبة غداراً

(١) وصل همزة « اهل » لاقامة الوزن

بكل من نزل به . واجتاز أبو الطيب فى جماعة من اشراف الكوفة فامتنع منهم ، فهجاه أبو الطيب بقصيدة يقول فيها :

ياقاتلا كل ضيف غناه ضيح وعلبه
كذا خلقت ومن ذا الـ ـذى يخالف ربه
ما كنت الا ذبابا نفتك عنا مذبه

قال فى الصبح المنبى يصف هلاك ابى الطيب : قال الخالديان كتبنا الى ابى نصر محمد الجمالى نسأ عما صدر لأبى الطيب المتنبى بعد مفارقته عضد الدولة وكيف كان قتله . وأبو نصر هذا من وجو الناس فى تلك الناحية وله فضل وأدب وحرمة . فاجابنا عن كتابنا جواباً طويلا يقول فى أثنائه أما ماسألتم عنه من خبر مقتل ابى الطيب المتنبى فانا أسوقه لكم وأشرحه شرحاً بيناً اعلموا أر مسيره كان من واسط يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ثلثمائة وأربع وخمسين فقتل بضيعة تقرب من دير العاقول لليلتين بقيتا من شهر رمضان . والذى تولى قتله وقتل ابنه وغلام رجل من بنى أسد يقال له « فاتك » بن ابى جهل بن فراس بن شداد الاسدى . وكان من قول « فاتك » له لما قتله : « قبحاً لهذه اللحية ياقذاف المحصنات » ذلك ان « فاتكا » هذا هو خا ضبة بن يزيد العينى الذى هجاه أبو الطيب بقوله :

« ما انصف القوم ضبه وامه الطرطبه »

فيقال ان « فاتكا » داخلته الحمية لما سمع ذكر اخته ام ضبة بالقبيح فى هذه القصيدة . فكار ذلك سبب قتل أبى الطيب وأصحابه وذهاب ماله . واما شرح الخبر فان « فاتكا » هذا صديق لى وقدسمى « فاتكا » لسفكه الدماء واقدامه على الاهوال ، فلما سمع القصيدة التى هجا بها ضبة اشت غضبه ورجع على ضبة باللوم وقال له : « كان يجب ان لا تجعل لشاعر عليك سبيلا » وهو يضمر السوء على أبى الطيب ولا يتظاهر به . ثم بلغه انصراف ابى الطيب من بلاد فارس وتوجهه الى العراق وعلم ان اجتيازه بجبل دير العاقول . فلم يكن ينزل عن فرسه ومعه جماعة من بنى عمه يرون فى المتنبى مثل رأيه . فكانوا لاينزالون يتنسمون أخباره من كل صادر ووارد . وكان كثيراً ما ينزل عندى فقلت له يوماً وقد جاءنى وهو يسأل قوماً مجتازين عن المتنبى : « أراك قد أكثرت السؤال عن هذ الرجل فما تريد منه اذا لقيته ؟ » فقال : « ما أريد الا الجميل وعذله على هجاء ضبة » . فقلت « هذا لا يليق باخلاقك » فتضاحك ثم قال : « يا ابا نصر . والله لئن اكتحلت عينى به أو حمتنى واياه بقعة لاسفكن دمه واصرم حياته الا أن يحال بينى وبينه بما لا استطيع دفعه» فقلت له : « كفى عافاك الله عن هذا وارجع إلى الله فان الرجل شهير الاسم بعيد الصيت ولا يحسن منك قتله على شعر قاله وقد هجت الشعراء الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام فاسمعنا بشاعر قتل بهجائه .. فقال .. يفعل الله مايشاء» . وانصرف.وما مضى بعد هذا الا أيام قليلة حتى وافانى المتنبى ومعه بغا

موقرة من الذهب والفضة والطيب والملابس والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والادوات الكثيرة لانه كان اذا سافر لا يترك فى منزله درهماً ولا شيئاً يساويه . . . فتلقيته وانزلته فى دارى وسألته عن اخباره وعمن لقى فى تلك السفرة . فعرفنى من ذلك ما سررت به له . وأقبل يصف ابن العميد وفضله وكرمه وعلمه وكرم عضد الدولة ورغبته فى الادب وميله الى الادباء فلما أمسينا قلت له : « يا أبا الطيب . علام انت مجمع ؟ » قال : « على أن اتخذ الليل مركباً فان السير فيه أخف على » قلت : « هذا هو الصواب » ـ رجاء ان يخفيه الليل ولا يصبح الا وهو قطع بلداً بعيداً . وقلت له: « والرأى أن يكون معك من رجال هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواقع المخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد » . فقطب وجهه وقال : « فما تريد بذلك ؟ » قلت : « أريد ان تستأنس بهم فى الطريق » فقال : « انا والجراز فى عاتقى . فما بى حاجة الى مؤنس غيره » . قلت : « الامر كما تقول . ولكن الرأى فى الذى أشرت به عليك » فقال : « تلويحك ينبيء عن تعريض . وتعريضك ينبيء عن تصريح . فعرفنى جلية الامر » قلت : « ان هذا الجاهل فاتكا الاسدى كان عندى من ثلاثة ايام وهو غير راض عنك لانك هجوت ابن اخته ضبة وقد تكلم بما يوجب الاحتراز والتيقظ . ومعه أيضاً جماعة نحو العشرين من بنى عمه يقولون مثل قوله . » فقال غلامه : « الصواب يامولاى ما اشار به ابو نصر . خذ معك عشرين رجلا يسيرون بين يديك إلى بغداد فان ذلك أحوط » . فاغتاظ ابو الطيب من غلامه غيظا شديداً وشتمه شتما قبيحاوقال : « والله لاأرضى أن يتحدث الناس بانى سرت فى خفارة احد غير سيفى » . قال ابو نصر : « فقلت ياهذا ، انا أوجه قوما من قبلى فى حاجة لى يسيرون بمسيرك وهم فى خفارتك » فقال « والله لا فعلت شيئا من هذا » . ثم قال : « يا أبا نصر أبنحو الطير تخوفنى ومن عبيد العصا تخاف على؟ والله لو ان مخصرتى هذه ملقاة على شاطىء الفرات وبنو أسد معطشون لخمس وقد نظروا الماء كطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف ان يرده . معاذ الله ان اشغل فكرى بهم لحظة عين » فقلت له : « قل ان شاء الله » فقال : « هى كلمة مقولة لا تدفع مقضيا ولا تستجلب آتيا » ثم ركب فكان آخر العهد به . ولما صح عندى خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً

فانت ترى من كل ما تقدم ان ابا الطيب لم يكن عف اللسان بل كان من أبلغ الهجائين ، وقد ركب فى هجائه للناس متن الشطط ولقى بسببه حتفه قيل انه لما عرض له فاتك احس بالضعف فعمد الى الفرار فقال له غلامه : لايتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فكر راجعا وظل يقاتل حتى قتل

بين المتنبي وبعض الشعراء

ليس غرضنا من نشر ما يلي اثبات السرقة على أبي الطيب . ولكننا نريد المقارنة بين بعض أبياته وأبيات بعض الشعراء التي تقاربت فيها الخواطر »

قال أبو تمام :

مقيم الظعن عندك والامانى ... وان قلقت ركابى فى البـــلاد

وقال المتنبى :

وإنى عنك بعد غد لغاد ... وقلبي عن فنائك غير غاد

وقال البحترى

وأحب أقطار البلاد الى الفتى ... أرض ينال بها كريم المطلب

وقال المتنبى

وكل امرىء يولى الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب

وقال ابراهيم الكاتب

أحاول أمراً والقضاء يعوقه ... فبينى وبين الدهر فيـــه طراد

ولولا الذى حاولت صعب مرامه ... لساعدنى فيه عليـه شداد

وقال المتنبى :

أهم بشىء والليالى كأنهـا ... تطاردنى عن كونه وأطارد

وقال ابن الرومى

كذا قضى الله للاقلام مذ خلقت ... ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال المتنبى

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى ... المجـد للسيف ليس المجـد للقلم

اكتب بنا أبداً قبل الكتاب به ... فانما نحن للاسياف كالخدم

وقال بشار

حشاشة ودعتنى يوم بينهم ... وشيعتهـم وخلتنى وأحزانى

وقد أشاروا بتسليم على حذر ... من الرقيب بأطراف وأجفان

وقال المتنبى :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا ... فلم أدر أى الظاعنين أشيع

أشاروا بتسليم فحدنا بأنفس ... تسيل من الآماق والسم أدمع

شهرة المتنبي

شهرة العظمة والفن الخالد

بقلم الاستاذ محمد محمد نوفيل

قليل من الناس بلغوا مبلغ المتنبي فى الشهرة مع أن العباقرة والأفذاذ يملأون صفحات التاريخ بأخبارهم وآثارهم ولو أن الآداب العربية أتيح لها ما أتيح لآداب الغرب من الذيوع بالترجمة والنقل لكان المتنبي فى مقدمة المشاهير الذين يلهج الناس بذكرهم فى الشرق والغرب على حد سواء ولو أن الغربيين قراوا شعر المتنبي لأذهلتهم تلك العبقرية الجبارة وهذا الروح الوثاب الغلاب الذى يكتسح ثم يكتسح حتى لا تكاد ترى أمامه أثراً لمنافس

نعم لو قرأ الغربيون شعر المتنبي لوقفوا أمامه ذاهلين . ولست القى القول على عواهنه فقد أذهلت رباعيات الخيام أدباء الغرب وقراء الأدب فيـــه . وفتحت أمامهم آفاقاً جديدة لم يروها من قبل ، وتألق نجم هذا الشاعر الفارسى فى أوربا وأمريكا كما لم يتألق قط فى المشرق ، مع أن الخيام دون المتنبي مرتبة فهو شاعر يشدو على وتر واحد بينا يشدو شاعرنا على أوتار هى جماع الفن والحكمة والفلسفة

وأول ما نسجله من أمر هذه الشهرة التى لازمت المتنبي فى حياته ولازمت تاريخه بعدموته أنها مرتكزة على أسس متينة ودعائم قوية

والشهرة عندنا هى الصمود للدهر ومغالبة معاول الهدم - وما اكثرها ! - وقد صمدت شهرة المتنبي فى حياته فتحطمت دونها معاول الهدامين الذين فى نفوسهم حقد وسخيمة وفى قلوبهم تغلى مراجل الحسد وتلهب نار البغضاء ، والذين ما زالوا يذكرون مثالبه ونقائصه فيعترفون - أو يعترف حسدهم - بشاعريته التى لا تجارى على وغر مكنون فى الصدور . .

ثم صمدت شهرته للنقاد الزارين عليه بنقدهم بعد مماته مع أن فريقاً منهم حاولوا هدمه بمعاول هيهات أن تهدم هذا التراث الأدبى ، فبقى المتنبي حيا ولم يذهب رسمه ولم يعف اثره

ومما يزيد فى رسوخ هذه الشهرة أنها بلغت غايتها على الرغم من ان شعر المتنبي لم يكن كالنسمات تهب رخاء . أو كزقاق الخمر تروى الشاربين ، بل كان شعراً جليلا يهتف به شاعر عبقرى فيذكى فى القلوب نار الحماسة والبسالة ، ويمتع الانظار والألباب بألوان من الفن الرفيع يتطاول اليها الناس ويتشوفون لها دون أن يبلغوها . ومثل هذا الشعر لا يقدره حق قدره الا الراسخون فى دراسة الآداب الرفيعة التى تسمو بالاذواق إلى ماهو أعلى من اذواق العامة والمترفين من

عشاق الأدب المخنث فبهذا الشعر خلد المتنبي ، وعلى هذا الأساس المتين بنى شهرته ونقش اسمه على الصخر ، بينما خط معظم معاصريه من الشعراء أسماءهم على الرمال

وإنك لتعجب وأنت تقرأ ديوانه كيف انه استطاع ان يجمع كل هذه الأقوال المأثورة والأبيات الحكيمة فى صعيد واحد ، لعلمك أن معظم السابقين واللاحقين من الشعراء كانوا يتمخضون بالبيت المأثور بعد الهذيان الطويل

ثم انك لتعجب من هذا الروح الغلاب الذى رجح الشعراء وسادهم دون ان يعدو طوره ، وتعجب لادعائه النبوة وقرنه اسمه باسماء الانبياء والمرسلين . ولنزوله بالدين والكتب السماوية الى ميادين المدح والجدال والمفاخرة ، ولمخالفته ما درج عليه الناس من مألوف القول والعمل ، ولتلك الحوادث الجسام واندماجه فيها مادحاً وهاجياً وحكيما بعد أن حلب الدهر أشطره ، ولاعتداده بنفسه وشموخ انفه وخيلائه . ولتجاربه وثقافته التى يندر لها مثيل

نعم انك تعجب لكل هذا إذ تفاجأ به أول وهلة وأنت تقرأ ديوانه واخباره ، فتعود الى نفسك وتقول : لا جرم إذا خلد المتنبي وطبقت شهرته الآفاق . .

ثم ان المتنبي تفرد بنزعة أخرى غير نزعة الشاعر الفنان ، إذ كان يحسب انه ارفع من الشعر والشعراء منزلة ، وأن الشعر مطيته الى الملك والسؤدد ، ويرى أن بنفسه أنفاً أن تسكن اللحم والعظم . . والحق يقال انه كان عظيماً فى شعوره وحركاته وسكناته ، فقد كان شعره على ذباب سيفه وسية قوسه ، وكانت له أبيات تهول ، وقد أضفت عظمة نفسه على شعره هذا الجلال وتلك الروعة (التى تركت فى الدنيا دوياً) كان يود أن يكون (للسيف والفتكة البكر) لا للشعر والمدائح . فلا عجب ان تشتهر قصائده وهى من وحى الملك والبطولة والفن الرفيع

أما منافسوه من الشعراء فقد كانت قصارى آمالهم صلات الأمراء وعطاياهم ، وكان الخوف من ضياع هذه العطايا سياجاً يحول بينهم وبين إشهار ما زكنوه وما شعروا به . . . لقد كانوا أذناباً ولم يكونوا سادة . وكانوا ملهاة وأداة من ادوات التسلية كالافزام فى بلاط الفراعنة سواء بسواء - اللهم إلا عند الفخر - وهنا ايضاً كانوا ينطقون بلسان سادتهم وامرائهم ، فلم يجرؤ أحدهم على مجاراة المتنبي فى قوله

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

ولم يدع احدهم أنه (خلق) أميراً من الامراء بل كان الامراء هم الذين يخلقونهم ، بينما يحق للمتنبي أن يفخر بأنه (خلق) سيف الدولة وغير سيف الدولة بمدائحه وروائع آياته . . . بل نذهب الى اكثر من ذلك فنقول إنه (خلق) كافورا بهجائه المقذع وسخريته اللاذعة . . . فلولاه لما تمثل كافور فى أذهاننا عبداً خصيا بطينا مشفره بصفه وتكاد تحسبه منتعلا وهو حافى القدمين

وقد كان شعور المتنبي بتفوق شعره على شعر اخصامه عظيماً ، حتى ان هذا الشعور انقلب

إلى إعجاب بالنفس وخيلاء لا حد لتطاولها مما حداه أن يقول

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني ، قصير يطاول ؟

فانظر الى كلمة (شويعر) هذه وتأمل فيما تحويه من معاني الزراية والسخرية الأليمة !

ثم ان جلال شعره وفخامة جرسه جعله يسير في البلاد ويؤثر في الناس اضعاف ما يؤثر شعر منافسيه وحساده . وهذا مما جعل الامراء يستقدمونه ويجزلون له العطاء ، وقد بلغ قلق بعضهم على لقائه وحرصهم على مجيئه حد الضحك ، ككافور الذي كان يهذي بالمتنبي ويقرب قدومه ولا يزال يتراوح بين اليأس والرجاء حتى يقبل فتهدأ اعصابه ويطمئن قلبه

وقد ساعده على بلوغ تلك المكانة عند الامراء والولاة عدم استقراره في حاشية امير واحد امدا طويلا ، وعدم قصره مدائحه على رجل واحد ، فكان يشد الرحال إذا سئم المقام في قصر امير او وزير ، ويذهب الى غيره ليمدحه ولينعم عنده شهراً او عاما او بضعة اعوام تاركا وراءه الاعجاب بشعره والحقد عليه ، مستقبلا وجوهاً جديدة متقبلا عطايا جزيلة لا يدفع لها ثمنا من كرامته وعزة نفسه ، ومن هنا تهافت عليه طلاب المدح فغلا ثمنه في سوق الشعر بينما كسدت بضاعة جل منافسيه فعمدوا الى غيظه

ومما زاد في غيظ منافسيه وحساده أن شعره خلا - او كاد يخلو - من الغزل والتخنث مخالفاً بذلك جمهرة الشعراء القدماء منهم والمحدثين ، وانه لم يكن متهالكاً على النساء شأن غيره من محبي الغرف وأسارى الشهوة الجامحة ، ولم يكن للخود منه إلا ساعة ثم بينه وبينهن « فلاة الى غير اللقاء تجاب » ، ثم انه لم يكن سكيراً ولا عربيداً فخلا شعره من اوصاف الخمور إلا فيما ندر ، وظل جافاً مطهراً الى آخر بيت في ديوانه . كل ذلك كان ترفعاً عما درج عليه الناس من مألوف التغزل والمنادمة ، وسموا بالشعر والفن الى فنن الرجولة والبطولة

والمتنبي هو الشاعر العربي الوحيد - فيما نعلم - الذي كان لا يتهيب الامراء بل يدخل عليهم ويخاطبهم مخاطبة الند للند والصديق للصديق ، وقد روى انه كان ينشد الشعر وهو جالس امام سيف الدولة ، وان طاهراً العلوي اجلسه على سريره وجلس بين يديه . وهذا نصر عظيم للشاعر وللشعر نفسه ، فقد بيض المتنبي وجهه بعد ان سوده الشعراء المادحون المستضعفون . وان شعرا يقوله شاعر معتداً بنفسه مترفعاً عما درج عليه الشعراء من الصغار والزراية لقمين بأن يذيع فيلهج به كل لسان

ولست اريد هنا أن أخوض في عباب شعر المتنبي الزاخر فقد قتله غيري بحثاً ، ولكني أريد ان اضيف فخامته وروعته الى تلك الصورة التي رسمتها لحياة شاعرنا الفذ وشمسها دالفة الى الغروب لتستقبل شمس عظمته الخالدة وشهرته التي طبقت الآفاق وهو مكين في ذراها

محمد محمد توفيق

هل كان المتنبي متديناً ؟

ضعف العاطفة الدينية عند أبي الطيب

بقلم الاستاذ علي أدهم

أبو الطيب المتنبي أقوى شعراء العربية نبضات قلب ، وأبعدهم منزع فكر ، وأعمقهم حكمة ومن أصدقهم افصاحاً عن خفايا النفس ، وأعرفهم بأسرارها . فلا عجب ان كان بعد ذلك أبعدهم شهرة وأخلدهم أثراً . ولست أعرف شاعراً من شعراء العرب حظي من اعجاب الخاصة والعامة بمثل ماحظى به المتنبي . وبرغم الزمن الطويل الذى مر على وفاته ، وتغير الاحوال وتبدل المعايير الادبية ، وتباين أساليب الفهم واختلاف الذوق فان شهرته لم تخمد ولايزال اسمه سائراً على الألسنة وشعره مضرب الامثال ومستودعاً من مستودعات الحكمة

والمتنبي انموذج صالح لتمثيل خصائص الشعر العربي . ولا نزاع فى أن شاعراً واحداً بالغاً مابلغ من القدرة والافتنان لا يكفى لتمثيل عبقرية شعب فى ظلالها المختلفة وشياتها المتلونة . وقد لا يكفى انقطاع شاعر ممتاز لتمثيل جانب اللهو والمجون أو جانب الزهد والورع أو جانب القوة والامل أو جانب اليأس والالم . وارجح ان المتنبي أقرب شعراء العربية الى التمثيل العام لعبقرية الشعر العربى . ولذلك انعقد عليه الاجماع وعمرت بذكره المجالس وحفلت بأخباره السير وبقى شعره على الزمن

والمتنبي لا يستثير اعجابنا ولايهفو بألبابنا من ناحية اثارة الخيال واستفزاز العاطفة وحدها وانما لانه يقدم لنا مادة ثمينة للتفكير والتأمل ويعرض علينا نظرات فى الحياة صائبة وخواطر عن الانسان جديرة بالنظر والاعتبار . وواضح ان اسلوب المتنبي الذى يغلب عليه تحرى الضخامة والقوة لايصلح للتعبير عن المشاعر الرقيقة وهمسات الروح الداخلية وضروب الجمال الخفى وألوانه الصامتة ونغماته الخافتة . ولكنه يطيل التفكير فى الحياة ويستخلص الحكمة من التجارب ويعطيك فى شعره عصارة صالحة ليس فيها حلاوة ولانداوة وليس لها موسيقية صافية النغم عذبة الرنين ،فكل كلمة عليها طابع القوة وسمة العنف . وهو لايدانى البحترى فى جمال فنه ولطافة تصوره ولا يبر أبا تمام فى استاذية الصياغة وفحولة الصنعة ولايتدفق تدفق المعرى ، ولاينب وثبات الشريف. ولكن عقله المكين كالنهر الكبير المتسع تحمل اليه السفائن حمولات الافكار من شتى النواحى وهو يستطيع ان يهضمها ويطبعها بطابعه

وعند ماقال الناقد الانجليزى المشهور «ماتيوارنولد» : «ان الشعرهو نقد الحياة وأحسن الشعر هو الذى يقدم لنا أكمل تفسير للحياة الانسانية» أثار عليه ذلك زوبعة من النقد . ولكنى أرى ان

الشعر لكى يكون من الطراز الاسمى ، لا يكفى ان يرفه عن النفس أو ان يكون حافلا بالموسيقية مترعاً بالاخيلة ، بل يلزم أن يعيننا على تسيير بعض مشكلاتنا الانسانية ومسائلنا الاخلاقية . ولست أقصد بالاخلاق هنا المعنى الضيق المحدود ، وانما أقصد بها قوة الشعر على ان يرتفع بنا فوق سفاسف الحياة وصغائرها ، ويمتاز فى هذه الصفة المتنبى وأبو العلاء فهما ملكان يسيطر كل منهما على عالم شاسع من عوالم الروح ، وكلاهما منفرد حزين فى النهاية ولكن الاول محارب مطبوع على المناجزة

تعود ان يغبر فى السرايا ويدخل من قتام فى قتام

أما الثانى فيائس مستسلم . والمتنبى أقرب الى مزاج الرجل السليم . ونظرته فى الحياة أساسها الخبرة ،فهى بريئة من ثرثرة العلماء المكبين على كتبهم، ومنزهة عن أوهام رجال الفكر البعيدين عن ميادين العمل . وحياته اشبه برواية لها مواقفها المشهورة . وقد تكفل ديوانه بوصف أحوالها المتقلبة ، وأطوارها المتتابعة ، من نشأته الغامضة ،وما منى به من الفشل الحاطم فى مستهل أمره ، ثم اتصاله بسيف الدولة وانصرافه عنه الى مصر ، وقفوله منها مغاضبا لكافور ، إلى مصرعه الاخير

ولكن هناك جانباً هاما من جوانب الحياة العربية أهمل المتنبى التعبير عنه والالمام به ولم يكن له فيه موهبة تذكر وهو الجانب الدينى فى الحياة العربية . ولو فنى الشعر العربى اجمعه ولم يبق سوى ديوان المتنبى لما استطعنا أن نعلم منه شيئاً يؤبه له عن العاطفة الدينية عنـد العرب . ولا نكران فى ان اكثر شعراء العرب لم يعنوا باثبات خواطرهم الدينية إلا فى الندرة والفرط ، ووقفوا من الدين موقفاً محايدا . ولكن الذى يسترعى النظر فى شعر المتنبى ، ان فيه اشارات كثيرة تختلف وضوحاً وخفاء تنم على وهن العقيدة وضعف الايمان وغلبة الآداب الجاهلية فى نفسه على الآداب الاسلامية . وقد لمح ذلك القدماء من النقاد فأشار اليه الجرجانى فى الوساطة والثعالبى فى اليتيمة وتناوله من الكتاب المحدثين الاستاذ العقاد والاستاذ شفيق جبرى والاستاذ محمد كمال حلمى . ومن عجيب الاتفاق أن هذه الصفة يشترك فيها المتنبى مع شكسبير . . وقد كانت العاطفة الدينية عند المتنبى ضعيفة فى جميع أدوار حياته . ففى ريق شبابه وا كتمال قوته قال :

أى محـل أرتقى اى عظيم أتقى
وكل ما قد خلق اللـــه وما لم يخلق
محتقر فى همتى كشعرة فى مفرقى

وفى هذه الابيات يمتزج الطموح المتطرف وفرط الثقة بالنفس باحتقار الخليقة بأسرها وهى تروى عن شعور رجل أجال بصره فلم ير شيئاً جديراً باجلاله خليقاً بآماله وطموحات نفسه

وفى مدحه لبدر بن عمار يقول :

تتقاصر الافهام عن ادراكه مثل الذى الافلاك فيه والدنى

وهو هنا يرتفع بممدوحه الى مرتبة الالوهية ولو كان لها مكانة من نفسه لما هبط بها هذا الهبوط

ويقول فيه أيضاً :

لو كان علمك بالاله مقسما فى الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل الـــ ـفرقان والتوراة والانجيلا

وفيه فضلا عن المبالغة اقحام للكتب المقدسة فى مجال كان يجمل به أن ينزهها عنه

ويقول فى الغزل :

يترشفن من فمى رشفات هن فيه حلاوة التوحيد

ولا يتورع عن تشبيه نفسه بالانبياء فى قوله :

ما مقامى بأرض نخـلة الا كمقام المسيح بين اليهود
أنا فى أمة تداركها اللـــ ـه غريب كصالح فى ثمود

ويتناول معجزات الانبياء بالتهوين والانتقاص فيقول :

لو كان صادف رأس عازر سيفه فى يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

وفى مدحه لاحد العلويين لا يستكثر أن يقول :

وأبهر آيات التهامى أنه أبوك واجدى مالكم من مناسب

ويخاطر فى مدحه لسيف الدولة بمثل هذا القسم

ان كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام

وفى مدحه لابن العميد ــ وكان فى نظار المتنبى « فلسفيا رأيه فارسية أعياده » ــ يقول :

لنا مذهب العباد فى ترك غيره واتيانه نبغى الرغائب بالزهد
رجونا الذى يرجون فى كل جنة بارجان حتى ما يئسنا من الخلد

فأصحاب العقيدة فى رأيه هم العباد وهو يختلف عنهم بطبيعة الحال ولايشبههم الا فى قصده لابن العميد كما يقصدون هم الجنة ، وهى مشابهة لا تقر بها عين الدين . وقد سخر من آدم سخرية رقيقة مستساغة على خلاف عادته فى التهكم المر والسخرية القارصة وأجراها على لسان حصانه :

يقول بشعب بوان حصانى أعن هذا يسار الى الطعان
ابوكم آدم سن المعاصى وعلمكم مفارقة الجنان

وفى القصيدة التى نظمها بعد شفائه من الحمى بمصر يقول :

تمتع من رقاد أو سهاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لنالك الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

ويقف من مسألة خلود الروح موقف الشك . وهى ركن من أقوى أركان العقيدة الدينية :

تعالف الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف فى الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

ولم يكن له من وثاقة الايمان ومتانة العقيدة ما يمكنه من الاطمئنان الى رأى ، والقطع بأحد المذهبين . على أنه قد صرح بالرأى المادى تصريحاً لا يحتمل تأويلا ولا تمحلا فى قوله :

تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هن من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجساد من تربه

ومن شك فى الخلود فليس عجيبا ان تطالعه صور الفناء من كل ناحية . وفكرة الفناء ماثلة على الدوام له فهو يكثر من ترديدها كقوله :

أبنى أبينا نحن أهل منازل أبدا غراب البين فيها ينعق

ولهذه الفكرة نتيجتان مختلفتان : فهى قد تغرى الانسان بالزهادة واطراح اللذة ،وقد تسوقه على العكس الى الانغماس فى الملذات حتى يستوفى نصيبه من المتعة ، لأنه ما دامت الحياة فانية فلماذا لا نأخذ قسطنا من اللذة ؟ وعلى أى أساس نقيم قواعد الاخلاق ؟ وفى ظل هذه الفكرة قال المتنبى :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

وقال :

أنعم ولذ فللامور أواخر أبداً اذا كانت لهن أوائل

وفى سبيل تحقيق أطماعه وبلوغ مآربه لا يرى بأساً فى أن يستعين بقوله :

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستبيح دم الحجاج فى الحرم

وفى هجائه لكافور يقول :

إلا فتى يورد الهندى هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم
فانه حجة يؤذى القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

ومعروف عن المتنبى أنه لم يكن يصلى ولا يصوم ولا يقرأ القرآن . ومن كان لا يرى فى الوجود شيئاً مقدساً فليس عجيباً أن يسىء الظن بالدهر والناس ويغالى فى ذم الدنيا فهى فى نظره أخون من مومس واخدع من كفة الحابل . أما اهل عصره فهم فى رأيه كما وصفهم :

اذم الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم واحزمهم وغد
وأكرمهم كلب وأبصرهم عم واسهدهم فهد وأشجعهم قرد

وهو لا يؤمن بالصداقة فليس للانسان صديق سوى نفسه

صديقك انت لامن قلت خلى وان كثر التجمل والكلام

وقد وردت فى مدائحه لسيف الدولة بعض اشارات الى الدين تقليدية اقتضاها سياق الكلام ولكنها ليست من فيض القلب ولا من نتاج العقيدة مثل قوله :

ولست مليكاً هازماً لنظيره ولكنه التوحيد للشرك هازم

ولقد كان عصر المتنبي عصر شك واضطراب استحر فيه النزاع بين الطوائف والمذاهب وضعفت العقيدة وساور الشك النفوس وطغى على العقائد . ولكني أرى ان ضعف عقيدة المتنبي يرجع الا كثر الى مزاجه وشخصيته فقد كان بطبيعته رجلا واقعياً مسرفا فى واقعيته لا يعرف مداعبة الخيال ولا التغلل بالآمال ولا تحليق أوهامه فى السحاب ولا تترامى أفكاره إلى عالم مجهول وراء الزمان والمكان ولا يجرى فكره وراء الالفاظ البراقة والصور الخلابة بل يحب ان يستمسك بالارض ويسمها سيراً وتوثباً وحفراً وتنقيباً . وليس له وراءها مطمع وكان ينفذ الى الافكار الجليلة من خلال هذه الواقعية المحصة . وتلك سمة من سمات كبار الشعراء والفنانين فالفنان الصادق يصل الى المثالى عن طريق دنيا الحواس لا عن طريق الصور المجردة وعبقريته المصورة تجلو لنا الحقائق أنصع لونا وأشد فى النفوس وقعاً وهذا هو السر فى ان حكمة المتنبي المستقطرة من الحياة وتجاربها كالذهب النقى لا تذهب لمعته ولا ينغيص رونقه

وشخصية المتنبي بعيدة عن روح الدين . لان الدين فى أوسع معانيه هو الاعتقاد بقوة علوية فوقنا ولكنها تعمل من أجلنا والرجل المتدين يلوذ بهذا الاعتقاد ويتقى به قوارع الخطوب وعواصف الحياة . وهو فى نظره حقيقة الحقائق وسر الاسرار ومنبع الامل ومبعث الاخلاق . ويرى فى كل مظهر من مظاهر الكون آثاراً له ظاهرة وشواهد عليه ناطقة . وقد كان ابو الطيب رجلا كثير الاعتداد بنفسه شديد الاعتماد عليها لا يعرف التواضع وكان يحس ان فيه من قوة الاسر وصلابة المعجم ما يغنيه عن الاستناد الى أية قوة أخرى خارجية . انظر مثلا الى قوله :

ان نيوب الزمان تعرفنى انا الذى طال عجمها عودى

وفى ما قارع الخطوب وما آنسنى بالمصائب السود

والحياة فى نظر المتنبي ليست معبداً مقدساً ولا صومعة ناسك وانما هى مجال كفاح لا رحمة فيه ولا هدنة . وهو حكيم مجرب ولكنه ليس قديساً . ولقد واجه شرور الحياة ومنا كر العيش بلا أمل ولا يقين . وعرف ضعف الانسان وجهالته وشقاءه ولكنه لم يستطع ان يعتصر هذه الظواهر المؤلمة ليخرج لنا ما فيها من الخير ولم يذهب بنا الى ما وراءها من نظام ولم تستطع عبقريته ان تنير دواجى الظلام الخيم حول هذه المشكلات . ورغم توقد عاطفته وقوة نفسه لم يستطع ان يبعث فينا شيئاً من الثقة بالنفس الانسانية والامل فى مصيرها . ففلسفته حزينة مكتئبة وحياته قلقة مضطربة وخاتمته مأساة تستثير الاسف وشخصيته تثير الاعجاب والاحترام أكثر مما تثير الحب والعطف . وخلوه من العاطفة الدينية لا يقدح فى شاعريته لانه لا يشترط ان يكون الفن مظهراً للدين وانما الفن والدين والاخلاق هى وسائل الوصول إلى عالم القيم الخالدة . وقد آثر المتنبي ان يسلك طريق الفن

ولئن كان ... من الدين قليلا فقد عظم نصيبه من الفن على أدهم

« . . . ولما اتصل المتنبي بسيف الدولة شرط ألا ينشده الشعر الا وهو جالس ، ولا يكلف بتقبيل الأرض عند دخوله عليه . فدخل سيف الدولة تحت هذه الشروط . . . »

نفسية المتنبى

تحليل لبعض نواحى حياته

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية

سيتحدث الشعراء والادباء عن المتنبى وسيصورونه بما يليق بمكانته العاليـــة فى عالم الشعر والأدب وستستهويهم تلك الصورة الخلابة التى يعطيها عن نفسه فى متفرق شعره. لأن الرجل تحدث عن نفسه بما لم يتحدث به شاعر آخر. ودفع نفسه بنفسه الى ذروة الشعر والمجد ومكارم الاخلاق. أليس هو باعترافه أشعر الشعراء

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى واسمعت كلمـــاتى من به صمم

* * *

انا ترب الندى ورب القوافى وسهام العدى وغيظ الحسود

وهو صاحب الهمة القعساء التى تستخف بكل شىء فى الوجود :

تحقر عنـــدى همتى كل مطلب ويقصر فى عينى المدى المتطاول

* * *

وإنى اذا باشرت أمراً أريده تدانت أقاصيه وهان أشده

وهو الكريم واسع الصدر الحافظ للسر

كفانى الذم أننى رجل كرم مال ملكته الكرم

وهو الشجاع الذى بلغ من شجاعته أن يعدها الناس تهورا

ولو برز الزمان إلى شـــخصاً لخضب شعر مفرقه حســـامى

هذا الرجل الذى يشرف قومه به ويفخر أجداده بانتسابهم إليه

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجـــدودى

أترى له فى الدنيا مثيلا

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى إن النفيس غريب حيثما كانا

وبالجملة هذه عقيدة فى نفسه منذ أن ادعى النبوة فى صباه

بل دعنا من حديث الرجل عن نفسه ولنعرج على الأخلاق الفاضـــلة التى يقدرها والمثل العالية التى يمجدها. فتراه يمجد القتال من صغره

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين وقت القتال
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

ويمدح التواضع والزهد فى الدنيا وطلب العلى ، ويذم البخل وحرص الناس على الدنيا بأبيات كثيرة ـ أعددناها ولكن يضيق المقام عن ذكرها ـ ترفعه الى مقام القديسين والمتصوفة الزاهدين . ولكنك أثناء هذا كله تبرز لك من عقله الباطن صورة البخيل الجشع الذى يضع المال فوق كل شىء حتى فى التشبيه :

من يطلب المجد فليكن كعلى يهب الألف وهو يبتسم

* * *

تهلل قبل تسليمى عليه والقى ماله قبل الوساد

* * *

انى أنا الذهب المعروف مخبره يزيد فى السبك للدينار دينارا

ثم انظر الى هذا الرجل الوقور يتملكه الغضب فى الهجو فيفلت لسانه بالقول الذى تصطك منه المسامع فى قصيدة « ما انصف الناس ضبة »

هذا هو الستار الملون البراق الذى يريد أن يستر به المتنبى خلقه ونفسيته ، ولكن عين علم النفس تنفذ الى أعماقه وتكشف عن طبيعته وتصدر فيه حكماً قد يغضب رجال الأدب وقدلا يليق بنا أن نسوقه فى ظرف كهذا يعظم فيه المتنبى وتمجد ذكراه ولكنا نتحدث عن الرجل لا عن الشاعر ولا يعيب الشعر أن يكون ناظمه حقيراً ولا الأدب أن يكون قائله بذيئاً ولا الجمال أن يكون مصوره قبيحاً . فكم مجد الصدق على لسان الشاعر الكذوب وكم مدح الكرم بقلم الأديب البخيل . وتعزيزاً لحكمنا فى قضية المتنبى نرجو القارىء أن يجول معنا جولة قصيرة فى حياته . وسنكتفى بالجزء البارز فى تاريخ حياته وهو اتصاله بالأمراء والكبراء ومدحه أو ذمه لهم . ولا ينكرن أحد أن شعر المتنبى كان كله شعراً خاصاً ينصب على مدح الناس عند التقرب اليهم ثم ذمهم عند الانصراف عنهم وان الحكم والامثال على سموها وجلالها كانت تنساق انسياقاً اثناء هذا الكلام الخاص

فقد ركب الغرور الرجل منذ نشأته وظهر جلياً فى تهوره وادعائه النبوة ولم يكن هذا الفعل طريقاً ميسوراً للمجد . فاراد تحقيق آماله الهوجاء ومطامعه الخيالية عن الطريق الناعم السلس المأمون العاقبة . طريق الاتصال بالامراء ومدحهم بل والاسراف فى مديحهم لينال من مالهم وعطفهم بل ربما استوزروه وولوه ، فأخذ يتجشم المشاق فى أسفار بعيدة أبعد من آماله (كما يقول صاحب يتيمة) يمدح فيها القريب والغريب ويستعرض الامراء والحكام ويتخير منهم الكثير جوداً واوفرهم مالا فيرفعه السماكين بل انه لا يتورع فقد يكون الامير صغير

ن فيخاطبه بصفات الالوهية (كالمعز المذل)
فيقول فى على بن ابراهيم التنوخى « مذل الاعزاء المعز »
وفى كافور : « جرى الخلف الا فيك انك واحد »
ثم ينهل من الرجل حتى يرتوى فاذا أنس منه شيئاً من الانصراف عنه الى غيره وهو يأبى أن يكون المدلل به ، انصرف عنه الى غيره واخذ يمدحه بمثل ما كان يمدح به الأول ، بل إنه م الامراء السابقين فى غير حاجة ويعرض بهم من غير ضرورة . وقد يدعوه بعض الامراء فار وهو فى طريقه الى ملك من الملوك ، دعوة مخلصة صادقة فيترفع عنهم ولا يتنازل د عليهم كما فعل مع الوزير المهلبى والصاحب أبى القاسم وهو فى طريقه الى عضد الدولة - قيل ان الثانى كتب اليه يلاطفه ويضمن له مشاطرته جميع ماله ، ولكنه لم يكن قد استوزر فلم يقم له وزناً ولم يجبه على كتابه . وهكذا عاش الرجل أفاقاً مداحاً متكسباً بالشعر على أ مايكون التكسب مناقضاً بفعله كل ماسطره بقلمه أو انشده بلسانه . ولم يكن لخلقه نصيب ر فى الفضائل التى كان يمجدها ويتغنى بها فى نفسه وفى غيره. ولنكتف بأبرز حوادثه التى تبين مبلغ هذا التقلب فى طبيعته حتى لا يطول بنا البحث

فقد مدح سيف الدولة بعشرات من قصائده لا يترك فيها صفة طيبة ولا خلة حميدة الا ها اليه حتى ليخيل اليك أن الرجل سيجعل حياته وقفاً على مديحه ، ولكنه سرعان ما يتصل لور فى مصر ثم يتركه الى عضد الدولة وغيره وغيره . وتؤخذ عليه فى حياته المتقلبة هذه ذة قوية اهمها

(١) إيهام كل امير بانه انجذب اليه عن رغبة صادقة وانه سيقصر مدحه عليه فيقول ين بن عبيد الله :

لا تجذبن ركابى نحوه احد ما دمت حيا وما قلقلن كيرانا
كافور قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

(٢) قصره الفضل كله على من يمدحه دون سائر الناس كأن الفضائل كلها قد جمعت فيه . يقول فى كافور

وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

بل انه ليقلب نقصه كمالا فيقول فى سواد لونه ما يجعله من الملوك سواد العين وهم ها

فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها وماقيا

(٣) ذم الأمير بما كان يمدحه به سابقا فقد اتخذ سواد كافور مادة لهجوه وعيره بالبخل أن كان الكرم وقفاً عليه وعير أهل مصر به بعد أن كان عبداً له فيقول فى سواده :

وانك لا تدرى ألونك أسود من الجهل أم قد صار أبيض صافيا

بل انه ليجعل وجود كافور فى الدنيا سلطانا للمسلمين دليلا على التشكك فى وجود الخالق :

الا فتى يورد الهندى هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم

كل هذا لأن كافوراً منحه كل شىء وقربه اليه ولكنه طمع فى الولاية فلم يعطها اياه . وقد نقبل هجاءه كافوراً فى خلقه بحجة انه تبين سوء رأيه فيه وندم ، ولكنا لا نقبل تعييره بسواده وسوء خلقته وهو يعلم ذلك قبل أن يقدم عليه . ولكن ماذا نقول فى الرجل وهو لا يقيم إلا حيث يجد المرعى والمنفعة المادية

(٤) ثم انظر اليه وهو يذم سيف الدولة فى حضرة كافور أو على الاقل وقت مدحه له

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن
وإن بليت بود مثل ودكم فانني بفراق مثله قمن
عند الهمام ابى المسك الذى غرقت فى جوده مضر الحمراء واليمن

أى عند كافور الذى جرده من الفضل فيما بعد . وما كان أحراه ألا يتنكب هذا الطريق ويذم أمير الجود فى مدح شر العبيد !

(٥) وما أشد تحايله عند ما يحاول ان يبرر للامير اللاحق شرحه مديحه للأمير السابق حتى لا تأخذه الغيرة فيقول عن كافور انه لم يكن جاداً فى مديحه :

ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحداد البواكيا

ثم يقول لعلى بن ابراهيم التنوخى :

أشرت ابا الحسين بمدح قوم نزلت بهم فسرت بغير زاد
وظنونى مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادى

وهذا فى الحق تخلص غريب لانه يقول المدح لانسان ويعنى به آخر . ثم هو فى حضرة أبى شجاع فاتك يتوب عن مدح كافور ويقرع نفسه عليه :

وشعر مدحت به الكركدن بين القريض وبين الرقى
فما كان ذلك مدحاً له ولكنه كان هجو الورى

كأنه كان فى الواقع لا يمدح كافوراً ليسره وانما ليغيظ الناس الذين ملكوا عليهم عبد وهذا تحايل غريب !

هذه إلمامة بسيطة بناحية من نواحى خلق المتنبى . ولعلنا لا نكون قد أسرفنا فى النقد . ولكل فنفسيته شىء وشعره وأدبه شىء آخر

محمد مظهر سعيد

الغموض في شعر المتنبي

هل كان المتنبي يتعمده

أعجز المتنبي كثيراً من البلغاء ببلاغته ، وتفوق على جميع شعراء عصره ، وفرض على الايام خلود شعره ، ولكن بالرغم من هذا الاعجاز الذي اشتهر به جاءت بعض أبياته غامضة مبهمة فهل كان الشاعر يتعمد الغموض والابهام ؟ وما السر في هذا الشذوذ الذي يتخلل ابياته الخالدة ؟ ذلك مايدور حوله البحث بين الاستاذين عبد الرحمن البرقوقي ، ونقولا الحداد . وقد ذهب كل منهما مذهباً في هذا الموضوع

رأى الاستاذ البرقوقي

« . . اذا عرفت هذا وتفطنت اليه تبين لك ان ليس هناك ما حمل أن يسمى تعمداً للغموض وانما هو الاحتفال والاجتهاد واستنباط النزيعة لخواطر نفسية وانفعالات طارئة وظروف عارضة . . »

ليس يخلو شاعر من الشعراء ولا كاتب من الكتاب ، ولاسيما النوابغ الفحول ، من غموض . بيدأن المتنبي كما انه فاق شعراء عصره في الجزالة والافصاح والتبيين ، فاقهم في الغموض والاغراب والتعقيد ، فغموض المتنبي يبذ غموض سائر الشعراء كما وكيفاً كما يقولون ، أي أن الغموض في شعره كثير ، وعلى كثرته تراه أمعن في الغموض من غيره . فهو نابغة في الغموض كما انه نابغة في الابانة والافصاح

وللغموض ألوان ومظاهر شتى ، فغموض في الالفاظ وغموض في المعاني . وغموض الالفاظ إما لان مفرداتها غريبة وحشية ممعنة في الغموض بحيث لايكاد يعرفها العلماء المبرزون مثل قول المتنبي :

وما أرضى لمقلته بحلم اذا انتبهت توهمه ابتشاكا

والابتشاك الكذب . . . وقوله أيضا :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغر دلائل

فان لفظة جفخ غريبة وحشية فضلا عن انها غليظة مرة الطعم ، وكان للمتنبي متسع عنها بأن يستعمل عوضها كلمة فخرت التي هي بمعناها ، ولكن ما الحيلة في تنطس الشعراء . . .

ومن هذا الباب ولوع المتنبي باللغات الشاذة أو الضعيفة أو المختلف فيها مثل استعماله لفظة السم بدل الاسم في قوله :

أشاروا بتسليم فجدنا بأنفس تسيل من الآماق والسم أدمع

والبيت رائع بديع . . وكذلك ولوعه بالتلاعب بالألفاظ ، وتلمس المناسبات بينها ليظفر بما يسمونه التجنيس أو مراعاة النظير أو ما اليهما من أنواع البديع . . . وهو كثير فى شعر المتنبى . .

وقد يكون غموض الالفاظ لما يسمونه المعاظلة أو التعقيد اللفظى كقول المتنبى :

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

وقوله :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

أما الغموض فى المعانى فان ألوانه هو الآخر كثيرة ، وقد يكون من استعمال لفظ مشترك ، ومن وقوع كناية بعيدة أو استعارة خفية أو ايجاز مخل إلى أمثال ذلك مما استقصاه علماء البيان . وقد أرجع بعض النقدة من المتقدمين أسباب الغموض فى المنظوم والمنثور إلى ثلاثة أشياء . التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبههما ، وسلوك الطريق الأبعد ، وايقاع المشترك

وهناك ألوان من الغموض تعد من محاسن الشعر وتدل على براعة الشاعر وحسن تأتيه ، ولكنها غموض على أية حال . وذلك مثل مما يسمونه الموجه وهو أن يحتمل الكلام معنيين غيرين ضدين وغير ضدين ، فالضدان كقول أبى الطيب يمدح كافورا :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا لمن بات فى نعمائه يتقلب

فان هذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان ، احدهما ان المنعم عليه يحسد المنعم ، والآخر أن المنعم يحسد المنعم عليه . وكذلك قوله من قصيدة يمدحه :

فان نلت ما أملت منك فربما شربت بماء يعجز الطير وردة

فان هذا البيت يحتمل مدحا وذما . واذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ماقبله ، فانه يكون بالذم أولى منه بالمدح ، لأنه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ ، وصدر البيت مفتتح بان الشرطية ، وقد أجيب بلفظ رب التى معناها التقليل ، أى لست من نوالك على يقين فان نلته فربما وصلت الى مورد لا يصل اليه الطير لبعده . واذا نظر الى ماقبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذى قبله . وكثيرا ما كان يعمد المتنبى الى هذ النوع فى شعره ، وأكثر ما كان ذلك فى قصائده الكافوريات . . وحكى ابن جنى قال :

قرأت على أبى الطيب ديوانه إلى أن وصلت إلى قصيدته التى أولها :

« أغالب فيك الشوق والشوق أغلب »

فأتيت منها على هذا البيت :

وما طربى لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فقلت يا أبا الطيب : لم تزد على ان جعلته أبا زنة ـ أى قردا ـ فضحك لقولى . . أما غير المصدين فكقول المتنبي من قصيدته فى عضد الدولة :

لو فطنت خيله لنائله لم يرضها أن تراه يرضاها

فانه يستنبط منه معنيان غير ان : احدهما ان خيله لو علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه لأن عطاياه أنفس منها . والثانى أن خيله لو علمت أنه يهبها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك اذ تكره خروجها عن ملكه . . وهذا النوع المسمى الموجه تراه كثيرا فى شعر الفحول المتقدمين منهم والمتأخرين . فمن ذلك باب الكناية وهو باب واسع فى العربية حتى أفرد له المتقدمون الكتب والاسفار . وبحسبك كتاب الكنايات للثعالبى . ومن ذلك المغالطات المعنويةوهى بسبيل من التجنيس وليست به ، وذلك أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شىء آخر أو نقيض والنقيض أحسن موقعاً والطف مأخذاً ، وذلك مثل قول المتنبي :

يشلهمو بكل أقب نهـد لفارسه على الخيل الخيار
وكل اصم يعسل جانباه على الكعبين منه دم ممار
يغادر كل ملتفت اليه ولبته لثعلبه وجار

فالثعلب هو هذا الحيوان المعروف والوجار اسم بيته والثعلب أيضاً هوطرف سنان الرمح فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار فى طرف السنان . وهذا نقل المعنى من مثل الى مثله

اسباب الغموض فى شعر المتنبي

أما بعد فلك أن تقول بعد هذا التمهيد إن هناك ألواناً من الغموض تعد من محاسن الكلام . فليس يعاب بها الشاعر إذ هى من بنية الشعر العربى ومقوماته . وأظن أنه لا يخلو منها منظوم فى أى لغة من اللغات ، بلى ولا يخلو منها منثور . وعدنا اياها من ألوان الغموض إنما هو تجوز وتوسع والا فهى كما قلنا من محسنات الكلام ودلائل على براعة الشاعر وصدقه ، والجهل بدقائقها جهل بالشعر وما رزقه الصنعة المتلاحمة . على أن المتنبي وان كان فى حقيقته مطبوعاً إلا أنه كسائر الشعراء الفحول يضطر الى الصنعة فى بعض الاحيان شأن الفنانين فى كل فن وحرفة ، فليس يؤاخذ الفنان بذلك ولا هو مما يغتمز فيه ، اللهم إلا فى الندرة وحين يجعل الصنعة وكده وديدنه . أما الغموض الحقيقى الذى أوردنا من ألوانه وأمثلته ما أوردنا فلك أن تقول إن المتفقد لشعر المتنبي المتتبع لظروفه وملابساته يتجلى له ان هذا اللون من الغموض كان يعرو شعره فى حالات تكاد تشفع له لك ترى هذا الغموض أكثر ما يكون فى صباه وأوائل شعره . ويظهر أن مثله الاعلى فى أول أمره كان شعراء الصنعة أمثال مسلم بن الوليد وأبى تمام ، فكان يقفو أثرهما ويحتذى على طريقتهما يحتفل ويتنطس فيغمض

وكذلك تراه يحتشد ويبلغ أقصى مجهوده إذا هومدح مثل ابن العميد وهو من هو أدباً وفضلا وجهبذة واستاذية حتى ان له على المتنبي مآخذ . وكذلك إذا هو مدح سيف الدولة لاول اتصاله به والشعراء متوافرون على بابه وسيف الدولة نفسه من الادب والشعر بمكان . وتراه كذلك إذا هو رجز ــ قال رجزاً ــ كانه يحاول ان يطول رؤبة والعجاج ويغبر فى وجوههما . فتأتى أراجيزه حافلة بكل غريب غليظ ممن فى العربية . هذا ومما يجمل ان يلحظ هنا أن عصر المتنبي كان شأن اللغة فيه غير شأنها اليوم وأن البيئة التى نشأ فى احضانها ادباء ذلك العصر هى غير بيئتنا . وهذا أبوالطيب تراه نشأ فى البادية وتلقى اللغة من الاعراب الخلص ، ثم ظهر فى بيئة ــ هى الكوفة ــ غاصة بالرواة وعلماء اللغة وأساطين البيان ، وهو رجل بطبيعته طموح بعيد مرتقى الهمة ، أفتراه ونشأته هذه النشأة وبيئته هــذه البيئة وطموحه هذا الطموح لا يحتفل فى شعره كل الاحتفال ويأتى بالغريب الوحشى وبالتراكيب الغريبة فى بعض الاوقات وبالمعانى الدقاق والتوليد العجيب الدقيق ؟

وإذا ما عرفت هذا وتفطنت اليه تبين لك ان ليس هناك ما يصح أن يسمى تعمداً للغموض . وانما هو الاحتفال والاحتشاد واستنباط القريحة لحوافز نفسية وانفعالات طارئة ، وظروف واعتبارات عارضة . وانما هو الطراز الأول من الشعر تظاهر على انتاجه عصر غير عصرنا ولغة تكاد تتنا كر مع لغتنا كما تتناكر لغة شا كسبير مع لغة هذا الجيل من الانجليز لا يدرك دقائقها الا الافراد أوتوا من الوقت والاستعداد ما يجلدهم على معاناتها ، ودراسة آدابها وآلاتها . وانما هو المثل الاعلى من المعانى الدقاق لا يلهمه إلا مثل المتنبي فى شاعريته وعبقريته وتوليده العجيب . ذلك التوليد الذى هو سر من اسرار شاعريته

رأى الاستاذ نقولا الحداد

« . . كان يعتمد على قدرته في التخيل لا على وحي ربة الشعر فجاء شعره مجرد اغراق في الخيال ، وغلو في التصور ــ الامر الذى اقتضى أن يعجز عن ابراز الصورة التي تمثلت في ذهنه ، فرقع الثوب ترقيعاً للمعنى الذي أراد فقبح الثوب ، وانطمس المعنى . . »

لا جدال فى أن المتنبي أحد كبار الشعراء المعدودين . وقد لا يعدل من يعــده أعلاهم كعباً . ويمتاز شعره بما فيه من سمو الخيال الذى لا يكاد يطاول ، وابتكار المعانى التى ترى كانها مختلقة من العدم ، واختراع الصور الفنية التى تهتز لها النفس اعجاباً ، والابداع فى ابراز المعانى التجريدية فى ذاتيات حسية ، إلى غير ذلك من المزايا التى تدل على ذكاء باهر وفكر ثاقب ، بحيث يظن أنه لو صرفه القدر الى التفكير العلمى أو الفلسفى لاصاب منه منزلة فى عصره مثلما أصاب من المنزلة فى الشعر . لذلك خلد شعره وسيبقى خالداً . والى الآن لم يفقه شعر فى اسلوب الشعر القديم ، وان كان فى

أسلوب الشعر العصرى المضارع له فى المنزلة ما يستحب أكثر منه لأنه أقرب فناً الى القلب

ولو عاش المتنبى فى هذا العصر فى بيئة المدنية الحاضرة وتعلى عقله بمعارفها العامة لبرز بلا شك فى الشعر العصرى وكان شعره فنياً أكثر منه فى ديوانه . أقول هذا لان العصر الطويل الذى لشط فيه الشعر العربى وكان نصيب المتنبى أن يعيش فى رده منه كانت مناهج الشعر فيه تبعده عن روح الفن التى نعنيها فى هـذا العصر والتى نحسبها ينبوع الجمال . فان معظم مواضع شعره مدح الملوك وتمجيد كرمهم وسؤددهم وبلائهم فى الحروب وما إلى هذا مما يقتضى التفنن فى تصوير الطعن والضرب والفتك والدم والنقع والاذلال والاسر وما يستلزمه من ذكر الجيوش والخيل والنياق والفلوات والبوادى والى آخر ماهنالك من ظاهرات الهمجية والاغضاء عن نعماء المدنية ومحاسنها وما فيها من جمال وفن جميل . وإذا اعتبرنا الشعر فناً جميلا أو هو فى مقدمة الفنون الجميلة فاجادة المتنبى فى الابداع والابتكار فى تلك المواضيع يعد معجزة . ولكن مهما بلغت الاجادة من السمو بقى الفن الجميل ضئيلا فيها

لذلك لايستطيع المتنبى ولا غيره من منافسيه فى هذا المنهج المجافى للفن الجميل الا أن يتعمل الابداع الشعرى تعملا ويعنت الذهن فيه اعناتاً . ولا يستطيع ان يستلهم الروح والقلب فى تصوير الجمال وابراز الصور العقلية الجميلة ، ولا أن يلجأ فى هذا الاستلهام الى الطبيعة أم الجمال ومصدر الوحى الفنى . فتوفق المتنبى الى الابداع العجيب والابتكار الغريب بالرغم من بعده عن دار الفن بعد ، وايم الحق ، معجزة

ومنهج المتنبى هـذا فى شعره كان يقضى عليه أن يقول غير ما يعتقد ، ويصور غير ما يحس . ويحب بغير ما يحب . ويجمل غير ما يستحسن . فكيف يستطيع ان يكون فناناً بحتاً إذا كان يمتدح ممدوحاً لا محمدة له فى يقينه إلا العطاء ، أو اذا كان ينعته بشرف ولاشرف له فى رأيه الابتقريبه اليه ؟ وكيف يمكن ان يكون شعره من قلبه إذا كان يقول لكافور الزنجى مثلا حين يمدحه :

انت الحبيب ولكنى أعوذ به من ان أكون حبيبا غير محبوب

ثم متى انقلب الى هجوه يقول . وقد نظر الى شقوق فى رجليه :

وتعجبنى رجلاك فى النعل انني رأيتك ذا نعل اذا كنت حافيا

فشاعر كالمتنبى يندر ان يشعر بما يشعر به أو انه يشعر بما لا يشعر به . ولا يستطيع ان يبدع فى هذه الحال الا اذا استكد ذهنه فى اختلاق الصور الشعرية لذلك كان يعتمد على قدرته النادرة فى التخيل لا على وحى ربة الشعر الجميل . فجاء شعره مجرد اغراق فى الخيال وغلو فى التصوير ، الامر الذى اقتضى فى كثير من المواقف ان يعجز عن ابراز الصورة التى تمثلت فى ذهنه لانه لم يجد فى اللفظ بدناً كاملا لها ، ولا فى سعة العروض كساء واسعاً تحتويه . فرقع الثوب ترقيعا ضيق المعنى الذى أراد . فقبح الثوب وانطمس المعنى

هذا هو سر الابهام فى كثير من أبياته

لذلك لا تفهم شعر المتنبى بلا شرح . ومتى فهمته من الشرح رأيت ان صيغة الشرح لبعض الابيات تختلف عن صيغة النظم . وتلاحظ ان الشرح المنثور أليق للمعنى من الشعر المنظوم . وفى كثير من الابيات المبهمة لا تدرك المقصود حتى بعد تفسير الالفاظ . وحتى حيث أردف الشارح تفسيرها بشرح المراد من البيت يبقى المعنى غامضاً أو غير ذى شأن . ولذلك ترى ان الشارح لم يحصل المعى الا بالاعتماد على مختلف القرائن. ولهذا اختلف الشراح فى تفسير كثير من الابيات لشدة ابهامها وغموضها . وربما فسروا بيتا بمعنى لم يرده المتنبى وبقى مراده الذى جال فى ذهنه دفينا معه

ومن أمثلة ذلك قوله :

جللا كما بى فليك التبريح أغذاه ذا الرشأ الاغن الشيح

ومعنى الشطر الاول واضح. وهو فليكن التبريح فى الهوى جللا كما هو بى . وتقديم المتأخر فيه من ضروب البلاغة . ولكن الشطر الثانى يقتضى تأويله اعنات فكر ، لان الصلة اللفظية بينه وبين الصدر مفقودة بتاتاً اذا صح تفسيره هكذا : أتظنون ان غذاه هذا الرشأ كعادة مثله من غزلان الصحراء ؟ لا . بل ان غذاءه من قلب عاشقه ولهذا ينحله ويمرضه . فهو الذى يورثه هذا التبريح . فانظر كم اقتضت الصلة بين الصدر والعجز من الكلام الذى استقام به المعنى وليس فى البيت منه شىء. ومثله قوله :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

قال اليازجى فى تفسيره : وفاؤكما مبتدأ خبره كالربع . وأشجاه تفضيل من شجاه الامر إذا أحزنه ، وطاسمه دارسه ، والجملة حال من الربع . وتسعدا بمعنى تساعدا والباء متعلقة بوفاء . وهو من الضرورات القبيحة لان الاسم لا يخبر عنه إلا بعد تمامه . وساجمه ساكبه

فليتأمل القارىء هذا البيت بعد ما تقدم من تفسير ألفاظه وتركيبه. ولير ماذا يستطيع أن يحصل منه ؟ وهل يستطيع أن يحصل بسهولة هـذا المعنى الذى حصله الشارح وهو : « يخاطب صاحبيه اللذين عاهداه على مساعدته بالبكاء عند ربع الاحبة . يقول وفاؤكما بمساعدتى كهذا الربع . فان الربع كلما درس كان ادعى الى الحزن . وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقلت مساعدتكما لى بالبكاء اشتد حزنى لفقد من أتأسى به . وقوله : والدمع أشفاه ساجمه . بيان لعذره فى البكاء وحجة على صاحبيه بأنهما خاليان عما هو فيه من الحزن . فهل يمكن أن هذه المعانى المتسلسلة تسلسل العلل والمعلولات ان تدمج فى تسع كلمات . وبعد هذا الشرح الطويل أين تجد الفن الشعرى فى هذه المعانى ؟ أو أين الصورة الجميلة التى يعرضها المتنبى فى هذا البيت ؟

وفى نفس القصيدة

فى تغرم الاولى من اللحظ مهجتى بثانيـة والمتلف الشىء غارمه

يعنى انه نظر اليها نظرة أتلفت مهجته . فيقول لها فى لانظرك نظرة ثانية ترد مهجتى وتحييها فان فعلت كانت النظرة الثانية غرماً لما اتلفته الاولى . فانظر هل يبدو هـذا المعنى إلى الذهن من مجرد الاطلاع على البيت ؟

وكذلك قوله فى وصف جنود سيف الدولة :

تحمل اغمادها الفداء لهم فانتقدوا الضرب كالاخاديد

قال الشارح : اغمادها اى اغماد سيوفها فحذف المضاف وانتقد الدراهم قبضها . والاخاديد جمع اخدود وهو الشق المستطيل فى الارض . والظرف حال من الضرب . فانظر الصورة التى رسمها المتنبى فى هذا البيت . هل هى فى ظاهر اللوحة أم هى مخبأة فى باطنها . فهو يعنى أنهم حملوا الى الاعداء السيوف فى الاغماد وجعلوها فداء لأنى وائل لأنهم استنقذوه بها . ولما جعل السيوف فداء جعل الضرب بها مقبوضاً كما تقبض الاموال التى تدفع عادة فى الفداء . أى فنالتهم بها جراح واسعة كالاخاديد . وأى صورة تقوم فى ذهنك من تشبيه الضرب بالسيوف فى ابدان الاعداء بالنقود التى تقبض فدية ؟ ما أغمض وجه الشبه هنا !

ومن أمثلة الغموض التى يختلف فى تأويل المراد منها قوله :

ضروب وما بين الحسامين ضيق بصير وما بين الشجاعين مظلم

أى أنه حاذق بأمر الحرب يضرب قرنه وقد اشتد الزحام حوله حتى لا يجد السيف مساغاً ولا يخطىء مقتله . وقد أظلم الجو بينهما من شدة الغبار حتى لا يبصر القرن قرنه . فتأمل ما بين المعنى واللفظ من تباعد الدلالة !

وكذلك قوله :

عجب الوشاة من اللحاة وقولهم دع ما تراك ضعفت عن اخفائه

أى ان اللحاة (اللوام) يقولون له : دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانه . فيعجب الوشاة من قولهم هذا لانه إذا غلب عليه الحب حتى يعجز عن كتمانه فهو عن تركه أعجز . والابهام هـنا فى عجب الوشاة الذى لا يظهر له سبب فى البيت . ولذلك يضطر الشارح أن يتفلسف فى سببه الذى ليس له فى البيت لفظ يدل عليه . وانما تؤخذ الدلالة من تقاليد العرب فى الحب ومنها أن العاشق يكتم عشقه

يكفى ما تقدم من نماذج الابهام فى شعر المتنبى ، وفيها الدلالة الكافية على أنه بعيد الغور فى التصور والتخيل وابتداع المعانى ولكنه كان فى كثير من الاحوال يعجز عن أن يصوغ تمثالا كاملا للمعنى الذى يبتدعه بحكم العروض عليه وزناً وقافية . فيضطر الى اغفال شىء من اللفظ اللازم

قالب المعنى، والى التقديم والتأخير الى حد الاخلال بقوانين البلاغة وقواعد اللغة أحياناً
ع عبقريته فى تسويغ هذا الاخلال · ومن أمثلة هـذا ارتكابه « لغة يتعاقبون » أى
وضميره معا بعد الفعل كقوله :

ورمى وما رمتا يداه فصابنى سهم يعـذب والسهام تريح

فضمير المثنى فى رمتا فضلة منكرة قبل ذكر الفاعل « يداه » ومثله فى نفس القصيدة :

تفديك من سيل اذا سئل الندى هول اذا اختلطا دم ومسيح

ـ الاخيرة فى اختلطا فضلة مع الفاعلين المتعاطفين . ناهيك عن اعتراض الشرط بين
وت ـ سيل هول

هذا القبيل فك الادغام فى قوله :

ولا يبرم الامر الذى هو حالل ولا يحلل الامر الذى هو مبرم

فهو مستقبح وان جاز لضرورة الوزن . وله كثير من أمثال هذه المتجوزات المكروهة ولا
ها . ولا يندر أن يضحى بصحة التعبير اللغوى انقياداً لضرورة الوزن كقوله :

حتى وصلت بنفس مات أكثرها وليتنى عشت منها بالذى فضلا

ى المعنى الواضح أن يقول : وليتنى أعيش

وهناك كثير من الابيات التى يشذ فيها عن أصول الفصاحة والبلاغة ويرتكب فيهـا التقديم
والتأخير والحذف الخ حيث لا تجوز هذه المذكورات فيظهر البيت بها كركام بناء متهدم وقد تراكمت
ه على بعض . كقوله :

فتى ألف جزء رأيه فى زمانه أقل جزىء بعضه الرأى أجمع

ازجى : « فى هذا البيت من التقديم والتأخير والحذف والابهام مالا يباح فى أساليب الكلام
ثبت تركيبه النحوى وجدته باقياً على غموضه . . وجل ما يتحصل منه ان ممدوحه فتى لو
اعتبر رأيه فى أحوال زمانه الف جزء لكان أقل جزء منها يعادل كل ماعند الناس من الرأى » .
نى ان الممدوح اعلم الناس باحوال الدهر ،فترى ان هذا المعنى تافه لايستحق هذه الحذلقة
ب فى النظم

ذا حلق فى فضاء التخيل والتصور يترك وراءه حسن الذوق فيرد فى نظمه من السماجة
فى لطف الخيال ، ومن خساسة الاستعارة والتشبيه ما يقابح سمو التصور كقوله فى
قصيدته المشهورة : « من الجآذر فى زى الاعاريب ؟ »

لا تجزنى بضنى بى بعدها بقر تجزى دموعى مسكوباً بمسكوب

جمع جؤذر وهو ولد البقر الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها . وهو وجه الشبه

عيد بين الطرفين وفيما سواه بينهما تباين عظيم كما هو معلوم . ولا يخفى مافى ذكر البقر فى صدر
ت من فساد الذوق . وما اكتفى بذلك بل ضرب على نفس النغمة فى بيتين آخرين فى نفس
يدة احدهما :

قد وافقوا الوحش فى سكنى مرابعها وخالفوها بتقويض وتطنيب

. ولما أراد أن يرفع من شأن الآرام التى تشبه بهـا الحسان لجمال عيونها قابلهـا بالمعيز فى
ت الآخر :

أين المعيز من الآرام ناظرة وغير ناظرة فى الحسن والطيب

وهو يشبه نساء الحضر بالمعيز ونساء البدو بالآرام . ولا أدرى ان كان احد من الناس يجيد
ا الذوق !

ومن هذا القبيل قوله :

وأشرف من عيشهم موته وانفع من وجدهم عدمه

يريد ان موت ممدوحه أشرف من حياتهم (اى الملوك الذين يفاضله عليهم) فأى ذوق هذا فى
يجعل موت ممدوحه وفقره موضوعاً للمفاضلة ؟

نكتفى بما تقدم ونرشد القارىء إلى تذييل الشيخ ابراهيم اليازجى لشرح أبيه الشيخ ناصيف
يوان المتنبى . وهو شرح ممتع قيم وقد أورد فى هذا التذييل طائفة من الابيات المبهمة التى اختلف
مراح فى شرحها وحل رموزها

---

* قيل للمتنبى : « على من تنبأت ؟ » قال : « على الشعراء » فقيل له : « لكل نبى معجزة فما هى
عجزتك ؟ » . قال معجزتى هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على المرء ان يرى عدواً له ما من صداقتـــه بد

* وصحب المتنبى سيف الدولة فى غزوة الشتاء التى لم ينج منهـا إلا سيف الدولة وستة معه
حدهم المتنبى ، وأخذت الروم عليهم الطرق ، فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على العسكر وفرق
لصفوف . وبينما المتنبى يسوق فرسه ويشق الصفوف مع سيف الدولة اعتلقت بعمامته أغصان
شجر معروف بام غيلان ، فكان كلما جرى الفرس انتشرت العمامة وتخيل المتنبى ان الروم قد
لفرت به ، فكان يصيح : الامان ياعلج ، فهتف به سيف الدولة : « اى علج ؟ هـــذه شجرة
علقت بعمامتك » فوجد أن الارض غيبته

كان تسليمه وداعاً

أول شعر نظمه ارتجالا قوله وهو صبي :

بأبي مَنْ وَدِدْتُـهُ فَافْتَرَقْنَا ... وقَضى اللهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِمَاعَا[1]
فَافْتَرَقْنَا حَوْلاً فَلَمَّا التَقَيْنَا ... كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا

كفى بجسمي نحولا

قال أيضاً في صباه :

أبْلى الهَوَى أسَفاً يَوْمَ النَّوَى بَدَني ... وَفَرَّقَ الهَجْرُ بَيْنَ الجَفْنِ وَالوَسَنِ[2]
رُوحٌ تَرَدَّدَ في مثلِ الخِلالِ إذا ... أطَارَتِ الرِّيحُ عنهُ الثَّوْبَ لم يَبِنِ[3]
كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أنَّنِي رَجُلٌ ... لَوْلا مُخاطَبَتِي إيّاكَ لَمْ تَرَنِي[4]

١ بأبي الباء للتفدية متعلقة بمحذوف خبر مقدم والموصول مبتدأ مؤخر
٢ أسفاً مفعول مطلق محذوف العامل تقديره آسف . الوسن النوم
٣ الخلال عود دقيق تخلل به الأسنان .
٤ بجسمي مفعول كفى والباء زائدة . وانني رجل في تأويل مصدر فاعل كفى . مخاطبتي مبتدأ محذوف الخبر وجوباً لوقوعه بعد لولا . وإياك مفعوله .

قفا قليلاً بها عليّ !

قال أيضاً في صباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :

أهْلاً بِدارٍ سَبَاكَ أغْيَدُهَا ... أبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا[1]

ظِلْتَ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ ... نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا[2]

يَا حَادِيَيْ عِيسِهَا وَأحْسَبُنِي ... أوجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أفْقِدُهَا[3]

قِفَا قَلِيلاً بِها عَلَيّ فَلا ... أقَلّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوِّدُهَا[4]

فَفِي فُؤَادِ المُحِبِّ نَارُ جَوًى ... أحَرُّ نَارِ الجَحِيمِ أبْرَدُهَا[5]

شَابَ مِن الهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ ... فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أسْوَدُهَا[6]

يَا عَاذِلَ العَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً ... أضَلَّهَا اللهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا

لَيْسَ يُحِيكُ المَلامُ فِي هِمَمٍ ... أقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أبْعَدُهَا[7]

بِئْسَ اللَّيَالِي سَهِدْتُ مِن طَرَبٍ ... شَوْقاً إلى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا[8]

أحْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي ... شُؤُونُهَا وَالظَّلامُ يُنْجِدُهَا[9]

١ أهلا منصوب بمضمر تقديره جعل الله أهلا الأغيد الناعم الخرد جمع الخريدة وهي المرأة الحيية

٢ ظلت أصله ظللت فحذف إحدى اللامين تخفيفاً والخلب غشاء الكبد

٣ الحادي الذي يسوق الإبل بالغناء العيس الكرام من الإبل .

٤ أقل اسم لا على حذف الموصوف أي فلا شيء أقل ، والخبر محذوف

٥ الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن

٦ اللمة الشعر يجاوز شحمة الأذن الدمقس الحرير الأبيض .

٧ يحيك يؤثر

٨ سهدت سهرت

٩ أحييتها : سهرتها كلها . الشؤون : مجاري الدمع من الرأس إلى العين .

لا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلا بالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا[1]

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا[2]

أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبُقُهُ تَحْتِي مِن خَطْوِهَا تَأَوُّدُهَا[3]

فِي مِثْلِ ظَهْرِ المِجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ المِجَنِّ قَرْدَدُهَا[4]

مُرْتَمِيَاتٌ بِنَا إِلَى ابنِ عُبَيْـ دِ اللهِ غِيطَانُهَا وَفَدْفَدُهَا[5]

إِلَى فَتًى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنْهَلَهَا فِي القُلُوبِ مُورِدُهَا

لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ أَعُدُّ مِنْهَا وَلا أُعَدِّدُهَا[6]

يُعْطِي فَلا مَطْلَةٌ يُكَدِّرُهَا بِهَا وَلا مِنَّةٌ يُنَكِّدُهَا

خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبًا وَأَمْجَدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلاً وَأَجْوَدُهَا

أَطْعَنُهَا بِالقَنَاةِ أَضْرَبُهَا بِالسَّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا[7]

أَفْرَسُهَا فَارِساً وَأَطْوَلُهَا باعاً وَمِغْوَارُهَا وَسَيِّدُهَا

تَاجُ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ وَبِهِ سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتِدُهَا[8]

١ أراد بناقته نعله الرديف الراكب خلف الراكب أجهد الدابة حملها في السير فوق طاقتها

٢ الشراك سير النعل الكور رحل الناقة المشفر من الناقة كالشفة من الإنسان زمام النعل ما تشد إليه شسوعها وهي السيور التي تكون خلال الأصابع

٣ التأود التمايل

٤ المجن الترس قرددها أرضها المرتفعة، وهو فاعل متصل والضمير عائد إلى محذوف تقديره، في فلاة مثل ظهر المجن

٥ مرتميات منتهيات الغيطان بطون الأرض الفدفد الأرض الغليظة ، والضمير للفلاة

٦ الأيادي النعم

٧ الجحجاح السيد الشريف المسود الذي جعله قومه سيداً

٨ المحتد : الأصل .

شَمْسُ ضُحَاهَا هِلالُ لَيلَتِهَا دُرٌّ تَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا[1]

يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا[2]

أَثَرَ فِيهَا وَفِي الحَدِيدِ وَمَا أَثَرَ وَجْهِهِ مُهَنَّدُهَا

فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهَا بِمِثْلِهِ وَالجِرَاحُ تَحْسُدُهَا

وَأَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْذِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا

تَبْكِي عَلَى الأَنْصُلِ الغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا[3]

لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا

أَطْلَقَهَا فَالعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا

تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا[4]

إِذَا أَضَلَّ الهُمَامُ مُهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا[5]

قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الخَلِيقَةُ لِي أَنَّكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا

وَأَنَّكَ بِالأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا[6]

وَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا[7]

١ التقاصير القلائد .

٢ أتيح قدر

٣ الأنصل ، جمع نصل حديدة السيف الغمود ، جمع غمد غلاف السيف . أنذرها أعلمها .

٤ المضارب ، جمع مضرب حد السيف والضمير للأنصل .

٥ الهمام السيد الشجاع السخي نشد الضالة طلبها

٦ أنك مخففة من أنك المحتلم الغلام بلغ مبالغ الرجال ، ونصبه على الحال .

٧ المجلة : العامة .

وكَمْ وكَمْ حاجَةٍ سَمَحْتَ بِهَا أقْرَبُ مِنّي إليّ مَوْعِدُهَا
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلى قَدَمِ الْـ بِرّ إلى مَنْزِلي تُرَدّدُهَـــا
أقَرّ جِلْـدي بِهـا عَلَيّ فَلا أقْدِرُ حَتّى المَمَاتِ أجْحَدُهَا
فَعُدْ بِهَا لا عَدِمْتُهَا أبَـداً خَيْرُ صِلاتِ الكَرِيمِ أعْوَدُهَا

الوفرة الحسنة

قيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة ! فقال

لا تَحْسُنُ الوَفْرَةُ حَتّى تُـرَى مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ القِتال[1]
عَلى فَتًى مُعْتَقِـلٍ صَعْدَةً يَعْلُهَا مِنْ كُلّ وَافي السِّبَال[2]

١ الوفرة الشعر المجتمع على الرأس الضفر الخصلة المضفورة من الشعر
٢ اعتقل الرمح حمله الصعدة الرمح القصير يعلها يسقيها مرة بعد أخرى السبال: الشوارب .

هي كهل في سن أمرد

قال في صباه :

وَشَادِنٍ رُوحُ مَنْ يَهواهُ في يَدِهِ ... سَيْفُ الصُّدودِ عَلى أعْلى مُقَلَّدِهِ[1]

مَا اهْتَزَّ مِنْهُ عَلى عُضْوٍ لِيَبْتُرَهُ ... إلاّ اتّقاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجَلُّدِهِ[2]

ذَمّ الزّمَانُ إلَيْهِ مِنْ أحِبّتِهِ ... ما ذَمّ مِن بَدْرِهِ في حَمْدِ أحمدِهِ[3]

شَمْسٌ إذا الشّمسُ لاقَتْهُ على فَرَسٍ ... تَرَدّدَ النّورُ فيها مِنْ تَرَدّدِهِ

إنْ يَقْبُحُ الحُسْنُ إلاّ عِنْدَ طَلْعَتِهِ ... وَالعَبْدُ يَقْبُحُ إلاّ عندَ سَيّدِهِ[4]

قالتْ عنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْساً فقلتُ لها ... لا يَصْدُرُ الحُرُّ إلاّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ[5]

لم أعرِفِ الخَيرَ إلاّ مُذْ عَرَفْتُ فَتًى ... لم يُولَدِ الجُودُ إلاّ عِندَ مَوْلِدِهِ

نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفسَ الدّهرِ من كِبَرٍ ... لَهَا نُهَى كَنَهْيِهِ في سِنّ أمْرَدِهِ[6]

١ الشادن الظبي إذا كبر واستغنى عن أمه . المقلد موضع نجاد السيف من المنكبين .

٢ البتر القطع التجلد التصبر . والضمير في اهتز للسيف وفي منه للشادن

٣ الضمير في بدره وأحمده للزمان وباقي الضمائر للمحب

٤ إن نافية الطلعة الرؤية أو الوجه

٥ الرفد العطاء الحر خلاف العبد والرجل الكريم وهو المراد

٦ نفس مبتدأ محلوف الخبر أي له نفس النهى العقل .

الجرذ الصريع

مر برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه
يعجبان الناس من كبره فقال

لَقَدْ أَصْبَحَ الجُرَذُ المُسْتَغِيرُ أسير المَنَايا صَرِيعَ العَطَبْ[1]
رَمَـاهُ الكِنَانِيُّ وَالعَامِرِيُّ وَتَلاَّهُ للوَجْهِ فِعْلَ العَرَبْ[2]
كِلا الرِّجْلَيْنِ اتْلَى قَتْلَـهُ فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلَبْ[3]
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ فَإِنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَّنَبْ

لقب على لقب

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ ابْناً لِغَيْرِ أَبٍ ثُمَّ اخْتُبِرْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إلى أَدَبِ
سُمِّيتَ بالذَّهَبِي اليَوْمَ تَسْمِيَةً مُشْتَقَّةً من ذهابِ العقلِ لا الذَّهَبِ
مُلَقَّبٌ بكَ مَا لُقِّبْتَ وَيْكَ بِهِ يا أَيُّها اللَّقَبُ المُلقَى على اللَّقَبِ

١ المستغير الطالب الغارة على الأطعمة
٢ تلاه صرعاه
٣ اتلى تولى غل الشيء أخذه في خفية الحر الجيد السلب ما يسلب

ما أحد فوقي ولا أحد لي

وقال في صباه :

بي قيامي مَا لِذلِكُمُ النَّصْلِ بَرِيئاً مِنَ الجرْحَى سَلِيماً من القَتْلِ
رى من فِرِنْدي قِطعَةً في فِرِنْدِهِ وَجودةُ ضربِ الهَامِ في جودة الصَّقْلِ[1]
وَخُضرَةُ ثوْبِ العيش في الخضرةِ التي أرَتْكَ احمرارَ المَوْتِ في مدرَجِ النَّمْلِ[2]
رِنْ عَنكَ تَشبيهي بمَا وَكَأنَّهُ فَمَا أحَدٌ فَوْقي وَلا أحَدٌ مِثْلي[3]
رْني وَإِيَّاهُ وَطِرْفي وَذَابِلي نكنْ واحداً يلقى الوَرَى وَانظرَنْ فعلي[4]

الفرند جوهر السيف . الهام ، جمع الهامة الرأس .
المراد بخضرة ثوب العيش النعمة والخصب والخضرة الثانية لون النصل . احمرار الموت : شدته . مدرج النمل مدبه وهو مثل في الخفاء وكنى به عن آثار الفرند .
أمط أزل . قيل والمراد بما وكأنه قول القائل ما أشبهه بكذا وكأنه فلان .
ذرني اتركني . وإياه : ضمير النصل . الطرف الفرس . الذابل : الرمح .

نور تظاهر فيك لاهوتيه

قال وهو في المكتب يمدح رجلا ،
وأراد أن يستكشفه عن مذهبه

كُفّي! أرَاني، وَيْكِ، لَوْمَكِ ألوَما، هَمٌّ أقَامَ عَلى فُؤادٍ أنْجَمَا[1]
وَخَيَالُ جِسْمٍ لم يُخَلَّ له الهَوَى لَحْماً فَيُنْحِلَهُ السّقامُ وَلا دَمَا[2]
وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأيتِ لَهِيبَهُ يا جَنّتي لَظَنَنْتِ فيهِ جَهَنّمَا
وَإذا سَحَابَةُ صَدِّ حِبٍّ أبْرَقَتْ تَرَكَتْ حَلاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عَلقَمَا
يَا وَجْهَ داهِيَةَ الّذي لَوْلاكَ مَا أكلَ الضنى جسدي وَرَضَّ الأعظُمَا
إنْ كَانَ أغْنَاهَا السُّلُوُّ فإنّني أمْسيتُ مِنْ كَبِدي وَمنها مُعْدِمَا
غُصْنٌ عَلى نَقَوَيْ فَلاةٍ نَابِتٌ شمسُ النّهارِ تُقِلُّ لَيلاً مَظْلِمَا[3]
لَمْ تُجْمَعِ الأضدادُ في مُتَشَابِهٍ إلاّ لتَجْعَلَني لغُرْمي مَغْنَمَا
كَصِفاتِ أوْحَدِنَا أبي الفَضْلِ الّتي بَهَرَتْ فأنْطَقَ وَاصِفيهِ وَأفْحَمَا[4]
يُعْطيكَ مُبْتَدِراً فإنْ أعْجَلْتَهُ أعطاكَ مُعْتَذِراً كَمَنْ قد أجرَمَا
وَيَرَى التّعَظّمَ أن يُرَى مُتَواضِعاً وَيَرَى التّواضُعَ أنْ يُرَى مُتَعَظِّما
نَصَرَ الفَعالَ عَلى المِطالِ كأنّمَا خَالَ السّؤالَ عَلى النّوالِ مُحَرَّمَا[5]

١ لومك مفعول ثان لأراني الوما مفعول ثالث ، وهو اسم تفضيل من اللوم هم فاعل أراني . أنجم أقلع وذهب
٢ خيال معطوف على هم . ينحله يهزله
٣ غصن خبر عن محذوف تقديره هي . النقوان مثنى النقا الكثيب من الرمل . تقل تحمل . اللمل
٤ بهرت غلبت أفحم أسكت عن النطق .
٥ المطال التسويف بوعد الوفاء مرة بعد الأخرى . النوال العطاء .

يا أيّها المَلَكُ المُصَفّى جَوْهَراً ... من ذاتِ ذي المَلَكوتِ أسمى من سَمَا[1]

نُورٌ تَظاهَرَ فيكَ لاهُوتِيُّـهُ ... فتَكادُ تَعْلَمُ عِلْمَ ما لَنْ يُعْلَمَا

وَيَهِمُّ[2] فيكَ إذا نَطَقْتَ فَصاحَةً ... من كُلِّ عُضوٍ مِنكَ أنْ يَتَكَلَّمَا

أنَا مُبْصِرٌ وَأظُنُّ أنّي نَـائِمٌ ... مَنْ كانَ يَحْلُمُ بالإلَهِ فأحْلُمَا[3]

كَبُرَ العِيانُ عَلَيَّ حتى إنَّـهُ ... صارَ اليَقِينُ مِنَ العِيانِ تَوَهُّمَا[4]

يَا مَنْ لجُودِ يَدَيْهِ في أمْوالِـهِ ... نِقَمٌ تَعُودُ على اليَتَامَى أنْعُمَا

حتى يَقُولُ النّاسُ مَا ذا عَاقِلاً ... وَيَقولُ بَيْتُ المالِ مَا ذا مُسْلِمَا[5]

إذكارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إذكاري لَهُ ... إذْ لا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمَا

الموت في الحرب عسل في الفم

وقال في صباه

إلى أيّ حينٍ أنْتَ في زِيّ مُحْرِمِ ... وَحَتى مَتَى في شِقْوَةٍ وَإلى كَمِ[6]

وَإلاّ تَمُتْ تَحْتَ السّيوفِ مكرَّماً ... تَمُتْ وَتُقاسي الذّلّ غَيرَ مُكَرَّمِ

فَثِبْ وَاثِقاً باللهِ وِثْبَةَ مَـاجِدٍ ... يرى الموتَ في الهيجا جنى النحل في الفَمِ

١ قوله أسمى من سما أي يا أسمى من سما فهو منادى أو خبر لمحذوف تقديره أنت أسمى .
٢ يهم فاعله ضمير يعود على النور في البيت قبله
٣ قوله فاحلما ، أي فاحلم بك ، يعني أنه من يحلم بالإله حتى أحلم بك .
٤ أي صرت فيما أعاينه منك كالمتوهم الذي لا يدرك بالعيان .
٥ ما عاملة عمل ليس وذا الإشارية اسمها وعاقلا خبرها وكذا في الشطر الثاني
٦ المحرم الطائف بالحرم ، وزيه العري لأن العرب كانت تطوف عراة بالمآزر فقط الشقوة : الشدة والعسر ، أي انهض واترك هذه الحالة

إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابي المنبجي:

أحيّا وَأيْسَرُ مَا قاسَيْتُ ما قَتَلا ... وَالبَيْنُ جارَ على ضُعْفي وَمَا عَدَلا[1]

وَالوَجدُ يَقوَى كما تَقوَى النَّوَى أبداً ... وَالصَّبرُ يَنحلُ في جِسْمي كما نَحِلا

لَوْلا مُفارَقَةُ الأحبابِ ما وَجَدَتْ ... لَهَا المَنَايَا إلى أرْوَاحِنَا سُبُلا

بِمَا بِجفْنَيْكِ من سِحْرٍ صَلِي دَنِفاً ... يهوَى الحَيَاةَ وَأمّا إنْ صَدَدتِ فَلا[2]

إلاّ يَشِبْ فَلَقَدْ شابَتْ لَهُ كبدٌ ... شَيْباً إذا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلا[3]

يَحِن شَوْقاً فَلَوْلا أنّ رَائِحَةً ... تَزورُهُ مِن رِياحِ الشَّرْق مَا عَقَلا

هَا فانْظُري أوْ فَظُنّي بي تَرَيْ حُرَقاً ... مَن لم يَذُقْ طَرَفاً منها فقدْ وَألا[4]

عَلّ الأمير يَرَى ذُلّي فيَشْفَعَ لي ... إلى التي تَرَكَتْني في الهَوَى مَثَلا

أيْقَنْتُ أنّ سَعيداً طَالِبٌ بدَمي ... لمّا بَصُرْتُ بهِ بالرّمْحِ مُعْتَقِلا

وأنّني غَيرُ مُحْصٍ فَضْلَ والِدِهِ ... وَنَائِلٌ دونَ نَيْلي وَصْفَهُ زُحَلا[5]

قَيْلٌ بمَنْبِجَ مَثْواهُ ونَائِلُهُ ... في الأفْقِ يَسألُ عَمّنْ غيرَهُ سألا[6]

يَلوحُ بَدْرُ الدّجى في صَحنِ غُرّتِهِ ... وَيَحْمِلُ الموتُ في الهيجاء إن حمَلا

١ أحيا أي أأحيا محذوف أداة الاستفهام
٢ الباء في قوله بما للقسم . الدنف الذي أثقله المرض .
٣ نصل ذهب خضابه
٤ ها للتنبيه أي ها أنا ذا فانظري . وألا نجا
٥ زحل هو النجم المعروف وهو مفعول نائل
٦ القيل الرئيس دون الملك الأعلى منبج بلد بالشام المثوى : المقام .

تُرَابُهُ في كِلابٍ كُحْلُ أعْيُنِهَا ... وَسَيْفُهُ في جَنَابٍ يَسْبُقُ العَذَلا[1]

لنُورِهِ في سَمَاءِ الفَخْرِ مُخْتَرَقٌ ... لَوْ صاعدَ الفكرَ فيهِ الدّهرَ ما نَزَلا[2]

هُوَ الأميرُ الذي بادَتْ تَميمُ بهِ ... قِدْماً وساقَ إليْها حَيْنُهَا الأجَلا

لمّا رَأوْهُ وَخَيْلُ النّصْرِ مُقْبِلَةٌ ... وَالحَرْبُ غَيرُ عَوَانٍ أسلموا الحِلَلا[3]

وَضاقَتِ الأرْضُ حتى كانَ هارِبُهُمْ ... إذا رَأى غَيرَ شيءٍ ظَنّهُ رَجُلا

فَبَعْدَهُ وإلى ذا اليَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ ... بالخَيْلِ في لَهَوَاتِ الطّفلِ ما سَعَلا[4]

فَقَدْ تَرَكْتَ الأُلى لاقَيْتَهُمْ جَزَراً ... وَقَد قَتَلتَ الأُلى لم تَلْقَهُمْ وَجَلا[5]

كَمْ مَهْمَهٍ قَذَفٍ قَلَبُ الدّليلِ بهِ ... قَلْبُ المُحِبِّ قَضاني بعدما مَطَلا[6]

عَقَدْتُ بالنّجْمِ طَرْفي في مَفاوِزِهِ ... وحُرُّ وَجْهي بحَرّ الشّمسِ إذْ أفَلا[7]

أوْطَأتُ صُمَّ حَصاها خُفَّ يَعْمَلَةٍ ... تَغَشْمَرَتْ بي إليكَ السهلَ وَالجَبَلا

لَوْ كنتَ حشوَ قَميصي فوْقَ نُمرُقِهَا ... سَمِعْتَ للجن في غيطانِهَا زَجَلا[8]

حتى وَصَلْتُ بنَفْسٍ ماتَ أكثرُهَا ... وَلَيْتَني عِشْتُ مِنْهَا بالّذي فَضَلا

أرْجُو نَدَاكَ وَلا أخشَى المِطالَ بهِ ... يا مَن إذا وَهَبَ الدّنْيا فقَد بخِلا

١ كلاب وجناب قبيلتان الأولى قبيلة الممدوح والثانية قبيلة العدو

٢ المخترق الممر والمصعد صاعد فاعله ضمير يعود على النور

٣ العوان الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى الحلل المنازل

٤ الضمير في ركضت لتميم اللهوات جمع اللهاة وهي لحمة في الحلق عند أصل اللسان ولم يسعل الطفل لقلتهم وضعفهم

٥ الجزر اللحم الذي تأكله السباع

٦ المهمه: المفازة البعيدة القذف: التي تتقاذف أي تتراءى بمن يسلكها وقوله قلب المحب أي كقلبه وقضاني وفى لي بما عليه

٧ المفاوز الفلوات البعيدة حر الوجه ما بدا منه أفل غاب والضمير للنجم

٨ حشو قميصي أي في مكاني النمرق الوسادة الصغيرة يتكأ عليها الزجل الضجيج والجلبة .

غريب كصالح في ثمود

وقال في صباه

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدِ ... لِبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الخُدُودِ[1]

وَعُيُونِ المَهَا وَلا كَعُيُونٍ ... فَتَكَتْ بِالمُتَيَّمِ المَعْمُودِ[2]

دَرَّ دَرُّ الصِّبَاءِ أَيَّامَ تَجْرِي ... رِ ذُيُولِي بِدَارِ أَثْلَةَ عُودِي[3]

عَمْرَكَ اللهَ ! هَلْ رَأَيْتَ بُدُوراً ... طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ[4]

رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيشُهَا الهُدْ ... بُ تَشُقُّ القُلُوبَ قَبْلَ الجُلُودِ[5]

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ ... هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ

كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرَقُّ مِنَ الخَمْـ ... ـرِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الجُلْمُودِ[6]

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ العَنْـ ... ـبَرُ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ[7]

حَالِكٍ كَالغُدَافِ جَثْلٍ دَجُوجِيّ أَثِيثٍ جَعْدٍ بِلا تَجْعِيدِ[8]

١ الطلى الأعناق .

٢ المها بقر الوحش تشبه عيون النساء بعيونها لحسنها المتيم الذي استعبده الحب المعـ الذي أضناه الحب

٣ در دره كثر خيره أيام منادى . دار أثلة موضع بظاهر الكوفة .

٤ قوله عمرك الله منصوبان بمضمر أي أسأل الله تعميرك .

٥ أراد بالأسهم العيون . الهدب الشعر الذي على أشفار الأجفان .

٦ الخمصانة الضامرة البطن الجلمود الصخر

٧ الفرع شعر الرأس ضرب مزج العود ضرب من الطيب يتبخر به

٨ الغداف : الغراب الجثل الكثير الملتف الدجوجي المظلم الأثيث الكثيف

تَحْمِلُ المِسْكَ عن غَدائِرِها الرِّيـ ـحُ وَتَفْتَرُّ عَن شَنِيبٍ بَرُودِ[1]

جَمَعَتْ بينَ جسْمِ أحمَدَ والسَّقْـ ـمِ وَبَينَ الجُفُونِ وَالتَّسْهِيدِ[2]

هَذِهِ مُهْجَتِي لَدَيْكِ لحَيْنِي فانْقُصِي مِنْ عَذابِها أوْ فَزِيدي[3]

أهْلُ ما بي منَ الضَّنَى بَطَلٌ صِيـ ـدَ بتَصْفِيفِ طُرَّةٍ وبجِيدِ[4]

كُلُّ شيءٍ مِن الدِّماءِ حَرامٌ شُرْبُهُ مَا خَلا ابْنَةَ العُنْقُودِ

فاسْقِنِيهَا فِدًى لعَيْنَيْكِ نَفسي مِنْ غَزَالٍ وَطارِفي وَتَلِيدي[5]

شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي ونُحُولي وَدُمُوعي عَلى هَوَاكِ شُهُودي

أيّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بوِصالٍ لمْ تَرُعْنِي ثَلاثَةٌ بِصُدُودِ

مَا مُقامي بأرْضِ نَخْلَةَ إلاّ كمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهُودِ[6]

مَفْرَشِي صَهْوَةُ الحِصانِ وَلَكِـ ـنَّ قَمِيصِي مسرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ[7]

لأمَةٌ فاضَةٌ أضَاةٌ دِلاصٌ أحْكَمَتْ نَسْجَها يَدَا داوُدِ[8]

أينَ فَضْلِي إذا قَنِعْتُ منَ الدَّهْـ ـرِ بعَيْشٍ مُعَجَّلِ التَّنْكِيدِ

١ الغدائر جمع الغديرة وهي الخصلة من الشعر في الرأس تفتر تبتسم الشنيب العذب وهو صفة للثغر المحلوف

٢ التسهيد الأرق

٣ المهجة الروح الحين الهلاك

٤ الضنى المرض الطويل الطرة الناصية أي مقدم شعر الرأس

٥ الطارف المال المستحدث التليد المال القديم .

٦ أرض نخلة قرية عند بعلبك

٧ الصهوة مقعد الفارس من الفرس المسرودة المنسوجة .

٨ اللأمة الدرع وهي بدل من قوله مسرودة الفاضة الواسعة الأضاة الغدير من الماء يريد أنها صافية . الدلاص الليّنة الملساء والمراد بداود داود النبي قيل إنه أول من صنع الدروع

ضاقَ صَدري وطالَ في طلَبِ الرِّزْ ... قِ قيامي وَقَلَّ عنهُ قُعُودي

أبَداً أقْطَعُ البِلادَ وَنَجْمي ... في نُحُوسٍ وَهِمَّتي في سُعُودِ

وَلَعَلّي مُؤمِّلٌ بَعْضَ مَا أبْـ ... ـلُغُ باللّطْفِ من عَزيزٍ حَميدِ

لِسَرِيٍّ لِباسُهُ خَشِنُ القُطْـ ... ـنِ وَمَرْوِيٌّ مَرْوَ لِبْسُ القُرُودِ[1]

عِشْ عَزيزاً أوْ مُتْ وَأنتَ كَرِيمٌ ... بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ[2]

فَرُؤُوسُ الرِّمَاحِ أذْهَبُ للغَيْـ ... ـظِ وَأشْفَى لِغِلِّ صَدرِ الحَقُودِ[3]

لا كَما قد حَيِيتَ غَيرَ حَميدٍ ... وإذا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقيدِ

فاطْلُبِ العِزَّ في لَظَى وَدَعِ الذُّـ ... ـلَّ وَلَوْ كانَ في جِنانِ الخُلُودِ[4]

يُقْتَلُ العاجِزُ الجَبَانُ وَقَدْ يَعـ ... ـجِزُ عَن قَطْعِ بُخْنُقِ المَولودِ[5]

وَيُوَقَّى الفَتَى المِخَشُّ وَقَدْ خَوّ ... ضَ في ماءِ لَبَّةِ الصِّنْدِيدِ[6]

لا بِقَوْمي شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بي ... وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لا بِجُدُودي

وبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضّا ... دَ وَعَوْذُ الجاني وَغَوْثُ الطَّرِيدِ[7]

إنْ أكُنْ مُعجَباً فَعُجْبُ عَجيبٍ ... لَمْ يَجِدْ فَوقَ نَفْسِهِ من مَزيدِ

١ السري الشريف المروي ثياب رقاق تنسج بمرو وهي بلد بفارس

٢ البنود الأعلام الكبيرة وخفقها اضطرابها وتحركها

٣ الغل الحقد والغش

٤ لظى جهنم

٥ البخنق خرقة يقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك

٦ المخش الجريء اللبة أعلى الصدر الصنديد الشجاع .

٧ المراد بمن نطق الضاد العرب العوذ الالتجاء الغوث النصرة .

أنا تربُ الندى وربُّ القوافي وسمامُ العدى وغيظُ الحسودِ[1]
أنا في أمةٍ تداركها اللـ ـهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ[2]

العباد في رجل

قال في صباه ارتجالا وقد أهدى إليه عبيد الله بن خلكان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل

قد شغلَ الناسَ كثرةُ الأملِ وأنتَ بالمكرُماتِ في شُغُلِ
تمثلوا حاتماً ولو عقلوا لكنتَ في الجودِ غايةَ المثلِ[3]
أهلاً وسهلاً بما بعثتَ بهِ إليّ أبا قاسمٍ وبالرسُلِ
مدينةٌ ما رأيتُ مهديها إلاّ رأيتُ العبادَ في رجُلِ
كلٌّ ما في أقلّها سمكٌ يسبحُ في بركةٍ من العسلِ
كيفَ أكافي على أجلّ يدٍ من لا يرى أنها يدٌ قبلي[4]

---

[1] الترب الإنسان من ولد معه . الندى الجود . السمام جمع سم .
[2] قوله تداركها الله أي لحقها برحمته ثمود قبيلة من العرب الأولى وهم قوم صالح قيل إنه لهذا البيت لقب بالمتنبي
[3] قوله تمثلوا حاتماً أراد تمثلوا بحاتم أي ضربوه مثلا في الكرم ، والحال أنك أولى بذلك .
[4] اليد النعمة وقبلي بمعنى عندي

الخلائق الشريفة

وأرسل إليه جامة فيها حلوى
فردها وكتب فيها بالزعفران

أقْصِرْ فَلَسْتَ بزائِدي وُدّا بَلَغَ المَدَى وتَجاوَزَ الحَدّا[1]
أرْسَلْتَهـا مَمْلُوءَةً كَرَماً فَرَدَدْتُها مَمْلُوءَةً حَمْدَا
جاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهي فَارِغَةٌ مَثْنَى بهِ وَتَظُنّهَا فَرْدَا[2]
تَأبَى خَلائِقُكَ الَّتي شَرُفَتْ ألاّ تَحِن وَتَذْكُرَ العَهْـدَا
لَوْ كُنْتَ عَصراً مُنْبِتاً زَهَراً كُنْتَ الرَّبيعَ وكانَتِ الوَرْدَا[3]

١ أقصر عن الشيء أمسك عنه مع القدرة عليه
٢ قوله تطفح أي بالحمد والضمير يرجع إلى الجامة .
٣ اسم كانت ضمير يعود على الخلائق قبله التي هي بمعنى الأخلاق

حسد الأرض السماء بهم

وقال يمدحه

أَظَبْيَةَ الوَحشِ لَوْلا ظَبيَةُ الأَنَسِ ... لَمَا غَدَوْتُ بِجَدٍّ في الهوَى تَعِسِ
وَلا سَقَيْتُ الثَّرَى وَالمُزْنُ مُخلِفَةٌ ... دَمْعاً يُنَشِّفُهُ من لَوْعةٍ نَفَسِي[2]
وَلا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسْيَ ثالِثَةٍ ... ذي أَرْسُمٍ دُرُسٍ في الأَرْسُمِ الدُّرُسِ[3]
صَرِيعَ مُقْلَتِها سأَآلَ دِمْنَتِها ... قَتِيلَ تَكسيرِ ذاكَ الجفنِ وَاللَّعَسِ[4]
خَرِيدةٌ لَوْ رَأَتْها الشَّمسُ ما طَلَعَتْ ... وَلَوْ رآها قَضيبُ البَانِ لم يَمِسِ[5]
ما ضَاقَ قَبلكِ خَلخالٌ على رَشَلٍ ... وَلا سَمِعْتُ بديباجٍ على كُنُسِ[6]
إن تَرْمِي نَكَبَاتُ الدَّهرِ عن كَثَبٍ ... تَرْمِ امرَأً غير رِعْديدٍ وَلا نَكِسِ[7]
يَفْدي بَنِيكَ عُبَيْدَ اللهِ حَاسِدُهم ... بِجَبهَةِ العَيرِ يُفدى حافرُ الفَرَسِ[8]
أَبَا الغَطَارِفَةِ الحَامِينَ جَارَهُمُ ... وَتَارِكي اللَّيثِ كَلباً غيرَ مُفْتَرِسِ[9]

١ الأنس جماعة الناس الجد الحظ .
٢ المزن جمع المزنة السحابة البيضاء . المخلفة التي تطمع في المطر ولم تمطر
٣ قوله مسي ثالثة أي مساء ليلة ثالثة . الأرسم الآثار الدرس المنمحية .
٤ الصريع المصاب بعلة الصرع وهي علة تمنع الأعضاء النفسانية عن أفعالها منعاً غير تام السآآل الكثير السؤال . الدمنة ما تلبد من آثار الدار اللعس سمرة في الشفة .
٥ الخريدة المرأة الحيية
٦ الخلخال حلية من فضة مثل السوار تلبسها نساء العرب في أرجلهن الرشأ ولد الظبية الديباج ضرب من الثياب الحريرية . الكنس جمع الكناس وهو مأوى الظبي في الشجر
٧ الكثب القرب . الرعديد الجبان . النكس الساقط الدنيء الذي لا خير فيه .
٨ العير الحمار
٩ الغطارفة السادة

مِن كُلِّ أبْيَضَ وَضّاحٍ عِمامَتُهُ كأنّمَا اشْتَمَلَتْ نُوراً عَلى قَبَسِ[1]

دانٍ بَعيدٍ مُحِبٍّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ أغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٍ لَيِنٍ شَرِسِ[2]

نَدٍ أبِيٍّ غَرٍ وَافٍ أخي ثِقَةٍ جَعْدٍ سَرِيٍّ نَهٍ نَدبٍ رَضٍ نَدُسِ[3]

لَوْ كانَ فَيضُ يَدَيْهِ ماءَ غادِيَةٍ عَزَّ القَطا في الفَيافي مَوْضِعُ اليَبَسِ[4]

أكارِمٌ حَسَدَ الأرْضَ السَّماءُ بِهِمْ وَقَصَّرَتْ كلُّ مِصرٍ عن طَرابُلُسِ[5]

أيَّ المُلوكِ وَهُمْ قَصْدي أُحاذِرُهُ وَأيَّ قِرْنٍ وَهُم سَيْفي وهم تُرُسي[6]

قواف كالمرقد

نام أبو بكر الطائي وهو ينشد ، فقال

إنَّ القَوافيَ لَمْ تُنِمْكَ وَإنّمَا مَحَقَتْكَ حَتى صِرْتَ ما لا يُوجَدُ

فَكَأنَّ أُذْنَكَ فُوكَ حينَ سَمِعْتَها وَكَأنّهَا مِمّا سَكِرْتَ المُرْقِدُ[7]

١ الوضاح المشرق . القبس شعلة النار
٢ الأغر الكريم الأفعال والسيد الشريف
٣ الندي الجواد . الأبي : العزيز النفس . الفري الحسن الجعد الكريم . السري الشريف النهي العاقل الندب السريع في الأمر إذا ندب إليه الندس الذكي الفهم
٤ الغادية السحابة المنتشرة صباحاً . وعز هنا بمعنى أعيا القطا طائر يوصف بالهداية . الفيافي المفاوز لا ماء فيها
٥ المصر البلد طرابلس بلد الممدوح
٦ القرن الكفؤ في الحرب
٧ المرقد دواء من شربه غلبه النوم

كتمت حبك

كَتَمْتُ حُبَّكِ حتى منكِ تكرمَةً ثمّ استَوَى فيهِ إسراري وإعْلاني
كأنّهُ زادَ حتى فَاضَ عَن جَسَدي فصارَ سُقْمي بهِ في جِسْمِ كِتماني

شربت غير أثيم

حلف صديق له بالطلاق أن يشرب ، فقال

وَأخٍ لَنَا بَعَثَ الطّلاقَ أليّةً لأُعَلِّلَنّ بِهَـذِهِ الخُرْطُـومِ[1]
فَجَعَلْتُ رَدّي عِرْسَهُ كَفّـارَةً مِنْ شُرْبِها وشَرِبْتُ غيرَ أثيمِ[2]

١ الألية اليمين . التعليل التلهية بالشيء . الخرطوم الخمر السريعة الإسكار .
٢ العرس الزوجة . الكفارة ما يفعل من صدقة وصوم ونحوها لأنه يستر الذنب .

عصف الرياح قرى سوار

يهجو سواراً الديلمي

بَقِيَّةُ قَوْمٍ أذَنُوا بِبِـــوارِ ... وَأنْضاءُ أسْفارٍ كَشَرْبِ عُقارِ[1]
نَزَلْنا على حكمِ الرِّياحِ بمَسْجِدٍ ... عَلَيْنا لها ثَوْبَا حَصًى وغُبارِ
خَليليَّ ما هذا مُناخاً لِمِثْلِنـــا ... فَشُدّا عَلَيْهَا وَارْحَلا بنَهارِ[2]
وَلا تُنكِرَا عَصْفَ الرِّياحِ فإنّها ... قِرَى كلّ ضَيْفٍ باتَ عند سِوارِ

بر خفيف ثقيل

وقال في صباه

أحْبَبْتُ بِرّكَ إذْ أرَدْتَ رَحيـلا ... فوَجَدْتُ أكْثَرَ ما وَجَدْتُ قَليلا
وَعَلِمْتُ أنّكَ في المَكارِمِ رَاغِبٌ ... صبٌّ إلَيْها بُكْرَةً وَأصِيـلا[3]
فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إليَّ هَدِيَّةً ... مِني إلَيْكَ وَظَرْفَها التّأمِيلا
بِرٌّ يَخِفّ عَلى يَدَيْكَ قَبُولُـهُ ... وَيَكُونُ مَحْمِلُهُ عَليَّ ثَقِيلا

---

١ البوار الهلاك . الأنضاء جمع نضو المهزول . الشرب : اسم جمع لشارب . العقار الخمر .
٢ المناخ المنزل . والضمير في عليها الرواحل المعلومة بالقرينة .
٣ الصب المشتاق . الأصيل ما بين العصر إلى غروب الشمس .

كبرت حول ديارهم

وقال في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد
ابن أوس بن معن بن الرضى الأزدي

أرَقٌ عَـلى أرَقٍ وَمِثْلي يَـأرَقُ ... وَجَوًى يَزيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ[1]

جُهْدُ الصَّبابَةِ أنْ تكونَ كما أُرَى ... عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ يَخْفِقُ[2]

مَا لاحَ بَرْقٌ أوْ تَرَنَّمَ طائِرٌ ... إلاّ انْثَنَيْتُ وَلي فُؤادٌ شَيِّقُ

جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الهَوَى ما تَنْطَفي ... نَارُ الغَضَا وَتَكِلُّ عَمّا يُحْرِقُ[3]

وَعَذَلْتُ أهْلَ العِشْقِ حتى ذُقْتُهُ ... فعجبتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعْشَقُ

وَعَذَرْتُهُمْ وعَرَفْتُ ذَنْبي أنّني ... عَيَّرْتُهُمْ فَلَقيتُ منهُمْ ما لَقُوا

أبَني أبِينَا نَحْنُ أهْلُ مَنَازِلٍ ... أبَداً غُرابُ البَيْنِ فيها يَنْعَقُ

نَبْكي على الدّنْيا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الدّنْيا فَلَمْ يَتَفَرّقُوا

أين الأكاسِرَةُ الجَبابِرَةُ الأُلى ... كَنَزُوا الكُنُوزَ فَما بَقِينَ وَلا بَقُوا

من كلّ مَن ضاقَ الفَضاءُ بجيْشِهِ ... حتى ثَوَى فَحَواهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ

خُرْسٌ إذا نُودوا كأنْ لم يَعْلَمُوا ... أنّ الكَلامَ لَهُمْ حَلالٌ مُطْلَقُ

فالمَوْتُ آتٍ وَالنّفُوسُ نَفائِسٌ ... وَالمُسْتَعِزُّ بِمَا لَدَيْهِ الأحْمَقُ

وَالمَرْءُ يأمُلُ وَالحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ... وَالشَّيْبُ أوْقَرُ وَالشَّبِيبَةُ أنْزَقُ

١ الأرق السهر ، وهو مبتدأ محذوف الخبر أي لي . العبرة الدمعة . تترقرق تسيل .
٢ الجهد نهاية ما يصل إليه الاجتهاد الصبابة رقة الشوق .
٣ الغضا شجر حسن النار ويبقى جمره زماناً طويلا لا ينطفىء .

وَلَقَدْ بَكَيْتَ على الشَّبابِ وَلَمَّتي ... مُسْوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهي رَوْنَقُ

حَذَراً عَلَيْهِ قَبلَ يَوْمِ فِراقِهِ ... حتى لَكِدْتُ بماءِ جَفني أشرَقُ[1]

أمّا بَنُو أوْسِ بنِ مَعْنِ بنِ الرّضَى ... فأعَزُّ مَنْ تُحْدَى إليهِ الأيْنُقُ[2]

كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيارِهِمْ لمّا بَدَتْ ... منها الشُّموسُ وَليس فيها المَشرِقُ

وعجِبت من أرْضٍ سَحابُ أكفّهمْ ... من فَوْقِها وَصُخورِها لا تُورِقُ

وَتَفُوحُ من طِيبِ الثّنَاءِ رَوَائِحٌ ... لَهُمُ بكُلِّ مكانَةٍ تُسْتَنشَقُ

مِسْكِيّةُ النَّفَحاتِ إلاّ أنّهَا ... وَحْشِيّةٌ بسِواهُمُ لا تَعْبَقُ

أمُريدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ في عَصرِنَا ... لا تَبْلُنَا بطِلابِ ما لا يُلْحَقُ[3]

لم يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مثلَ مُحَمَّدٍ ... أحَداً وَظَنّي أنّهُ لا يَخْلُقُ

يا ذا الذي يَهَبُ الكَثِير وَعِنْدَهُ ... أنّي عليهِ بأخْذِهِ أتَصَدّقُ[4]

أمْطِرْ عَليّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرّةً ... وَانظُرْ إليّ برَحْمَةٍ لا أغرَقُ[5]

كَذَبَ ابنُ فاعِلَةٍ يَقُولُ بجَهْلِهِ ... ماتَ الكِرامُ وَأنْتَ حَيٌّ يُرْزَقُ

١ حذرا مفعول له وعامله بكيت أشرق أغص .

٢ تحدى تساق الأينق النياق

٣ قوله لا تبلنا إلى آخره أي لا تمتحنا بطلب ما لا يدرك .

٤ قوله وعنده أي في اعتقاده ، والظرف خبر مقدم ، وأني مع خبرها مبتدأ مؤخر

٥ الثرة من السحاب الغزيرة الماء .

فتى رأيه ألف جزء

وقال في صباه يمدح علي بن أحمد الطائي

حُشاشةُ نَفسٍ وَدّعتْ يوْمَ وَدّعوا ... فَلَمْ أدرِ أيّ الظّاعِنَينِ أُشَيِّعُ[1]

أشاروا بتَسْليمٍ فَجُدْنَا بأنْفُسٍ ... تَسيلُ مِنَ الآماقِ وَالسَّمُّ أدْمُعُ[2]

حَشَايَ على جَمْرٍ ذكيٍّ مِنَ الهَوَى ... وَعَيْنايَ في رَوْضٍ من الحسنِ ترْتَعُ[3]

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الجِبالِ الذي بِنَا ... غداةَ افترَقْنا أوْشكَتْ تتَصَدّعُ[4]

بمَا بينَ جَنبيّ التي خاض طَيْفُهَا ... إليّ الدّياجي وَالخَليّونَ هُجّعُ[5]

أتَتْ زائِراً ما خامَرَ الطّيبُ ثَوْبَها ... وكالمِسْكِ مِن أرْدانِها يتَضَوّعُ[6]

فما جلَسَتْ حتّى انثَنَتْ توسعُ الخُطى ... كَفاطِمَةٍ عن دَرّها قَبلَ تُرْضِعُ[7]

فَشَرّدَ إعظامي لهَا ما أتَى بهـا ... مِنَ النّوْمِ والتَاعَ الفُؤادُ المُفَجّعُ[8]

١ الحشاشة بقية الروح في المريض . الظاعنين المرتحلين . التشييع الخروج مع المسافر للوداع .

٢ الآماق جمع المأق طرف العين مما يلي الأنف . السم لغة في الاسم أي أن الدموع التي تسيل من العيون هي في الحقيقة أرواحهم ولكن اسمها أدمع .

٣ الذكي من ذكت النار إذا اشتد اشتعالها ترتع قياسه ترتعان ، فأفرد الضمير لأن العينين في حكم واحدة .

٤ تتصدع تنشق .

٥ بما الباء للتفدية والمراد بما بين جنبيه قلبه . الطيف الخيال يأتي في النوم . الدياجي الظلمات . الخليون الذين خلا فؤادهم من العشق والهم . الهجع النيام .

٦ خامر خالط . الأردان جمع الردن أصل الكم . يتضوع يفوح .

٧ الدر اللبن . وقوله قبل ترضع أي قبل أن ترضع فحذف أن ورفع الفعل .

٨ شرد فرق ونفر . الإعظام عد الشيء عظيماً . التاع احترق . المفجع الموجع .

فيَا لَيْلَةً ما كانَ أطْوَلَ بِتُّهَا ... وَسُمُّ الأفاعي عَذْبُ ما أتَجَرَّعُ[1]

تذلّلْ لها وَاخضَعْ على القرْبِ والنّوَى ... فَما عاشِقٌ مَن لا يَذِلّ وَيَخْضَعُ

وَلا ثَوْبُ مَجدٍ غيرَ ثوبِ ابنِ أحمدٍ ... عَلى أحَدٍ إلاّ بلُؤمٍ مُرَقَّعُ

وَإنّ الذي حابَى جَديلَةَ طَيِّءٍ ... بهِ اللهُ يُعطي مَنْ يَشاءُ وَيَمْنَعُ[2]

بذي كَرَمٍ مَا مر يَوْمٌ وشَمْسُهُ ... على رَأسِ أوْفى ذِمّةً منه تَطْلُعُ[3]

فأرْحامُ شِعْرٍ يتّصِلْن لَدُنْهُ ... وَأرْحامُ مالٍ ما تَنِي تتقطّعُ[4]

فتًى أَلْفُ جُزْءٍ رَأيُهُ في زَمَانِهِ ... أقلُّ جُزَيْءٍ بعضُهُ الرّأيُ أجمَعُ[5]

غَمامٌ عَلَيْنا مُمْطِرٌ لَيْس يُقشِعُ ... وَلا البَرْقُ فيهِ خُلَّباً حين يَلْمَعُ[6]

إذا عُرِضَتْ حَاجٌ إلَيْهِ فَنَفْسُهُ ... إلى نَفْسِهِ فيها شَفيعٌ مُشَفَّعُ[7]

خَبَتْ نارُ حَرْبٍ لم تَهِجْها بَنانُهُ ... وَأسْمَرُ عُرْيانٌ مِنَ القِشرِ أصْلَعُ[8]

نَحيفُ الشَّوَى يَعدو على أمّ رَأسِهِ ... وَيحفى فيَقوَى عَدْوُهُ حينَ يُقطَعُ[9]

١ أي ما كان أطولها فحذف الضمير للوزن أتجرع أشرب أي أعذب شيء أشربه

٢ حاباه به اختصه به دون سواه جديلة حي من طيء قبيلة الممدوح

٣ قوله بذي كرم بدلٌ من قوله به في البيت السابق وشمسه مبتدأ خبره تطلع .

٤ ما تني بمعنى ما تزال ، وتتقطع خبر تني

٥ فتى خبر عن محذوف تقديره هو وألف جزء خبر مقدم ورأيه مبتدأ مؤخر وفي زمانه متعلق برأيه ، والجملة نعت فتى ، وأقل جزيء مبتدأ أول وبعضه مبتدأ ثان والرأي خبر لمبتدإ الثاني والثاني وخبره الأول وأجمع توكيد للرأي

٦ أقشع الغمام زال وانكشف البرق الخلب الذي لا مطر فيه

٧ الحاج جمع الحاجة المشفع الذي لا ترد شفاعته

٨ خبت النار خمدت أسمر معطوف على البنان: وهو وما بعده نعت لمحذوف يعني القلم

٩ الشوى : الأطراف يحفى أي يكل كل ذلك وصف للقلم

يَمُجُّ ظَلاماً في نَهارٍ لِسانُهُ ... وَيُفْهِمُ عمّن قالَ ما ليسَ يُسمَعُ[1]

ذُبابُ حُسامٍ منهُ أنجَى ضَرِيبَةً ... وَأعْصَى لمَوْلاهُ وذا منهُ أطْوَعُ[2]

فَصيحٌ متى يَنطِقْ تجدْ كلَّ لَفظَةٍ ... أُصُولَ البَرَاعاتِ التي تَتَفَرَّعُ[3]

بكَفِّ جَوَادٍ لَوْ حَكَتْها سَحابَةٌ ... لما فاتَها في الشَّرْقِ والغَرْبِ موْضِعُ[4]

ولَيس كبَحرِ الماءِ يَشتَقُّ قعرَهُ ... إلى حَيثُ يَفنى الماءُ حوتٌ وَضِفدعُ[5]

أبَحْرٌ يَضُرُّ المُعْتَفينَ وطَعْمُهُ ... زُعاقٌ كبَحرٍ لا يَضُرُّ ويَنْفَعُ[6]

يَتيهُ الدَّقيقُ الفِكْرِ في بُعدِ غَوْرِهِ ... وَيَغْرَقُ في تَيّارِهِ وَهْوَ مِصْقَعُ

ألا أيّها القَيْلُ المُقيمُ بمَنْبِجٍ ... وهِمّتُهُ فوقَ السِّماكَينِ تُوضَعُ[7]

أليْس عَجيباً أنّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ ... وَأنّ ظُنُوني في مَعاليكَ تَظْلَعُ[8]

وَأنّكَ في ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فيكُما ... على أنّه من ساحةِ الأرْضِ أوْسَعُ[9]

وقَلْبُكَ في الدّنْيا ولوْ دَخلَتْ بنَا ... وبالجنّ فِيهِ ما دَرَتْ كيفَ تَرْجِعُ[10]

ألا كُلّ سَمْعٍ غيرَكَ اليَوْمَ باطِلٌ ... وكلّ مَديحٍ في سِواكَ مُضَيَّعُ

١ يمج يقذف . والمراد بالظلام الحبر وبالنهار الورق وباللسان رأس القلم
٢ الذباب حد السيف . والضمير في منه عائد إلى القلم انجى خبر عن ذباب
٣ البراعات جمع البراعة الفصاحة
٤ قوله بكف جواد أي هو كائن بكف . وحكتها شابهتها وهاء الضمير راجعة إلى الكف .
٥ ضمير ليس يرجع إلى الجواد في البيت السابق .
٦ المعتفين جمع المعتفي الطالب المعروف الزعاق المر
٧ السماكان نجمان توضع أي تحث على الإسراع
٨ عجيباً خبر ليس مقدم وان وخبرها اسمها تظلع تمشي مشية الأعرج
٩ قوله فيكما أي فيك وفي الثوب
١٠ أي لو دخلت الدنيا بنا أي بالإنس وبالجن في قلبك لضلت وما عرفت كيف ترجع .

والدنيا لمن غلبا

يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي

دَمْعٌ جرَى فقضَى في الرَّبْعِ ما وجَبَا ... لأهلِهِ وشَفَى أنّى ولا كَرَبَا[1]

عُجْنا فأذهَبَ ما أبْقَى الفِراقُ لَنا ... من العُقُولِ وما رَدّ الذي ذَهَبَا[2]

سَقَيْتُهُ عَبَراتٍ ظَنّهَا مَطَراً ... سَوائِلاً من جُفُونٍ ظَنّها سُحُبَا

دارُ المُلِم «ما طَيفٌ تَهَدّدَني ... لَيلاً فَما صَدَقَتْ عَيني ولا كَذَبَا[3]

أنْأَيْتُهُ فَدَنا ، أدْنَيْتُهُ فنَأى ، ... جَمَشْتُهُ فَنَبَا قَبَلْتُهُ فأبَى[4]

هامَ الفُؤادُ بأعرابِيّةٍ سَكَنَتْ ... بَيْتاً من القلبِ لم تَمدُدْ له طُنُبَا[5]

مَظْلُومَةُ القَدّ في تَشْبيهِهِ غُصُناً ... مَظلُومَةُ الرِّيقِ في تَشبيهِهِ ضَرَبَا[6]

بَيضاءُ تُطمِعُ في ما تحتَ حُلّتِها ... وعَزّ ذلكَ مَطْلُوباً إذا طُلِبَا[7]

كأنّها الشّمسُ يُعْيي كَفَّ قابضِهِ ... شُعاعُها ويَراهُ الطّرْفُ مُقْتَرِبَا[8]

١ أنى بمعنى كيف أي كيف أقول إنه قضى والحال أنه لم يقض ولا كرب أي قارب أن يقضي

٢ عجنا وقفنا والضمير في أذهب يجوز أن يعود إلى الربع أو إلى المصدر المفهوم من الفعل المتقدم عليه

٣ المم الزائر وطيف فاعله وهو الخيال

٤ أنأيته أبعدته جمشته داعبته نبا جفا أبى امتنع

٥ الطنب حبل الخباء

٦ الضرب العسل

٧ الحلة الثوب

٨ أعياه أعجزه الطرف النظر

مَرَّتْ بنا بَينَ تِرْبَيْها فقُلتُ لَها ... من أين جانَس هذا الشّادِنُ العَرَبَا[1]

فاستضْحكتْ ثمّ قالتْ كالمُغيثِ يُرَى ... ليثَ الشَّرَى وهو من عجل إذا انتسبَا[2]

جاءتْ بأشجعِ مَن يُسمى وأسمحِ مَن ... أعطَى وأبلغِ مَنْ أملى ومنْ كَتَبَا[3]

لوْ حَلّ خاطرُهُ في مُقْعَدٍ لمَشَى ... أو جاهلٍ لصَحا أو أخرَسٍ خَطَبَا[4]

إذا بَدا حَجَبَتْ عَيْنَيكَ هَيْبَتُهُ ... وليس يحجبُهُ سترٌ إذا احتَجَبَا

بَياض وجْه يريكَ الشّمس حالكةً ... ودُرَّ لَفظٍ يُريكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا[5]

وسيفُ عَزْمٍ تَرُدّ السيف هيبَتُهُ ... رَطْبَ الغِرارِ من التأمُورِ مُختَضِبَا[6]

عُمر العَدوّ إذا لاقادُ في رَهَجٍ ... أقَلّ مِن عُسْرِ ما يحْوِي إذا وَهَبَا

تَوَقَّهُ فعسى ما شِئْتَ تَبْلُوَهُ ... فكُنْ مُعادِيَهُ أوْ كُن له نَشَبَا[7]

وتَحْلُو مَذاقَتُهُ حتى إذا غَضِبَا ... حالَتْ فلَوْ قطرَتْ في الماء ما شُرِبَا[8]

وتَغْبِطُ الأرْض منها حيثُ حَلّ به ... وتَحْسُدُ الخيلُ منها أيَّها رَكِبَا

لا يَرُدّ بفيه كَفّ سائلِه ... عن نَفسِهِ ويَرُدّ الجَحفَل اللّجِبَا[9]

١ الترب المساوي لغيره في العمر الشادن الغزال الذي قوي واستغنى عن أمه

٢ قوله كالمغيث أي أنا مثله وهو اسم الممدوح الشرى موضع تكثر فيه الأسود عجل قبيلة الممدوح

٣ أي جاءت المحبوبة بذكر رجل هذه صفاته

٤ المقعد المصاب بداء القعاد وهو داء يصيب الشخص فيقعده عن المشي

٥ المخشلب خرز أبيض يشبه اللؤلؤ

٦ هبة السيف مضاؤه غراره حده التأمور دم القلب

٧ قوله تبلوه أراد أن تبلوه أي تختبره، فحذف أن النشب المال

٨ حالت تغيرت

٩ الجحفل الجيش العظيم اللجب المختلط الأصوات .

وكُلّما لَقِي الدّينارُ صاحِبَهُ ... في مُلكِهِ افترَقا من قبلِ يَصْطَحِبَا

مالٌ كأنّ غُرابَ البَينِ يَرْقُبُهُ ... فكُلّما قيلَ هذا مُجْتَدٍ نَعَبَا[1]

بَحْرٌ عَجائِبُهُ لم تُبْقِ في سَمَرٍ ... ولا عَجائِبِ بحرٍ بَعدَها عَجَبَا[2]

لا يُقْنِعُ ابن عليّ نَيْلَ مَنزِلَةٍ ... يَشكُو مُحاوِلُها التّقصير والتّعَبَا

هَزّ اللّواءَ بَنو عِجْلٍ به فَغَدا ... رأساً لهمْ وغَدا كُلٌّ لهُمْ ذَنَبَا

ألتّارِكينَ مِن الأشياءِ أهْوَنَها ... والرّاكبينَ مِن الأشياءِ ما صَعُبَا

مُبَرْقِعي خَيلِهِمْ بالبِيضِ مُتّخذي ... هامِ الكُماةِ على أرماحِهِمْ عَذَبَا[3]

إنّ المَنِيّةَ لَوْ لاقَتْهُمُ وَقَفَتْ ... خَرْقاءَ تَتّهِمِ الإقدامَ والهَرَبَا[4]

مراتِبٌ صَعِدَتْ والفِكْرُ يَتْبَعُها ... فَجازَ وهْوَ على آثارِها الشُّهُبَا[5]

مَحامِدٌ نَزَفَتْ شِعْري ليَمْلأَها ... فآلَ ما امتَلأَتْ منهُ ولا نَضَبَا[6]

مَكارِمٌ لكَ فُتّ العالمينَ بها ... مَنْ يَسْتَطيعُ لأمْرٍ فاتَ طَلَبَا

لمّا أقَمْتَ بإنْطاكِيّةَ اخْتَلَفَتْ ... إليّ بالخَبَرِ الرُّكْبانُ في حَلَبَا[7]

١ المجتدي الطالب الجدوى وهي العطية

٢ السمر حديث الليل .

٣ العذب جمع عذبة الريش المعلق في طرف الرمح .

٤ الخرقاء الحمقاء

٥ الشهب الكواكب

٦ نزفت استفرغت آل عاد وقوله ما امتلأت أي وما فالجملة حالية ونضب جف والضمير يرجع إلى الشعر يعني أنه سيعود إلى استيفاء محامد الممدوح

٧ اختلفت أتت جماعة بعد أخرى

فَسِرْتُ نَحْوَكَ لا أَلْوي على أحَدٍ ... أحُثُّ راحلَتَيَّ الفَقْرَ والأدَبَا[1]

أذاقَني زَمَني بَلْوَى شَرِقْتُ بها ... لَوْ ذاقَها لَبَكَى ما عاشَ وانتَحَبَا[2]

وإنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ والدةً ... والسَّمْهَرِيَّ أخاً والمَشْرَفِيَّ أبَا

بكلِّ أشعثَ يَلقى الموْتَ مُبْتَسِماً ... حتى كأنَّ لهُ في قَتْلِهِ أرَبَا[3]

قُحٍ يَكادُ صَهيلُ الخَيلِ يَقذِفُهُ ... عن سرْجِهِ مَرَحاً بالعِزِّ أو طَرَبَا[4]

فالمَوْتُ أعذَرُ لي والصَّبرُ أجملُ بي ... والبَرُّ أوْسَعُ والدُّنْيا لِمَنْ غَلَبَا

١ ألوي أعرج ، أميل

٢ قوله ما عاش أي مدة حياته ، والضمير للزمن

٣ الأشعث الأغبر . الأرب الحاجة . يعني ألازم الحرب بكل رجل هذه صفته .

٤ القح الخالص والمراد به هنا العربي الخالص النسب وهو نعت لأشعث في البيت السابق يعني أن صهيل الخيل في الحرب يطرح هذا الرجل عن ظهر فرسه لما يستخفه من النشاط والطرب

معدن الذهب الرغام

يمدحه أيضاً

فُؤادٌ ما تُسَلّيهِ المُدامُ ... وعُمَرٌ مثلُ ما تَهَبُ اللّئامُ[1]

ودَهْرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغارٌ ... وإنْ كانتْ لهمْ جُثَثٌ ضِخامُ

وما أنا مِنْهُمُ بالعَيْشِ فيهم ... ولكنْ مَعدِنُ الذّهَبِ الرَّغامُ[2]

أرانِبُ غيرَ أنّهُمُ مُلُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيامُ

بأجْسامٍ يَحَرّ القَتْلُ فيها ... وما أقْرانُها إلاّ الطّعامُ[3]

وخَيْلٍ ما يَخِرّ لها طَعِينٌ ... كأنّ قَنَا فَوارِسِها ثُمامُ[4]

خَليلُكَ أنتَ لا مَن قُلتَ خِلّي ... وإنْ كَثُرَ التّجمّلُ والكَلامُ[5]

ولو حِيزَ الحِفاظُ بغيرِ عَقْلٍ ... تَجَنّبَ عُنقَ صَيقَلِهِ الحُسامُ[6]

١ قوله فؤاد أي لي فؤاد أو فؤادي فواد . وعمر حكمه حكم فؤاد بالتقدير وهبة اللئام كناية عن القلة

٢ الرغام التراب يعني أنه ولو عاش مع هؤلاء الناس لا يعد منهم كما أن الذهب لا يعد من التراب ولو كان فيه

٣ يحر يشتد الأقران جمع القرن الكفؤ في الحرب يريد أنهم يموتون بكثرة الأكل لا في الحرب

٤ الثمام نبات ضعيف . أي أن طعنهم لا يؤثر بالمطعون كأن أرماحهم من هذا النبات

٥ يريد أن الإنسان لا يثق إلا بنفسه وإن كان غيره يجمل له الكلام ويظهر له الصداقة

٦ حيز مجهول حاز ملك الحفاظ المحافظة على الحقوق الصيقل الذي يجلو السيوف أي لو أمكن أن يحافظ على الحقوق ما لا عقل له لكان السيف لا يقطع عنق صيقله إذا ضرب به

وشِبْهُ الشيءِ مُنجَذِبٌ إليْهِ ... وأشْبَهُنَا بدُنْيانا الطِّغامُ[1]

ولَوْ لم يَعْلُ إلاّ ذو مَحَلٍّ ... تَعالى الجَيْشُ وانحَطّ القَتَامُ

ولَوْ لم يَرْعَ إلاّ مُسْتَحِقٌّ ... لرُتْبَتِهِ أسامَهُمُ المُسَامُ[2]

ومَنْ خَبَرَ الغَوانيَ فالغَواني ... ضِياءٌ في بَواطِنِهِ ظَلامُ

إذا كانَ الشَّبابُ السُّكرَ والشَّيْـ ... ـبُ هَمّاً فالحَياةُ هي الحِمامُ

وما كُلٌّ بمَعذورٍ بِبُخْلٍ ... ولا كُلٌّ على بُخْلٍ يُلامُ

ولم أرَ مِثْلَ جيراني ومِثْلي ... لِمِثْلي عِندَ مِثْلِهِمِ مُقامُ

بأرْضٍ ما اشْتَهَيْتَ رأيتَ فيها ... فلَيس يَفُوتُها إلاّ الكِرامُ

فهَلاّ كانَ نَقْصُ الأهْلِ فيها ... وكانَ لأهْلِها مِنها التَّمامُ[3]

بها الجَبَلانِ مِنْ صَخْرٍ وفَخْرٍ ... أنَافَا ذا المُغيثُ وذا اللُّكامُ[4]

ولَيْسَتْ مِنْ مَواطِنِهِ ولكِنْ ... يَمُرُّ بها كَما مَرَّ الغَمَامُ

سَقَى اللهُ ابنَ مُنْجِبَةٍ سَقَاني ... بدَرٌّ ما لراضِعِهِ فِطامُ[5]

ومَنْ إحْدى فَوائِدِهِ العَطَايا ... ومَن إحدى عَطاياهُ الذِّمامُ[6]

١ الطغام الأرذال

٢ قوله لم يرع من الرعاية بمعنى السياسة أسام الرعية أرعاها . أي لو كانت الإمارة بالاستحقاق لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ورعيتهم ملوكاً

٣ أي أن هذه الأرض كاملة في صفاتها وأهلها ناقصون في أخلاقهم فيتمنى أن يكون كمالها فيهم ونقصهم فيها لأنه أولى وأنفع

٤ أنافا ارتفعا المغيث الممدوح . اللكام جبل بالشام يسامت حماه وينتهي عند انطاكية

٥ المنجبة التي تلد النجباء ، والمراد بابنها الممدوح ، والدر اللبن والمراد به العطايا

٦ الذمام العهد .

وقد خفي الزّمانُ به عَلَينَا كسِلْكِ الدُّرّ يُخْفيهِ النّظامُ
تَلَذّ لهُ المُروءَةُ وهي تُؤْذي ومَنْ يَعشَقْ يَلَذّ لهُ الغَرامُ
تَعَلّقَها هَوَى قَيسٍ لَيْلَى وواصَلَها فَلَيس به سَقَامُ[1]
يَروعُ رَكانَةً ويَنوبُ ظَرْفاً فَما يُدرَى أشَيْخٌ أمْ غُلامُ[2]
وتَمْلِكُهُ المَسائِلُ في نَداهُ وأمّا في الجِدالِ فلا يُرامُ[3]
وقَبضُ نَوالِهِ شَرَفٌ وعِز وقبضُ نَوالِ بعضِ القومِ ذامُ[4]
أقامتْ في الرّقابِ لَهُ أيَادٍ هي الأطواقُ والنّاسُ الحَمامُ
إذا عُدّ الكِرامُ فتِلْكَ عِجْلٌ كَمَا الأنْواءُ حينَ تُعَدّ عامُ[5]
تَقي جَبَهاتُهُمْ ما في ذَرَاهُمْ إذا بشِفارِها حَمِيي اللِّطامُ[6]
ولو يَمّمْتَهُمْ في الحَشْرِ تجدو لأعطَوْكَ الذي صَلّوا وصامُوا[7]
فإنْ حَلَمُوا فإنّ الخَيلَ فيهِمْ خِفافٌ والرّماح بها عُرامُ[8]

---

١ تعلقها بمعنى هويها والضمير للمروءة ، وهوى نائب مفعول مطلق وقيس هو قيس العامري المعروف بمجنون ليلى

٢ يروع يخيف . الركانة الرزانة والوقار . الظرف خفة الروح وذكاء القلب ، أي أنه جمع بين رزانة الشيوخ وظرافة الشبان

٣ المسائل المطالب . الندى الجود . لا يرام أي لا يطاق ولا يؤخذ .

٤ الذام العيب

٥ عجل قبيلة الممدوح الأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب وطلوع رقيبه في المشرق . أي أن الكرام مجموعهم بنو عجل كما أن الأنواء مجموعها العام .

٦ الذرا كل ما استتر به الشخص . الشفار حدود النصال . اللطام المضاربة

٧ يممتهم قصدتهم الحشر القيامة تجدو تطلب الجدوى وهي العطية

٨ عرام : شراسة .

وعِندَهُمُ الجِفانُ مُكَلَّلاتٍ وشَزْرُ الطَّعْنِ والضَّرْبُ التُّؤامُ[1]

نُصَرِّعُهُمْ بأعْيُنِنا حَياءً وتَنْبُو عَن وُجوهِهِمِ السِّهامُ[2]

قَبيلٌ يَحْمِلُونَ منَ المَعالي كما حَمَلَتْ من الجسد العِظامُ[3]

قَبيلٌ أنتَ أنتَ وأنتَ منهُمْ وجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمَامُ[4]

لِمَنْ مالٌ تُمَزِّقُهُ العَطَايا ويُشْرَكُ في رَغائِبِهِ الأنامُ

ولا نَدْعُوكَ صاحِبَهُ فتَرْضَى لأنَّ بصُحبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ

تُحايِدُهُ كأنَّكَ سامِرِيٌّ تُصافِحُهُ يَدٌ فيها جُذامُ[5]

إذا ما العالمُونَ عَرَوْكَ قالُوا أفِدْنا أيُّها الحِبْرُ الإمامُ[6]

إذا ما المُعْلِمُونَ رأوْكَ قالوا بِهَذا يُعْلَمُ الجيشُ اللُّهامُ[7]

لقد حَسُنَتْ بكَ الأوقاتُ حتى كأنَّكَ في فَمِ الزَّمَنِ ابتِسامُ

وأعطيتَ الذي لم يُعْطَ خَلْقٌ عَلَيكَ صَلاةُ رَبِّكَ والسلامُ

---

١ الجفان القصاع مكللات أي مغطاة باللحم الشزر ما كان عن اليمين والشمال التؤام جمع التوأم أي مزدوج أي أنهم بلغوا منتهى الكرم والشجاعة

٢ صرعه طرحه نبا السهم عن الهدف قصر ولم يصبه

٣ القبيل الجماعة وهو خبر عن محذوف يرجع إلى الممدوحين تقديره هم
قوله قبيل إلخ أي هم قبيل وأنت منهم وأنت أنت في علو القدر، وقد أخر حرف العطف في وأنت.

٤ حايده جانبه والسامري واحد السوامرة وهم قوم يشتركون مع اليهود في بعض العقائد ويخالفونهم في بعضها، وهم عدد قليل يسكنون في نابلس ويتنجسون من غيرهم

٦ عروك أي أتوك. الحبر الرجل العالم

٧ المعلم البطل الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب اللهام الكثير أي أنه إذا كان في جيش يكون دليلا على قوته

سمت في الخير والشر كفه

يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي:

لِجِنِّيَةٍ أمْ غادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ ... لوَحْشِيَّةٍ لا ما لوَحشيَّةٍ شَنْفُ[1]

نَفُورٌ عَرَتْها نَفرَةٌ فتَجاذَبَتْ ... سَوالِفُها والحَلْيُ والخَصرُ والرِّدْفُ[2]

وخَيِّلٌ منها مِرْطُها فكأنّما ... تَثَنّى لَنا خُوطٌ ولاحَظَنا خِشفُ[3]

زِيادَةُ شَيْبٍ وهي نَقصُ زِيادَتي ... وقُوّةُ عِشقٍ وهي من قُوّتي ضُعْفُ[4]

أراقَتْ دَمي مَن بي منَ الوَجدِ ما بها ... من الوَجدِ بي والشوْقُ لي ولها حِلْفُ[5]

أكَيْداً لَنا يا بَيْنُ واصَلْتَ وَصْلَنَا ... فلا دارُنا تَدنُو ولا عَيشُنا يَصفُو[6]

أُرَدِّدُ وَيْلي لوْ قَضَى الوَيْلُ حاجَةً ... وأكْثِرُ لَهفي لوْ شفى غُلّةً لَهْفُ[7]

ضَنَنْتُ في الهوَى كالسِّرِّ في الشَّهدِ كامناً ... لَذِذْتُ به جَهْلاً وفي اللّذّةِ الحَتفُ

فأفْنَى وما أفنَتْهُ نَفْسي كأنّما ... أبو الفَرَجِ القاضي له دونَها كَهفُ[8]

قوله لجنية أي ألجنية فحذف الهمزة الغادة المرأة الناعمة السجف الستر ، وأراد بالوحشية الظبية الشنف ما يعلق بأعلى الأذن

٢ عرتها أصابتها السوالف جمع سالفة ناحية مقدم العنق . الردف الكفل

٣ خيل مثل . المرط كساء من صوف أو خز يؤتزر به . الخوط الغصن . الخشف ولد الظبية.

٤ قوله زيادة شيب مبتدأ والخبر محذوف تقديره بي

٥ أراقت سفكت وصبت ، وبي خبر مقدم عن ما والجملة صلة من وبي الثانية متعلقة بالوجد ، وأصل الكلام بي من الوجد بها ما بها من الوجد بي الحلف الصديق المحالف

٦ كيداً مفعول له واصلت لازمت

٧ اللهف التحسر على ما فات الغلة حرارة الجوف من عطش ونحوه

٨ قوله فأفنى أي الضنى والفعلان تنازعا نفسي . الكهف بمعنى الملجإ وهو خبر عن أبو الفرج

قَليلُ الكرَى لوْ كانتِ البيضُ والقَنَا ... كارائِهِ ما أغنَتِ البَيضُ والزَّغْفُ[1]

يَقُومُ مَقامَ الجَيشِ تَقطيبُ وَجهه ... ويَستَغرِقُ الألفاظَ من لَفظِهِ حرْفُ

وإنْ فَقَدَ الإعطاءَ حَنَّتْ يَمينُهُ ... إلَيْهِ حَنينَ الإلْفِ فارَقَهُ الإلْفُ

أديبٌ رَسَتْ للعِلْمِ في أرضِ صَدْرِهِ ... جِبالٌ جِبالُ الأرضِ في جنبها قُفُّ[2]

جَوادٌ سَمَتْ في الخَيرِ والشرِّ كَفُّهُ ... سُمُوّاً أوَدَّ الدّهرَ أنّ اسمَه كَفُّ[3]

وأضْحَى وبَينَ النّاسِ في كلّ سَيِّدٍ ... منَ النّاسِ إلاّ في سيادَتِهِ خُلْفُ[4]

يُفَدّونَهُ حتى كأنّ دِماءَهُمْ ... لجاري هَواهُ في عُروقِهِمِ تَقْفُو[5]

وُقُوفَينِ في وَقْفَينِ شُكْرٍ ونَائِلٍ ... فنائِلُهُ وَقْفٌ وشُكْرُهُمُ وَقْفُ[6]

ولمّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دامَ كَشْفُنَا ... عليهِ فدامَ الفقدُ وانكشفَ الكَشْفُ[7]

وما حارَتِ الأوْهامُ في عُظْمِ شأنِهِ ... بأكْثَرَ ممّا حارَ في حُسْنِهِ الطَّرْفُ

ولا نالَ مِنْ حُسّادِهِ الغَيظُ والأذَى ... بأعظَمَ ممّا نالَ من وَفرِهِ العُرْفُ[8]

١ البيض جمع بيضة الخوذة من الحديد . الزغف جمع زغفة الدرع اللينة .

٢ رست ثبتت القف ما ارتفع من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا

٣ أود جعله يود ، يتمنى

٤ أضحى هنا تامة الخلف الاختلاف وهو مبتدأ وبين الناس متعلق بخبره .

٥ يفدونه يقولون نفديه بأنفسنا تقفو تتبع . يعني كأن هواه سابق لدمائهم فهي تجري وراءه .

٦ الوقف حبس الشيء على جهة مخصوصة . النائل : العطاء . والمعنى في البيت أن الممدوح يعطي دائماً والناس يشكرونه أبداً . وقوله وقوفين حال من الضمير في يفدونه .

٧ كشفنا بحثنا . وقوله انكشف الكشف أي افتضح . يقول لما لم نجد مثله في المجد والكرم بعد البحث افتضح بحثنا وعدنا بالخيبة

٨ الوفر المال الكثير العرف الجود . أي أن الحسد لم يؤثر في حساده بمقدار ما أثر الجود بماله من النقص لكثرة العطاء .

تَفَكّرُهُ عِلْمٌ ومَنْطِقُهُ حُكْمٌ ... وباطِنُهُ دينٌ وظاهِرُهُ ظَرْفُ[1]

أماتَ رِياحَ اللّوْمِ وهْيَ عَواصِفٌ ... ومَغْنى العُلى يودي ورَسْمُ الندى يَعفُو[2]

فلَمْ نَرَ قَبلَ ابنِ الحُسَيْنِ أصابِعاً ... إذا ما هطَلْنَ استحيتِ الدِّيَمُ الوُطفُ[3]

ولا ساعِياً في قُلّةِ المَجْدِ مُدْرِكاً ... بأفعالِهِ ما لَيس يُدرِكُهُ الوَصْفُ[4]

ولم نَرَ شَيْئاً يحمِلُ العِبْءَ حَمْلَهُ ... ويَستَصغِرُ الدّنْيا ويَحمِلُه طِرْفُ[5]

لا جَلَّسَ البَحرُ المُحيطُ لِقاصِدٍ ... ومن تَحتِه فَرْشٌ ومن فوْقِه سقفُ

فَوا عَجَبا مِني أُحاوِلُ نَعْتَهُ ... وقد فنِيَتْ فيه القراطيس والصُّحْفُ

ومن كَثْرَةِ الأخبارِ عَن مَكْرُماتِهِ ... يمُرّ لَهُ صِنْفٌ ويأتي لهُ صِنْفُ

وتَفْتَرّ منهُ عَنْ خِصالٍ كأنّها ... ثَنَايا حَبيبٍ لا يُمَلّ لَهُ رَشْفُ[6]

قصَدْتُكَ والرّاجونَ قَصدي إليهِمِ ... كثيرٌ ولكن ليسَ كالذّنَبِ الأنْفُ[7]

ولا الفِضّةُ البَيضاءُ والتِّبرُ واحداً ... نفوعانِ للمُكدي وبَيْنَهُما صرْفُ[8]

ولَستَ بدونٍ يُرْتَجَى الغَيثُ دونَهُ ... ولا مُنتَهَى الجودِ الذي خلفَهُ خَلْفُ[9]

١ قوله ومنطقه حكم أخرج العروض تامة والصواب أن تكون هنا مقبوضة

٢ اللوم : الخسة . المغنى المنزل . يودي يهلك .

٣ هطلن انسكبن أي سال منهن الجود . الوطف ، جمع وطفاء المسترخية لكثرة مائها

٤ قلة المجد أعلاه .

٥ الطرف الفرس الكريم

٦ تفتر تبتسم . الثنايا الأسنان في مقدم الفم .

٧ الراجون مبتدأ . وقصدي : مفعوله . وكثير خبر

٨ التبر الذهب المكدي الفقير الذي لا خير عنده الصرف الفضل أي أن الفرق بين الممدوح وبين الراجين كالفرق بين الفضة والذهب من تفاوت النفع .

٩ الدون الخسيس ، وهو خبر ليس والباء زائدة .

لا واحداً في ذا الورى من جماعةٍ ولا البعض من كلٍّ ولكنّك الضِّعْفُ[1]

ولا الضِّعْفَ حتى يتبعَ الضِّعف ضِعفُه ولا ضِعف ضِعفِ الضِّعفِ بل مثلهألْفُ[2]

أقاضِيَنَا هذا الذي أنْتَ أهْلُهُ غَلِطْتُ ولا الثُّلثانِ هذا ولا النِّصْفُ[3]

وذَنْبي تَقْصِيري وما جِئتُ مَادحاً بذَنبي ولكن جئتُ أسألُ أن تَعفُو

١ واحداً معطوف على خبر ليس .

٢ الضعف معطوف أيضاً على خبر ليس ، وضعف الشيء أن يزاد عليه مثله .

٣ أهلهُ أي تستحقه من المدح . وقوله ولا الثلثان أي لا الذي أنت أهله ولا الثلثان منه .

أسد فرائسها الأسود

يمدح علي بن منصور الحاجب

بأبي الشُّموسُ الجانِحاتُ غَوارِبَا ... أللاّبِساتُ مِن الحَريرِ جَلابِبَا[1]

أَلمُنْهِباتُ عُقُولَنَا وقُلُوبَنَا ... وجَناتِهِن النّاهِباتِ النّاهِبَا[2]

أَلنّاعِماتُ القاتِلاتُ المُحْيِيا ... تُ المُبْدِياتُ مِنَ الدّلالِ غرائِبَا

حاوَلْن تَفْدِيَتي وخِفْن مُراقِبا ... فوَضَعْن أيدِيَهُن فوْقَ تَرائِبَا[3]

وبَسَمْن عَنْ بَرَدٍ خَشيتُ أُذيبُهُ ... من حَرّ أنْفاسي فكُنْتُ الذّائِبَا

يا حَبّذا المُتَحَمّلُونَ وحَبّذا ... وَادٍ لَثَمْتُ به الغَزالَةَ كاعِبَا[4]

كَيفَ الرّجاءُ من الخُطوبِ تخَلُّصاً ... من بَعْدِ ما أنْشَبْنَ فيّ مَخالِبَا[5]

أوْحَدْنَني وَوَجَدْنَ حُزْناً واحداً ... مُتَناهِياً فجَعَلْنَهُ لي صاحِبَا[6]

ونَصَبْنَني غَرَضَ الرّماةِ تُصِيبُني ... مِحَنٌ أحَدُّ من السّيوفِ مَضارِبَا

١ بأبي الياء للتفدية الجانحات المائلات الجلابب أصلها جلابيب جمع جلباب وهو ما يلتحف به من الثياب

٢ عقولنا مفعول ثان للمهيات وجناتهن مفعول أول للناهبات نعت وجنات الناهب الشجاع الذي ينهب الناس

٣ الترائب ، جمع ريبة العظم تحت الترقوة

٤ الكاعب الجارية التي نهد ثديها أي ارتفع

٥ الخطوب الأمور العظام تخلصاً مفعول الرجاء أنشبن علقن المخالب للسباع بمنزلة الأظفار للناس

٦ أوحدنني أي صيرنني واحداً ، والضمير للخطوب ، والمراد بالحزن المتناهي حزن الفراق .

أظمَتْني الدّنْيا فلَمـــا جِئْتُهَا مستَسْقِياً مَطَرَتْ عليّ مَصائِبَا

وحُبِيتُ من خُوصِ الرِّكابِ بأسوَدٍ من دارِشٍ فغَدَوْتُ أمشي راكِبَا[1]

حالٌ متى علِم ابنُ منصورٍ بهَا جاءَ الزّمانُ إليّ مِنْها تائِبَا

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وبَنَانُهُ يَتَبَارَيانِ دَماً وعُرْفاً ساكِبَا[2]

يَستَصْغِرِ الخَطَرَ الكَبير لوَفْدِهِ ويَظُنّ دِجْلَةَ ليس تكفي شارِبَا[3]

كَرَماً فلَوْ حَدّثْتَهُ عن نَفْسِهِ بعَظيمِ ما صَنَعَتْ لظَنّكَ كاذِبَا[4]

سَلْ عَن شَجاعَتِهِ وزُرْهُ مُسالِماً وحَذارِ ثُمّ حَذارِ منهُ مُحارِبَا

فالمَوْتُ تُعرَفُ بالصّفاتِ طِبَاعُهُ لم تَلْقَ خَلْقاً ذاقَ مَوْتاً آئِبَا[5]

إنْ تَلْقَهُ لا تَلْقَ إلاّ جَحْفَلاً أوْ قَسطَلاً أو طاعِناً أو ضارِبَا[6]

أو هارِباً أو طالِباً أو راغِبـاً أو راهِباً أو هالِكاً أو نادِبَا

وإذا نَظَرْتَ إلى الجِبَالِ رَأَيْتَهَا فوْقَ السّهُولِ عَواسِلاً وقَواضِبَا[7]

وإذا نَظَرْتَ إلى السّهُولِ رَأَيْتَهَا تَحْتَ الجِبالِ فَوارِساً وجَنَائِبَا[8]

---

١ حبيت أعطيت الخوص جمع أخوص الغائر العينين الدارش جلد أسود . يقول إنه أعطي بدل الإبل خفاً أسود فهو راكب ماش

٢ يتباريان يتعارضان أي أن يفعل كل منهما مثل صاحبه العرف المعروف ، أي أن سنان رمحه يقطر دماً من الأعداء وبنانه تقطر جوداً على الأولياء .

٣ الخطر الأمر العظيم . لوفده اللام بمعنى عند .

٤ كرماً مفعول مطلق عامله محذوف أي كرم كرماً

٥ آئباً راجعاً أي أن الموت يعرف بالوصف فقط إذ لم نجد أحداً رجع من الموت فيخبر الناس عن حقيقته

٦ القسطل غبار الحرب

٧ العواسل الرماح القواضب السيوف

٨ الجنائب الخيول التي تقاد إلى جنب الفوارس

وعَجاجَةٌ تَرَكَ الحَديدُ سوادَها ... زِنْجاً تَبَسَّمُ أوْ قَذالاً شائِبا[1]

فكأنّمَا كُسِيَ النّهارُ بها دُجَى ... لَيْلٍ وأطْلَعَتِ الرّماحُ كَواكِبا

قد عَسكَرَتْ مَعَها الرّزايا عَسكَراً ... وتَكَتّبَتْ فيها الرّجالُ كَتائِبا

أُسُدٌ فَرائِسُها الأسُودُ يَقُودُها ... أسَدٌ تَصيرُ لَهُ الأسُودُ ثَعالِبا

في رُتْبَةٍ حَجَبَ الوَرَى عَن نَيْلِها ... وعَلا فَسَمّوهُ عَلِيّ الحاجِبا

ودَعَوْهُ من فَرْطِ السّخاءِ مُبَذّراً ... ودَعَوْهُ من غَصْبِ النّفوسِ الغاصِبا

هذا الذي أفنى النُّضارَ مَواهِباً ... وعِداهُ قَتْلاً والزّمانَ تَجارِبا

ومُخَيِّبُ العُذّالِ مِمـــا أمّلُوا ... منْهُ ولَيس يَرُدّ كَفّاً خائِبا

هذا الذي أبصَرْتُ منهُ حاضِراً ... مِثْلَ الذي أبْصَرْتُ مِنْهُ غائِبا

كالبَدْرِ من حيثُ التَفَتَّ رَأيْتَهُ ... يُهْدي إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقِبا[2]

كالبَحْرِ يَقذِفُ للقَريبِ جَواهِراً ... جُوداً ويَبْعَثُ للبَعيدِ سَحائِبا

كالشّمسِ في كَبِدِ السّماءِ وضَوْؤها ... يَغْشَى البِلادَ مَشارِقاً ومَغارِبا

أمُهَجَّنَ الكُرَماءِ والمُزْري بِهِمْ ... وتَرُوكَ كلَّ كَريمِ قَوْمٍ عاتِبا[3]

شادوا مَناقِبَهُمْ وشِدْتَ مَناقِباً ... وُجِدَتْ مَناقِبُهُمْ بِهِنّ مَثالِبا[4]

١ العجاجة الغبار تبسم أي تتبسم . القذال مؤخر الرأس شبه بريق الأسلحة في سواد الغبار بتبسم الزنج وشيب القذال .

٢ الثاقب المضيء

٣ هجنه قبحه ، والهمزة للنداء . أزرى به عابه ، وعاتباً مفعول ثان لتروك .

٤ شادوا بنوا ورفعوا المناقب المفاخر المثالب المعايب .

لَبَيْكَ غَيظَ الحاسِدينَ الرّاتِبَا إنّا لَنَخْبُرُ من يَدَيْكَ عَجائِبَا[1]

تَدبيرَ ذي حُنَكٍ يُفَكّرُ في غَدٍ وهُجُومَ غِرٍّ لا يَخافُ عَواقِبَا[2]

وعَطاءَ مالٍ لوْ عَداهُ طالِبٌ أنْفَقْتَهُ في أنْ تُلاقِيَ طالِبَا[3]

خُذْ مِنْ ثَنَايَ عَلَيْكَ ما أسطيعُهُ لا تُلْزِمَنّي في الثّناءِ الواجِبَا[4]

فلَقَدْ دَهِشْتُ لِما فَعَلْتَ ودونَهُ ما يُدهِشُ المَلَكَ الحَفيظَ الكاتِبَا[5]

١ غيظ الحاسدين منادى . الراتب المقيم . نخبر نشاهد ونعلم بالاختبار والتجربة .

٢ الحنك جمع حنكة الخبرة والتجربة . الغر الجاهل الذي لا تجربة له .

٣ عداه فاته .

٤ أي أثني عليك بقدر طاقتي لا بقدر ما يجب لك علي .

٥ الملك الحفيظ : هو الذي يكتب حسنات الناس وسيئاتهم .

لا تسلم الأعداء منه ويسلم

يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب

نَرَى عِظَماً بالبَينِ والصَّدُّ أعظَمُ ... ونَتَّهِمُ الواشِينَ والدَّمْعُ مِنْهُمُ[1]

ومَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيرِهِ كَيفَ حالُهُ ... ومَنْ سِرُّهُ في جَفْنِهِ كيفَ يُكتَمُ

ولمّا التَقَيْنا والنَّوَى ورَقيبُنا ... غَفُولانِ عَنّا ظِلْتُ أبكي وتَبسِمُ

فلَمْ أرَ بَدراً ضاحِكاً قبلَ وجْهِها ... ولم تَرَ قَبْلي مَيِّتاً يَتَكَلَّمُ

ظَلومٌ كمَتْنَيْها لِصبٌّ كَخَصْرِها ... ضَعيفِ القُوَى مِن فِعلِها يَتَظَلَّمُ[2]

بفَرْعٍ يُعيدُ اللَّيْلَ والصُّبْحُ نَيِّرٌ ... ووَجهٍ يُعيدُ الصُّبحَ واللَّيلُ مُظلِمُ[3]

فلَوْ كانَ قَلبي دارَها كانَ خالِياً ... ولكن جَيشُ الشَّوْقِ فيهِ عرَمرَمُ[4]

أُثافٍ بها ما بالفُؤادِ مِنَ الصَّلَى ... ورَسْمٌ كَجسمي ناحِلٌ مُتَهَدِّمُ[5]

بَلَلْتُ بها رُدْنيَّ والغَيمُ مُسْعِدي ... وعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وفي عَبرَتي دَمُ[6]

١ البين البعد الواشي النمام يقول نستعظم البعد والصد أي الإعراض أعظم منه ونتهم الوشاة بإفشاء الأسرار والدمع واحد منهم فهو أولى بالتهمة

٢ المتنان ما على جانبي الصلب أي عظم الظهر يتظلم يتشكى شبه نفسه بخصرها في الضعف

٣ الفرع شعر الرأس ، والباء متعلقة بمحذوف تقديره تبدو ونحوه

٤ العرمرم الكثير أي أن قلبه فيه من الشوق جيش عظيم وليس قلبه دارها فإنها خالية منها

٥ قوله أثاف أي فيها أثاف وهي حجارة تنصب تحت القدر الصلى الحريق .

٦ الردن أصل الكم العبرة الدمع الصرف الخالص أي أن دموع الغيث كانت ماء خالصاً ودموعي كانت ممزوجة بالدم

ولَوْ لم يكُنْ ما انهَلَّ في الخدِّ من دمي ... لمَا كانَ مُحْمَرّاً يَسيلُ فأسْقَمُ

بنَفْسي الخيَالُ الزّائري بعد هجعَةٍ ... وقولَتُهُ لي بعدَنا الغُمضَ تَطعَمُ[1]

سَلامٌ فلَوْلا الخَوْفُ والبُخلُ عندَهُ ... لقُلتُ أبو حَفْصٍ عَلَينا المُسَلِّمُ[2]

مُحِبُّ النّدَى الصّابي إلى بَذْلِ ماله ... صَبُوّاً كمَا يَصْبُو المُحبُّ المُتَيَّمُ[3]

وأُقْسِمُ لَوْلا أنّ في كلّ شَعْرَةٍ ... لَهُ ضَيغَماً قُلنا لهُ أنتَ ضَيغَمُ

أُنَقِّصُهُ من حَظّه وهْوَ زائدٌ ... ونَبْخَسُهُ والبَخْسُ شيءٌ محَرَّمُ

يَجِلّ عنِ التّشبيهِ لا الكَفُّ لُجّةٌ ... ولا هو ضِرْغامٌ ولا الرّأيُ مِخذَمُ[4]

ولا جُرْحُهُ يُوْسي ولا غَوْرُهُ يُرَى ... ولا حَدُّهُ يَنْبُو ولا يَتَثَلَّمُ[5]

ولا يُبْرَمُ الأمْرُ الذي هو حالِلٌ ... ولا يُحْلَلُ الأمْرُ الذي هو مُبْرِمُ

ولا يَرْمَحُ الأذْيالَ مِن جَبَرِيّةٍ ... ولا يَخْدُمُ الدّنْيَا وإيّاهُ تَخدُمُ[6]

ولا يَشْتَهي يَبْقَى وتَفْنى هِبَاتُهُ ... ولا تَسْلَمُ الأعداءُ منْهُ ويَسْلَمُ[7]

ألَذُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بالماء ذِكْرُهُ ... وأحْسَنُ مِن يُسرٍ تَلَقّاهُ مُعدِمُ

وأغْرَبُ من عَنقاء في الطّيرِ شكلُهُ ... وأعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ منه يُحرَمُ[8]

---

١ الهجعة الرقدة وقوله بعدنا أي أبعدنا فحذف الهمزة لضيق المقام .

٢ سلام من قول الخيال في البيت السابق فهو مبتدأ محذوف الخبر أي عليك سلام

٣ الصابي المشتاق المتيم الذي تعبده الحب

٤ اللجة معظم الماء المخذم السيف القاطع

٥ يؤسى يداوى الغور العمق ينبو يكل عن الضريبة يتثلم ينكسر حرفه

٦ الرمح الرفس بالرجل الجبرية الكبر

٧ قوله يبقى الأصل أن يبقى فحذف أن للضرورة ، ولا تسلم معطوف على يبقى

٨ العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم المسترفد الطالب الرفد أي العطاء

وأكثرُ من بَعدِ الأيادي أياديًا ... من القَطرِ بعد القَطرِ والوَبلُ مُثجِمُ[1]

سَنِيُّ العَطايا لوْ رَأى نَوْمَ عَيْنِهِ ... من اللَّوْمِ آلى أنَّهُ لا يُهَوِّمُ[2]

ولو قالَ هاتُوا دِرْهَماً لم أجُدْ بهِ ... على سائلٍ أعْيا على النّاسِ دِرْهَم

ولَوْ ضَرَّ مَرّاً قَبْلَهُ ما يَسُرُّهُ ... لأثَّرَ فيهِ بأسُهُ والتَّكَرُّمُ

يُرَوِّي بكالفِرْصادِ في كلِّ غارَةٍ ... يَتامَى من الأغمادِ تُنضَى فتُوتَمُ[3]

إلى اليَوْمِ ما حَطَّ الفِداءُ سُرُوجَهُ ... مُذُ الغَزْوِ سارٍ مُسرَجُ الخيلِ مُلجَمُ[4]

يَشُقُّ بلادَ الرُّومِ والنَّقْعُ أبْلَقٌ ... بأسْيافِهِ والجَوُّ بالنَّقْعِ أدْهَمُ[5]

إلى المَلِكِ الطّاغي فكَمْ من كَتيبَةٍ ... تُسايِرُ منهُ حَتْفَها وهي تَعْلَمُ[6]

ومِن عاتِقٍ نَصرانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ ... أسيلَةِ خَدٍّ عَنْ قَليلٍ سيُلْطَمُ[7]

صُفُوفاً للَيْثٍ في لُيُوثٍ حُصُونُها ... مُتُونُ المَذاكي والوَشيجُ المُقَوَّمُ[8]

---

١ الأيادي النعم . الوبل المطر الغزير المثجم الكثير الدائم . أي أن نعمه أكثر من قطر المطر الدائم الهطلان .

٢ السني الشريف آلى أقسم التهويم هز الرأس من النعاس

٣ الفرصاد ثمر التوت الأحمر ، والكاف الداخلة عليه اسم بمعنى مثل أي بدم مثل الفرصاد يتامى مفعول يروي كنى بها عن السيوف تنضى تسل أي أنه يروي سيوفه التي تسل من أغمادها بدم أبناء العدو

٤ أي أن اشتغاله بفداء الأسارى من أيدي الروم لم يحط سروج خيله عن ظهورها بل ظل سارياً وهي مسرجة ملجمة

٥ النقع الغبار الأبلق ما فيه سواد وبياض

٦ إلى الملك متعلق بيشق في البيت قبله الطاغي لقب ملك الروم . تساير أي يسير إليها وتسير إليه .

٧ العاتق البكر نصرانة أي نصرانية . الأسيل من الخدود الناعم الطويل .

٨ صفوفاً حال من الضمير في برزت ، والليث بدل من له في البيت السابق . المتون الظهور . المذاكي : الخيل المسنة الوشيج شجر تتخذ منه الرماح

تَغيبُ المَنَايا عَنْهُمُ وهْوَ غائِبٌ وتَقْدَمُ في ساحاتِهِم حينَ يَقدَمُ

أجدَّكَ ما تَنفَكُّ عانٍ تَفُكُّهُ عُم بن سُلَيْمانٍ ومالٌ تُقَسِّمُ[1]

مُكافيكَ مَنْ أولَيْتَ دينَ رَسولِهِ يداً لا تُؤدّي شُكرَها اليَدُ والفَمُ[2]

على مَهَلٍ إنْ كنتَ لَستَ براحِمٍ لنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فإنّكَ تُرْحَمُ

مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وشانيكَ مُفحَمٌ ومِثْلُكَ مَفقودٌ ونَيلُكَ خِضرِمُ[3]

وزارَكَ بي دونَ المُلوكِ تَحَرُّجٌ إذا عَنَّ بَحْرٌ لم يَجُزْ لي التَيَمُّمُ[4]

فعِشْ لوْ فدى المَملوكُ رَبّاً بنفسِهِ من الموْتِ لم تُفقَدْ وفي الأرضِ مُسلِمُ

١ أجدك أي أجداً منك ونصبه على أنه مفعول مطلق محذوف العامل العاني الأسير وهو مبتدأ وخبره الجملة بعده عم ترخيم عمر

٢ أوليت أعطيت وقوله يداً أي قوة وهي مفعول ثان لأوليت .

٣ الشاني المبغض المفحم العاجز عن النطق الخضرم الكثير

٤ التحرج تجنب الحرج وهو الإثم عن ظهر التيمم التوضؤ بالتراب .

يا مغنياً أمل الفقير لقاؤه

يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب

أرَكائبَ الأحْبابِ إن الأدْمُعَا تَطِسُ الخُدودَ كما تَطِسْنَ اليرْمَعا[1]
فاعْرِفْنَ مَن حمَلَتْ عليكنّ النَّوَى وامشين هَوْناً في الأزِمّةِ خُضَّعَا[2]
قد كانَ يَمنَعني الحَياءُ من البُكَا فاليَوْمَ يمْنَعُهُ البُكا أنْ يَمْنَعَا
حتى كأنّ لكُلّ عَظْمٍ رَنّةً في جِلْدِهِ ولكُلّ عِرْقٍ مَدْمَعَا
وكَفَى بمَن فضَحَ الجَدايةَ فاضِحاً لُحبّهِ وبمَصْرَعي ذا مَصْرَعَا[3]
سَفَرَتْ وبَرْقَعَها الفِراقُ بصُفْرَةٍ سَتَرَتْ مَحاجِرَها ولم تَكُ بُرْقُعَا[4]
فكأنّها والدّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَها ذَهَبٌ بسِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ قد رُصِّعَا[5]
نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ من شَعْرِها في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا
واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السّماءِ بوجْهِها فأرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ في وقْتٍ مَعَا
رُدّي الوِصالَ سقَى طُلولَكِ عارِضٌ لوْ كانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ ما أقْشَعَا[6]

١ الوطس الضرب الشديد اليرمع حجارة رخوة يعني أن الدموع تقرع الخدود بانصبابها كما تفعل أخفاف الإبل بالحجارة التي تطأها
٢ الهون الرفق والتمهل الزمام ما تقاد به الدابة
٣ الجداية الغزال ، وفاضحاً تميز
٤ سفرت كشفت عن وجهها المحاجر ما حول العينين .
٥ السمط خيط القلادة يقول كأن الصفرة والدمع فوقها ذهب رصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط .
٦ الطلول جمع طلل وهو رسم الدار العارض السحاب المعترض في الأفق . اقشع : انكشف وزال .

زَجِلٌ يُرِيكَ الجَوَّ ناراً والمَلا كالبَحْرِ والتَّلَعاتِ رَوْضاً مُمْرِعَا[1]

كبَنَانِ عَبدِ الواحدِ الغَدِقِ الذي أرْوَى وأمّنَ مَن يَشاءُ وأجْزَعَا[2]

أَلِفَ المُروءَةَ مُذْ نَشَا فَكَأنّهُ سُقِيَ اللِّبَانَ بِهَا صَبِيّاً مُرْضَعَا

نُظِمَتْ مَواهِبُهُ عَلَيْهِ تَمائِماً فاعْتادَها فإذا سَقَطْنَ تَفَزَّعَا[3]

تَرَكَ الصَّنائِعَ كالقَواطِعِ بارِقا تٍ والمَعالِيَ كالعَوالي شُرَّعَا[4]

مُتَبَسِّماً لعُفاتِهِ عَنْ واضِحٍ تَغْشَى لَوامِعُهُ البُروقَ اللُّمَّعَا[5]

مُتَكَشِّفاً لعُداتِهِ عَن سَطْوَةٍ لوْ حَكَّ مَنكِبُها السماء لزَعزَعَا[6]

الحَازِمَ اليَقِظَ الأغَرَّ العالِمَ الـ ـمَطِنَ الأَلَدَّ الأرْيَحِيَّ الأرْوَعَا[7]

ألكاتِبَ اللَّبِقَ الخَطِيبَ الواهِبَ الـ ـنَّدُسَ اللَّبِيبَ الهِبْرِزِيَّ المِصْقَعَا[8]

نَفْسٌ لها خُلُقُ الزّمانِ لأنّهُ مَغْنِي النُّفُوسِ مُفَرِّقٌ ما جَمَّعَا

---

١ الزجل المصوت الملا الصحراء التلعات التلال الممرع المخصب كل ذلك وصف للعارض

٢ الغدق الكثير الماء . يشبه هذا العارض بيد الممدوح جوداً

٣ التمائم جمع تميمة خرز تعلق على المولود لتقيه من العين

٤ ترك بمعنى صير الصنائع النعم القواطع السيوف العوالي صدور الرماح الشرع جمع شارع ، مقوم

٥ العفاة السؤال الواضح الثغر تغشى تغطي أي يغلب نور ابتسامه على ضوء البرق

٦ التكشف الظهور ، وحك بمعنى زحم المنكب مجمع عظم العضد والكتف

٧ الحازم الضابط للأمور ، نصبه على إضمار عامل محذوف أي أمدح أو أعني . الأغر الشريف . الألد الشديد الخصومة الأريحي الواسع الصدر والخلق . الأروع الذي يعجبك بجماله أو شجاعته

٨ اللبق الحاذق ، الرفيق بما يعمله . الندس الفهم . الهبرزي الجميل الوسيم . المصقع الخطيب البليغ

ويَدٌ لها كرَمُ الغَمَام لأنّـهُ ... يَسقي العِمارَةَ والمكانَ البَلقَعَا[1]

أبَداً يُصَدّعُ شَعْبَ وَفْرٍ وافِرٍ ... ويَلُمّ شَعْبَ مكارِمٍ مُتَصَدّعَا[2]

يَهْتَزّ للجَدْوَى اهْتِزازَ مُهَنّدٍ ... يَوْم الرّجاءِ هَزَزْتَهُ يوم الوَغى[3]

يا مُغْنِياً أمَلَ الفَقيرِ لِقـاؤهُ ... ودُعاؤهُ بَعْدَ الصّلاةِ إذا دَعَا

أقْصِرْ ونَستَ بمُقْصِرٍ جُزْتَ المدى ... وبلغتَ حيثُ النّجمُ تحتكَ فارْبَعَا[4]

وحَلَلْتَ من شرَفِ الفَعالِ مَواضِعاً ... لم يحْلُلِ الثّقَلان مِنْها مَوْضِعَا

وحَوَيْتَ فَضْلَهُما وما طَمِـعَ امرؤٌ ... فيهِ ولا طَمِـعَ امرؤٌ أنْ يَطْمَعَا

نَفَذَ القَضاءُ بمَا أرَدْتَ كأنّهُ ... لكَ كُلّما أزْمَعْتَ أمراً أزمَعَا[5]

وأطاعَكَ الدّهْرُ العَصِي كأنّهُ ... عَبْدٌ إذا نادَيْتَ لَبّى مُسْرِعَا

أكَلَتْ مَفاخِرُكَ المَفاخر وانْثَنَتْ ... عن شأوِهن مَطِيُّ وَصْفي ظُلّعَا[6]

وجَرَين جَرْيَ الشّمسِ في أفلاكِها ... فقَطَعْنَ مَغرِبَها وجُزْنَ المَطْلِعَا

لوْ نِيطَتِ الدّنْيا بأُخْرَى مِثْلِها ... لَعَمَمْتَها وخَشِينَ أنْ لا تَقْنَعَا

فمَتَى يُكَذّبُ مُدّعٍ لكَ فَوْقَ ذا ... واللهُ يَشْهَدُ أنّ حَقّاً ما ادّعَى

---

١ العمارة الأرض العامرة البلقع الخالي

٢ يصدع يفرق الشعب الشمل الوفر المال الكثير

٣ الجدوى العطاء ، ويوم الرجاء متعلق بيهتز الوغى : جلبة الحرب . أي أنه يهتز العطاء يوم الرجاء كما يهتز السيف يوم الحرب

٤ فأربعا أي فاربعن بنون التوكيد الخفيفة أبدلت ألفاً للوقف أي فتوقف

٥ نفذ القضاء جرى . أزمع الشيء عزم عليه .

٦ انثنت رجعت الشأو الغاية المطي جمع مطية الركوبة، وظلعاً أي تمشي كأن بها عرجاً .

ومى يؤدّي شَرْح حالكَ ناطِقٌ حَفِظَ القَليل النَّزْرَ مِمّا ضَيّعَا
إنْ كانَ لا يُدْعَى الفتى إلاّ كَذا رجُلاً فَسَمٌ النّاس طُرّاً إصْبَعَا
إنْ كانَ لا يسْعى لجُودٍ ماجِدٌ إلاّ كَذا فالغَيْثُ أبخَلُ من سَعَى
قَدْ خَلّفَ العَبّاس غُرّتَكَ ابنَهُ مَرْأى لَنا وإلى القِيامَة مسْمَعَا[1]

ورائي وقدامي عداة

اجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قنسرين فسمع زئير الأسد فقال

أجارُكِ يا أُسْدَ الفَراديسِ مُكْرَمُ فتَسكُن نَفسي أمْ مُهانٌ فمُسلَمُ
ورائي وقُدّامي عُداةٌ كَثيرَةٌ أُحاذِرُ مِنْ لِصٍ ومنكِ ومِنْهُمُ
فهَلْ لكِ في حِلفي على ما أُريدُهُ فإنّي بأسْبابِ المَعيشَةِ أعْلَمُ
إذاً لأتاكِ الرّزْقُ مِنْ كلّ وِجْهَةٍ وأثْرَيْتِ مِمّا تَغْنَمِينَ وأغْنَمُ

١ غرة الشخص طلعته ، وابنه منادى أي يا ابنه .

بدر رزايا وعطايا

وقال فيه ارتجالا وهو على الشراب وقد صفت الفاكهة والنرجس

إنّما بَدْرُ بنُ عَمّارٍ سَحَابُ ... هَطِلٌ فيهِ ثَوَابٌ وعِقابُ

إنّما بَدْرٌ رَزَايا وعَطايَا ... ومَنايا وطِعانٌ وضِرابُ

ما يُجيلُ الطَّرْفَ إلاّ حَمِدَتْهُ ... جَهدَها الأيدي وذَمّتهُ الرِّقابُ[1]

ما بهِ قَتْلُ أعاديهِ ولكِنْ ... يَتَّقي إخلافَ ما ترْجو الذِّئابُ[2]

فَلَهُ هَيْبَةُ مَنْ لا يُتَرَجّى ... ولَهُ جُودُ مُرَجّى لا يُهابُ

طاعنُ الفرْسانِ في الأحداقِ شزْراً ... وعَجاجُ الحرْبِ للشّمسِ نِقابُ[3]

باعِثُ النّفسِ على الهوْلِ الذي لَيْـ ... ـس لنَفْسٍ وَقَعَتْ فيهِ إيَابُ

بأبي ريحُكَ لا نَرْجِسُنَا ذا ... وأحاديثُكَ لا هذا الشّرابُ

لَيسَ بالمُنكَرِ إنْ برّزْتَ سَبقاً ... غيرُ مدفوعٍ عنِ السّبقِ العِرابُ[4]

---

١ الطرف الفرس الكريم .

٢ يتقي يحذر ، أي أن قتل أعاديه لا يهمه وإنما يقتلهم حذراً من أن يخلف رجاء الذئاب لأنه لم يتعود أن يخيب راجياً

٣ الأحداق جمع حدقة سواد العين الأعظم . الشزر ما كان عن اليمين والشمال العجاج الغبار النقاب ما تستر به المرأة وجهها

٤ برز سبق العراب الخيل العربية

ورد إذا ورد البحيرة شارباً

خرج بدر بن عمار إلى أسد فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب

الخَدّ أنْ عزَمَ الخَليطُ رَحيلا مَطَرٌ تَزيدُ بهِ الخُدودُ مُحُولا[1]
النّظْرَةُ نَفَتِ الرُّقادَ وغادَرَتْ في حَدّ قَلبي ما حَنِيتُ فُلُولا[2]
تِ مِنَ الكَحْلاءِ سُؤْلي إنّما أجَلي تَمَثّلَ في فُؤادي سُولا[3]
الجَفَاءَ على سِواكِ مُرُوءَةً والصّبرَ إلاّ في نَواكِ جَميلا
تَدَلُّلَكِ الكَثير مُحَبَّباً وأرَى قَليلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولا
قُ الحِسانِ من الغَواني هِجنَ لي يَوْمَ الفِراقِ صَبابَةً وغَليلا[4]
قٌ يُذِمّ مِنَ القَواتِلِ غيرَها بَدْرُ بنُ عَمّارِ بنِ إسْماعيلا[5]
جُ الكُرَبَ العِظامَ بمِثْلِها والتّارِكُ المَلِكَ العزيز ذَليلا[6]

---

[1] الخد خبر مقدم عن مطر الخليط المشيرة المحول الجدب ، والمراد بمحل الخدود ذهاب نضرتها من الحزن على فراق الأحبة .

[2] الفلول من فل السيف إذا كسر حرفه ، أي أن هذه النظرة الحبيبة تركت قلبه كالسيف المكسر لا يقوى على مقاومة النوائب .

[3] الكحلاء السوداء الجفون . السؤل ما يتمناه الإنسان ويسأله الأجل منتهى الحياة .

[4] الصبابة رقة الشوق . الغليل حرارة العطش يراد بها حرارة الوجد .

[5] يذم : يجير أن ينقذ ، وغيرها منصوب على الاستثناء ، وبدر فاعل يذم ، أي أنه ينقذ من كل ما يقتل ما عدا أجداق الحسان

[6] الكرب جمع كربة حزن يأخذ بالنفس .

مَحِكٌ إذا مَطَلَ الغَرِيمُ بدَيْنِهِ جَعَلَ الحُسامَ بمَا أرَادَ كَفِيلا[1]

نَطِقٌ إذا حَطَّ الكَلامُ لِثامَهُ أعْطَى بمَنْطِقِهِ القُلُوبَ عُقُولا[2]

أعْدَى الزّمانَ سَخاؤهُ فَسَخا به ولَقَدْ يكون به الزّمانُ بَخيلا

وكأنّ بَرْقاً في مُتُونِ غَمامةٍ هِنْدِيُّهُ في كَفِّهِ مسْلُولا

ومَحَلُّ قائِمِهِ يَسيلُ مَواهِباً لَوْ كُنَّ سَيْلاً ما وَجَدْنَ مَسيلا[3]

رَقَّتْ مَضارِبُهُ فَهُنَّ كأنّمـا يُبْدِين مِن عِشْقِ الرِّقابِ نُحُولا[4]

أمْعَفَّرَ اللَّيْثِ الهِزَبْرِ بسَوْطِهِ لَمَنِ ادّخَرْتَ الصَّرْمِ المَصْقُولا[5]

وَقَعَتْ على الأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نُضِدَتْ بها هامُ الرِّقاقِ تُلُولا[6]

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَيْرَةَ شارِباً وَرَدَ الفُراتَ زَئِيرُهُ والنِّيـلا[7]

مُتَخَضِّبٌ بدَمِ الفَوارِسِ لابِسٌ في غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلا[8]

ما قُوبِلَتْ عَيْناهُ إلاّ ظُنَّتَـا تَحْتَ الدُّجَى نارَ الفَرِيقِ حُلُولا[9]

في وَحْدَةِ الرُّهْبَـانِ إلاّ أنّـهُ لا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ والتَّحْلِيلا

١ المحك اللجوج المطل التسويف بوعد الوفاء مرة بعد أخرى

٢ النطق اللسن البليغ

٣ قائم السيف : مقبضه . والمراد بمحله راحة الممدوح . والضمير في كن يعود إلى المواهب

٤ المضارب جمع مضرب : حد السيف

٥ عفره : مرغه على التراب . الهزبر الضخم الشديد . ادخرت : خبأت . يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط فلمن خبأت سيفك المصقول .

٦ نضدت جمعت فوق بعضها .

٧ الورد الذي يضرب لونه إلى الحمرة . البحيرة : بحيرة طبرية . الزئير صوت الأسد .

٨ الغيل الغابة . اللبدة الشعر المجتمع على كتف الأسد ، أي أن هذا الشعر كأنه غابة أخرى له

٩ الفريق : الجماعة . حلولا جمع حال وهو النازل بالمكان ونصبه على الحال من الفريق .

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ ... فكأنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا[1]

ويَرُدُّ عُفْرَتَهُ إلى يَأفُوخِهِ ... حتى تَصِيرَ لرَأْسِهِ إكْلِيلا[2]

وتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ ... عَنْها لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولا

قَصَرَتْ مَعَاقِدُ الخُطَى فكأنَّما ... رَكِبَ الكَمِيُّ جَوادَهُ مَشْكُولا[3]

أَلْقَى فَرِيستَهُ وبَرْبَرَ دونَها ... وقَرُبْتَ قُرْباً خالَهُ تَطْفِيلا[4]

فتَشابَهَ الخُلُقانِ في إقْدامِهِ ... وتَخالَفَا في بَذْلِكَ المأكُولا[5]

أَسَدٌ يَرَى عِضْوَيْهِ فيكَ كِلَيْهِما ... مَتْناً أَزَلَّ وساعِداً مَفْتُولا[6]

في سِرْجِ ظامِئَةِ الفُصُوصِ طِمِرَّةٍ ... يأبَى تَفَرُّدُها لَهَا التَّمْثِيلا[7]

نَيَّالَةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلا أنَّهَا ... تُعْطِي مَكانَ لِجامِها مَا نِيلا[8]

تَنْدَى سَوالِفُها إذا استَحضَرْتَها ... ويُظَنُّ عَقْدُ عِنانِها مَحْلُولا[9]

١ التيه الكبرياء

٢ العفرة شعر القفا اليأفوخ ملتقى عظم مقدم الرأس .

٣ الكمي لابس السلاح المشكول المقيد بالشكال أي أن خوف هذا الأسد تمكن من القلوب حتى إن الخيل صارت تمشي كأنها مقيدة

٤ يريد بفريسته البقرة التي هاجه عنها بربر : زمجر التطفيل الدخول على الآكلين من غير دعوة أي أنه لما رآك مقبلا إليه ألقى فريسته وبربر لأنه ظنك تتطفل عليه

٥ يقول تشابها في الإقدام وتخالفا في البذل لأنه حريص وأنت كريم .

٦ يريد بالعضوين ما ذكره فيما بعد وهما المتن والساعد أي أنك تشبهه فيهما .

٧ ظامئة الفصوص دقيقة المفاصل . الطمرة الوثابة ، يصف فرسه بذلك .

٨ نيالة من النيل إصابة المطلوب وما نيل نفي جواب لولا أي أنها لو لم تحط رأسها اللجام لم ينله فارسها لارتفاعه .

٩ استحضرتها : ركضتها . العنان سير اللجام . أي أنها تنثني سرا

ما زالَ يجْمَعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ ... حتى حسِبْتَ العَرْضَ منه الطّولا[1]

ويَدُقُّ بالصَّدْرِ الحِجارَ كأنّه ... يَبْغي إلى ما في الحَضِيضِ سبيلا[2]

وكأنّهُ غَرَتْهُ عَيْنٌ فادّنَى ... لا يُبْصِرُ الخَطْبَ الجَلِيلَ جَلِيلا[3]

أنَفَ الكَرِيمِ مِنَ الدّنِيئَةِ تارِكٌ ... في عينِهِ العَدَدَ الكَثِيرَ قَلِيلا

والعارُ مَضّاضٌ ولَيس بخائفٍ ... مِنْ حَتْفِه مَن خافَ مِمّا قِيلا[4]

سَبَقَ التِقاءَكَهُ بوَثْبَةِ هاجِمٍ ... لَوْ لم تُصادِمْهُ لجازَكَ مِيلا[5]

خَذَلَتْهُ قُوّتُهُ وقَدْ كافَحْتَهُ ... فاستَنْصَرَ التَسْلِيمَ والتَّجْدِيلا[6]

قَبَضَتْ مَنِيّتُهُ يَدَيْهِ وعُنْقَهُ ... فَكَأنّما صادَفْتَهُ مَغْلُولا

سَمِعَ ابنُ عَمّتِه به وبحالِهِ ... فنَجا يُهَرْوِلُ أمسِ منكَ مَهُولا[7]

وأمَرُّ مِمّا فَرّ منهُ فِرارُهُ ... وكَقَتْلِهِ أنْ لا يَمُوتَ قَتِيلا[8]

تَلَفُ الذي اتّخَذَ الجراءَةَ خُلّةً ... وعِظَةُ الذي اتّخَذَ الفِرارَ خَلِيلا[9]

لَوْ كانَ عِلْمُكَ بالإلَهِ مُقَسَّماً ... في النّاسِ ما بَعَثَ الإلَهُ رَسُولا

الزور وسط الصدر حيث تلتقي العظام

٢ الحضيض القرار في الأرض عند أسفل الجبل

٣ ادنى : اقترب

٤ مضاض مؤلم

٥ أي سبقك بالالتقاء ولو لم تصادمه لفاتك ميلا من شدة الوثبة

٦ استنصر طلب النصرة التجديل الطرح على الأرض

٧ يهرول يسرع في مشيه مهولا مذعوراً

٨ وكقتله خبر مقدم عن المصدر المؤول بعده أي أن فراره من الهلاك أمرّ من الهلاك لما فيه من الذل ، وعدم موته قتيلا مثل قتله لأنه سلم من الحرب

٩ تلف مبتدأ خبره جملة وعظ الخلة الخليلة ، الصاحبة أي أن هلاك هذا كان موعظة لذاك

لَوْ كانَ لَفْظُكَ فيهِمِ ما أنزَلَ ... فُرْقانَ والتَّوْراةَ والإنْجيلا
لَوْ كانَ ما تُعطيهِمِ من قبلِ أنْ ... تعْطيهِمِ لَمْ يَعرِفُوا التَّأميلا
فلَقَدْ عُرِفْتَ وما عُرِفتَ حَقيقَةً ... ولقد جُهِلْتَ وما جهِلْتَ خُمُولا[1]
نَطَقَتْ بسُؤْدُدِكَ الحَمام تَغَنِّياً ... وبما تُجَشِّمُهُ لَحِيادُ صَهيلا
ما كلّ مَن طَلَبَ المَعالي نافذاً ... فيها ولا كُلّ الرِّجالِ فحُولا

تحاسدت البلدان !

ورد كتاب من ابن رائق على بدر بإضافة الساحل إلى عمله ، فقال أبو الطيب

تُهَنَّا بصورٍ أمْ نُهَنِّئُهَا بِكَا ... وقَلّ الذي صُورٌ وأنْتَ لَهُ لَكَا[2]
وما صَغُرَ الأرْدُنُّ والسّاحلُ الذي ... حُبيتَ به إلاّ إلى جَنبِ قَدْرِكَا
تَحاسَدَتِ البُلْدانُ حتى لوَ انّها ... نُفُوسٌ لَسارَ الشّرْقُ والغرْبُ نحوَكا
وأصْبَحَ مِصْرٌ لا تكونُ أميرَهُ ... ولَوْ أنّهُ ذو مُقْلَةٍ وفَمٍ بَكَى

١ يقول إن الناس عرفوك بما ظهر من كرمك ولكنهم لم يعرفوا حقيقة ما أنت عليه لقصورهم عن إدراك ذلك لا لكونك خامل الذكر

٢ قوله تهنا أتهنأ فحذف همزة الاستفهام ولين الهمزة التي هي لام الفعل وصور في الشطر الثاني مبتدأ وأنت معطوف عليها وله متعلق بمحذوف هو الخبر ولك متعلق بقل .

أنت النهاية في الكمال

نظر إلى جانبه ثياباً مطوية فسأل عنها فقيل هي خلع الولاية، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلا فقال

أرَى حُلَلاً مُطَـوَّاةً حِسَاناً ... عَداني أنْ أراكَ بها اعْتِلالي[1]

وهَبْكَ طَوَيْتَها وخرَجتَ عنها ... أتَطوي ما عَلَيكَ من الجَمالِ[2]

لَقَدْ ظَلَّتْ أواخِرُها الأعالي ... مَعَ الأُولى بجِسْمِكَ في قِتالِ[3]

تُلاحِظُكَ العُيُونُ وأنتَ فيها ... كأنْ عليكَ أفْئِدَةَ الرِّجالِ[4]

مَتى أحصَيْتُ فَضلَكَ في كَلامٍ ... فقَدْ أحصَيتُ حَبّاتِ الرِّمالِ

وإنّ بها وإنّ بهِ لَنَقْصاً ... وأنتَ لها النّهايةُ في الكَمالِ[5]

١ عداني منعني .

٢ هبك أي احسب نفسك .

٣ أي أن الثياب الظاهرة استمرت في قتال مع التي تمس جسمك حسداً منها .

٤ أنت فيها أي في هذه الحلل .

٥ الضمير في بها الخلع وفي به الكلام .

مكايد السفهاء واقعة بهم

سار بدر إلى الساحل ولم يسر أبو الطيب معه ثم بلغه أن ابن كروس الأعور كتب إلى بدر يقول له إن أبا الطيب إنما تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك ولما عاد بدر إلى طبرية ضربت له قباب عليها أمثلة من تصاوير ، فقال أبو الطيب

الحُبُّ ما مَنَعَ الكَلامَ الألْسُنَا ... وألَذُّ شَكْوَى عاشِقٍ ما أعْلَنَا

ليتَ الحَبيبَ الهاجري هَجَرَ الكَرَى ... مِن غيرِ جُرْمٍ واصِلي صِلَةَ الضَّنَى

بِتْنَا ولَوْ حَلَيْتَنا لَمْ تَدْرِ مَا ... ألْوانُنَا مِمَّا اسْتُفِعْنَ تَلَوُّنَا[1]

وتَوَلَّدَتْ أنْفاسُنا حتى لَقَدْ ... أشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ العَواذِلُ بَيْنَنَا

أفْدي المُوَدَّعَةَ التي أتْبَعْتُهَا ... نَظَراً فُرادَى بَيْنَ زَفْراتٍ ثُنَا

أنْكَرْتُ طارِقَةَ الحَوادِثِ مَرَّةً ... ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بها فصارَتْ دَيْدَنَا[2]

وقَطَعْتُ في الدُّنيا الفَلا ووَكائِبي ... فيها وَوَقْتِيَ الضُّحَى والمَوْهِنَا[3]

فوَقَفْتُ منها حيثُ أوْقَفَني النَّدَى ... وبَلَغْتُ من بَدْرِ بنِ عَمَّارٍ المُنَى

لأبي الحُسَيْنِ جَدًى يَضيقُ وِعاؤُهُ ... عَنْهُ ولو كانَ الوِعاءُ الأزْمُنَا[4]

١ حلاه وصف حليته وهي هيئة الشخص وما يتميز به . واستفع لونه تغير من حزن ونحوه .

٢ الديدن العادة

٣ الموهن نحو نصف الليل .

الجدا العطاء

وشجاعةٌ أعْيَاه عنْهُ كرُّها ... تكريرها

نيطَت حمائلُه بعاتِقِ ... وعمل يكرُّ وما تثنّى

فكأنّه ... من خلفه يطْعَنُنا

نَفَتِ ... على الأ تيقُّنُنا

يتفزّعُ اخبارُ ... تظلّ خدواته تُتكفّنا

أمضى إرادتَهُ ... قَدَ ... تَقَمِ تشم له هنا[2]

يسجيد الحديد على نضاخ جلده ... بأ لقر وألينا[3]

أمرٌ من تقْد الأحبّة عنده ... في القائدات الأجفُنا

لا يستكين الرّ بين تملوميه ... يوماً عسان لا يُحسنا[4]

مستنبط علْ ما في غمد ... فكأن ما سيكونُ فيهِ دوّنا

تتقاصر الأفهام عن ... كيهِ مثْل الذي الأفلاكُ فيهِ والدُّنى

مَنْ ليس من تتْلاهُ من طُلَقائه ... منْ ليس ممّن دانَ ممن حُيِّنا[5]

لمّا قفلْتَ من السواحلِ نحْوَنا ... قفلَتْ إليها وحْشةٌ من عندنا[6]

نيطت علقت الحمائل ملائق السيف العاتق ما بين المنكب والعنق المحرب الشجاع الشديد الحرب كر عليه في الحرب عطف انثنى رجع

٢ سوف مبتدأ وخبره قد وكذا ثم وهنا أي أنه نافذ الإرادة فما يقال عنه سوف يكون يقول عنه قد كان ، وما يشار إليه بثم أي بمنالك بشير إليه بهنا

٣ المراد بالحديد الدرع البضاضة رقة الجلد ونعومته

٤ لا يستكين لا يستر الإحسان مصدر أحسن الشيء إذا عرفه يقول إنه لا يحسن ترك الإحسان .

٥ الطلقاء جمع طليق الأسير خلي سبيله دان خضع حين أهلك يقول من نجا من سيفه فهو من طلقائه ومن لا يخضع له يكون من الهالكين .

أي لما رجعت من السواحل إلينا رجعت إليها الوحشة التي كانت عندنا .

أرجَ الطريقُ فما مررْتَ بموضعٍ إلاّ أقام الشذا مستوطنا[1]

لوْ تعقِل الشجر التي قابلْتَها مدّتْ محبّبةً إليك الأغصُنا

سلكتْ سمائل القباب لحبن شوْق فأدرْن فيك الأعيُنا[2]

طربتْ مراكبنا فخلْنا أنّها حيًا عاقَها قَصَب

أقبلْنَ تبسم والجياد عوابس يخْبُبْن بالحلَق الضعاف والقنا[3]

عقَد سنابكُها عليْها عثيرا لو بتغي لأ كتنا

والأمرُ أمرُك قُلُو خوافق سيه السي

فعجبْتُ حتى عجبت من الظبى ورأيْت حتى

إنّي رأيتَ الكارم مسكرا في سكرِه ومن المعالي معْد

فطَن الفؤادُ لما أتيْت على النوى لما تركت سخانةً تقطُ

أضحى فراقُك لي عليْه عقُوبةً ليس الذي بيت منْهُ هيبا

فاغْفِرْ فِدًى لكَ واحبني من بعدها لتخُصني عطيبة منْها أنا[7]

١ أرج الطيب فاح الشذا ذكاء الرائحة

٢ أي أن الجن من كثرة شوقها إليك دخلت في الصور المنقوشة على القباب التي فوقك لتراك

٣ الخبب ضرب من المشي والراد بالحلق المضاعف الدروع

٤ السنابك جمع سنبك طرف مقدم الحافر العثير الغبار العنق ضرب من السير

٥ الظبى جمع ظبة حد السيف السى النور يقول عجبت من كثرة السيوف حتى عجزت عن إدراك العجب ورأيت من كثرة تألق الحديد ما خطف بصري حتى كل عن الرؤية

٦ أي أن فؤادي لم يغفل عما فعلته من التقصير في خدمتك وعدم سيري معك لأني كنت خائفاً أن تفطن له وتعاتبني عليه

٧ فدى: خبر عن محذوف تقديره أنا حباه أنعم عليه ومنها خبر مقدم عن الضمير ، والجملة نعت عطية .

أنهَ المُشيرَ عليكَ في بضلةٍ فالحرُّ مُمْتَحَنٌ بأولادِ الزنى[1]
وإذا الفتى طرَحَ الكلامَ مُعَرِّضاً في مجلسٍ أخذَ الكلامَ اللَّذْ عنى[2]
ومكايدُ السفهاءِ واقعةٌ بهمْ وعداوةُ الشعراءِ بئسَ المُقْتَنى
لُعِنَتْ مُقارَنَةُ اللئيمِ فإنها ضَيْفٌ يجرُّ منَ الندامةِ ضَيْفَنا[3]
غضَبُ الحسودِ إذا لقيتُكَ راضياً رُزْءٌ أخفُّ عليَّ منْ أنْ يُوزَنا
أمسَى الذي أمسَى بربِّكَ كافراً منْ غيرِنا معَنا بفضلِكَ مُؤْمِنا
خلَتِ البلادُ منَ الغزالةِ ليلَها فأعاضَهاكَ اللهُ كيْ لا تحزَنا[4]

لست على الحجاب بقادر

دخل هلال بدر يوماً فوجده خالياً وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو الشرب ، فقال ارتجالا

أصبَحْتَ تأمُرُ بالحجابِ لخَلْوَةٍ هيْهاتِ لَسْتَ على الحجابِ بقادرِ
مَنْ كانَ ضَوْءُ جبينِهِ ونوالُهُ لم يُحْجَبا لم يَحْتَجِبْ عن ناظرِ
فإذا احتَجَبْتَ فأنْتَ غيرُ مُحَجَّبٍ وإذا بَطَنْتَ فأنْتَ عينُ الظاهرِ

١ أراد بالحر نفسه ، وبأولاد الزنى الذين وشوا به
٢ أي الذي عناه ، يريد أنه عرض في البيت السابق بذكر أولاد الزنى وقد فهم هذا التعريض من يعنيه به.
٣ الضيفن الذي يتبع الضيف
٤ الغزالة : الشمس . أعاضهاك جعلك لها عوضاً من الشمس .

أرجوك وأخشاك

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة في الشراب فقال

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إلاّ كَا لا لِسِوَى وُدِّكَ لي ذاكَا
ولا لِحُبِّيهَا ولَكِنَّني أمسَيْتُ أرْجوكَ وأخْشاكَا

متى أقوم بالشكر

وقال أيضاً

عَذَلَتْ مُنادَمَةُ الأميرِ عَواذِلي في شُرْبِها وكَفَتْ جَوابَ السّائِلِ
مَطَرَتْ سَحابُ يَدَيكَ بِرِيَّ جَوانحي وحملتُ شكرَكَ واصطناعُك حاملي
فمَتَى أقُومُ بشُكرِ ما أوْلَيْتَني والقَوْلُ فيكَ عُلُوُّ قَدْرِ القائِلِ

الصدق من شيم الكرام

كان
من
بو الطيب يشرب فقال ارتجالا

أيّها المَلِك[1] كأسُه في مُلكه لا مُلكه
كلّ بحر بجنبها كثرة سو سفكه
الصدق نقل الشراب تركيه

يزول الدهر قبل زواله

فقال بدر بل من تركه فقال أبو الطيب

بَدْرٌ فتًى لو كان من سؤّاله يوماً نوَيْفِر حظُّهُ من ماله
تتَحسر الأنْعالُ أفْعاله ويَقِلّ ما يأتيه في إقْباله
قمراً نرَى وسحابتَين بموضعٍ من وجْهه ويمينه وشِمَاله
سَفَكَ الدّماء بجُودِه لا بأسِه كرَماً لأنّ الطيْر بعض عياله
إنْ يَفن ما يحوي فقَد أبْقَى لهُ كنْزاً يزولُ الدّهرُ قبل زواله

١ الملك الأول بمعنى ما يملك ، والثاني السلطان
٢ أي لو كان واحداً من سائليه لبقي له نصيب من ماله نظير واحد منهم .

ت بالحاجة ...ية

وسأله أبو الطيب حاجة فقضاها سريعاً وقال

... تطويلها

طويل ... ك

بدر الجلوس

يا بَدْرُ إنّك والحَديثُ شُجونُ من لمْ يَكُنْ لِمَقالِهِ تَكْوِينُ
لَعَظُمْتَ حتى لوْ تَكُونُ أمانَةً ما كانَ مُؤْمَناً بها جِبْرِينُ
بَعْضَ البريّة فَوْقَ بَعْضٍ خالِياً فإذا حضرتَ فكُلُّ فَوْقٍ دُونُ

قوله الحديث شجون مثل أي ذو فنون وطرائق
٢ خالياً : أي خالياً عنهم أي غير حاضر

فدتك الخيل

قال فيه مرتجلا

فَدَتْكَ الخَيلُ وهي مُسَوَّماتُ ... وبِيضُ الهِنْدِ وهي مُجَرَّداتُ
وَصَفْتُكَ في قَوافٍ سائِراتٍ ... وقَدْ بَقِيَتْ وإنْ كثُرَتْ صِفاتُ
أفاعِيلُ الوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهْمٌ ... وفِعْلُكَ في فِعالِهِمِ شِيَاتُ[1]

أحلى في العيون من الغمض

وقام منصرفاً في الليل فقال

مضَى اللّيلُ والفضْلُ الذي لك لا يمضي ... ورُؤْياكَ أحلى في العيونِ من الغُمضِ
على أنّني طُوِّقْتُ مِنْكَ بنِعْمَةٍ ... شَهِيدٌ بها بعضي لغيري على بَعضي
سَلامُ الذي فَوْقَ السّماواتِ عَرْشُهُ ... تُخَصّ بهِ يا خَيرَ ماشٍ على الأرْضِ

١ الدهم السود . الشيات جمع شية لون يخالف بقية لون الجلد

السلام عليك مني.

جلس بدر يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب:

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا المَلِكُ المُرَجَّى عَجائِبَ ما رأَيْتُ منَ السَّحابِ
تَشَكَّى الأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وتَرْشُفُ ماءَهُ رَشْفَ الرُّضابِ
وأُوهِمُ أَنَّ في الشَّطْرَنْجِ هَمِّي وفيكَ تَأَمُّلي ولَكَ انْتِصابي
سأَمْضِي والسَّلامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبي لَيْلَتِي وغَداً إِيابي

نال الشراب مني

سقاه بدر ليلة فأخذ الشراب منه ثم أراد الانصراف فلم يقدر على الكلام فقال هذين البيتين وهو لا يدري فأنشده إياها ابن الخراساني وهما قوله

نَالَ الذي نِلْتُ مِنْهُ مِنِّي لله ما تَصْنَعُ الخُمُورُ[1]
وفي انصِرافي إلى مَحَلِّي أَآذَنٌ أَيُّهـا الأَمِيرُ ؟

١ أي نال الشراب مني نظير الذي نلته منه أي أخذ حصة من عقلي كما أخذت منه.

أنفس ما للفتى لبه

وعرض عليه الصبحة في غد فقال

وجَدْتُ المُدامَةَ غَلاّبَةً ... تُهَيِّجُ للقَلْبِ أشْواقَهُ
تُسِيءُ مِنَ المَرْءِ تأديبَهُ ... ولَكِن تُحَسِّنُ أخْلاقَهُ
وأنْفَسُ ما للفَتى لُبُّهُ ... وذو اللُّبِّ يَكْرَهُ إنْفاقَهُ
وقَد مُتُّ أمْسِ بها مَيْتَةً ... ولا يَشْتَهي المَوْتَ مَنْ ذاقَهُ

جارية شعرها شطرها

كان لبدر بن عمار جليس أعور يعرف بابن كروس ، وكان يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره لأنه لم يكن يجري في المجلس شيء إلا ارتجل فيه شعراً، فقال لبدر: أظنه يعمل هذا قبل حضوره ويعده فقال له بدر مثل هذا لا يجوز أن يكون وأنا أمتحنه بشيء أحضره الوقت فلما كمل المجلس ودارت الكؤوس أخرج لعبة قد أعدها ، لها شعر في طرفها تدور على لولب وإحدى رجليها مرفوعة وفي يدها باقة ريحان ، وهي تدار على الجلاس فإذا وقفت حذاء الإنسان نقرها فدارت فقال أبو الطيب فيها مرتجلا

وجارِيَةٍ شَعْرُها شَطْرُها ... مُحَكَّمَةٍ نافِذٍ أمْرُهَا
تَدورُ وفي كَفِّها طاقَةٌ ... تَضَمَّنَها مُكْرَهاً شِبرُهَا
فإنْ أسكَرَتْنا فَفي جَهْلِها ... بما فَعَلَتْهُ بِنَا عُذْرُهَا

جارية بلا روح

وأديرت فوقفت حذاء أبي الطيب ، فقال

جاريةٌ ما بجسمِها رُوحُ ... بالقلبِ من حُبِّها تَباريحُ[1]
في كفِّها طاقةٌ تُشيرُ بها ... لكلِّ طيبٍ من طيبِها ريحُ
سأشرَبُ الكأسَ عن إشارَتِها ... ودَمعُ عيني في الخدِّ مسفوح

رفعت رجلها من التعب

وشرب وأدارها فوقفت حذاء بدر فقال

يا ذا المَعالي ومَعْدِنَ الأدَبِ ... سَيِّدَنا وابنَ سَيِّدِ العَرَبِ
أنْتَ عَليمٌ بكلِّ مُعْجِزَةٍ ... ولَوْ سألْنا سِواكَ لَمْ يُجِبِ
أهذِهِ قابلَتْكَ راقِصَةٌ ... أمْ رَفَعَتْ رِجْلَها منَ التَّعَبِ

[1] تباريح جمع تبريح الشدة

على فرد رجل

وقال أيضاً

إنّ الأمير أدامَ اللهُ دَوْلَتَـهُ لَفاخِرٌ كُسِيَتْ فَخْراً به مُضَرُ
في الشَّرْبِ جارِيَةٌ من تَحتِها خَشَبٌ ما كانَ والِدَها جِنٌّ ولا بَشَرُ
قامَتْ على فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهابَتِهِ ولَيس تَعقِلُ ما تأتي وما تَذَرُ

لا تلمها

وأديرت فسقطت فقال

ما نَقَلَتْ عِندَ مَشيَةٍ قَدَمَا ولا اشْتَكَتْ مِنْ دُوارِها أَلَمَا[1]
لم أرَ شَخْصاً مِنْ قَبلِ رُؤْيَتِها يَفْعَلُ أفْعالَها ومَا عَـزَمَا
فَلا تَلُمْهَا على تَواقُعِهَـا أطْرَبَهَا أنْ رأتْكَ مُبْتَسِمَا

١ الدوار شبه الدوران يأخذ في الرأس فيتخيل لصاحبه أن المنظورات تدور عليه ويعرف عند العامة بالدوخة

ليس تصلح للعناق

ووصفها بشعر كثير وهجاها بمثله لكنه لم يحفظ فخجل ابن كروس وأمر بدر برفعها فرفعت فقال

وذاتِ غَدائِرٍ لا عَيْبَ فيها ... سِوَى أَنْ لَيس تَصْلُحُ للعِناقِ
إذا هَجَرَتْ فَعَن غيرِ اختيارٍ ... وإنْ زارَتْ فَعَن غيرِ اشْتِياقِ
أَمَرْتَ بأنْ تُشالَ فَفارَقَتْنَا ... وما أَلِمَتْ لحادِثَةِ الفِراقِ

أنا الذهب

ثم التفت إلى بدر وقال ما حملك أيها الأمير على ما فعلت ؟ فقال أردت نفي الظنة عن أدبك فقال

زَعَمْتَ أنّكَ تَنفي الظّنَ عَن أدَبي ... وأنتَ أعْظَمُ أهلِ الأرْضِ مِقدارَا
إنّي أنا الذّهَبُ المَعرُوفُ مَخْبَرُهُ ... يَزيدُ في السّبكِ للدّينار دينَارَا

جود يطرد الفقر

فقال بدر بل للدينار قنطاراً ، فقال

برَجاءِ جُودكَ يُطْرَدُ الفَقْرُ وبأنْ تُعادَى يَنْفَدُ العُمْرُ
فَخَرَ الزُّجاجُ بأنْ شرِبْتَ بِـه وزَرَتْ على مَنْ عافَها الخَمْرُ[1]
وسَلِمْتَ مِنها وهْيَ تُسكِرُنَا حتى كأنّكَ هابَكَ السُّكْرُ
ما يُرْتَجَى أحَدٌ لمَكْرُمَـة إلاّ الإلَهُ وأنْتَ يا بَدْرُ

١ زرت عابت . عافها كرهها .

هابك الليل والنهار

خرج أبو الطيب إلى جبل جرس فنزل بأبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني وكان بينهما مودة بطبرية فقال يمدحه

لا افتخارٌ إلاّ لمَن لا يُضام ... مُدْرِكٍ أوْ مُحارِبٍ لا يَنَامُ[1]

لَيس عَزْماً مَا مَرّض المَرْءُ فيه ... لَيس هَمّاً ما عاقَ عنهُ الظّلامُ[2]

واحتمالُ الأذَى ورُؤيَتُهُ جانِيـ ... ـه غِذاء تَضْوَى به الأجسامُ[3]

كُلّ مَنْ يَغْبِطُ الذّليل بعَيشٍ ... رُبّ عَيشٍ أخَفُّ منْهُ الحِمامُ

كُلُّ حِلْمٍ أتَى بغَيرِ اقْتِدارٍ ... حُجّةٌ لاجِئٌ إلَيها اللّئَام

مَنْ يَهُنْ يسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ... ما لجُرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ[4]

ضاقَ ذَرْعاً بأنْ أضيقَ به ذَرْ ... عاً زَماني واستَكْرَمَتْني الكِرامُ[5]

واقِفاً تحتَ أخمَصَيْ قَدْرِ نَفْسي ... واقِفاً تحتَ أخْمَصي الأنَامُ[6]

أقَراراً ألَـذُّ فَوْقَ شَرارٍ ... ومراماً أبْغي وظُلْمي يُسرامُ[7]

١ من نكرة تامة ومدرك نعت ثان لها

٢ مرض بمعنى قصر الهم ما همت به في نفسك .

٣ تضوى تهزل

٤ أي الذي اعتاد الهوان يسهل عليه فهو كالميت الذي لا يتألم بالجراحة

٥ زماني فاعل ضاق ، وذرعاً تمييز . وهم يكنون بذلك عن قصر اليد .

٦ واقفاً الأول حال عن ضمير المتكلم في البيت السابق والثاني حال عن ضميره .

٧ قراراً مفعول به لألذ والاستفهام للانكار

دونَ أنْ يَشرَقَ الحِجازُ ونَجْدٌ ... والعِراقانِ بالقَنَا والشّامُ[1]

شَرَقَ الجَوَّ بالغُبَارِ إذا سَا ... رَ عَلِيُّ بنُ أحْمَدَ القَمْقامُ[2]

الأديبُ المُهَذَّبُ الأصْيَدُ الضَّرْ ... بُ الذَّكيُّ الجَعدُ السَّرِيُّ الهُمامُ[3]

والذي رَيْبُ دَهْرِهِ مِنْ أسَارَا ... هُ ومِنْ حاسدي يَدَيْهِ الغَمَامُ

يَتَداوَى مِنْ كَثْرَةِ المَالِ بالإقْ ... لالِ جُوداً كأنّ مَالاً سَقَامُ[4]

حَسَنٌ في عُيُونِ أعْدائِهِ أقْ ... بَحُ من ضَيْفِهِ رأتْهُ السَّوامُ[5]

لوْ حَمَى سَيِّداً منَ المَوتِ حامٍ ... لَحَمَاهُ الإجْلالُ والإعْظامُ

وعَوارٍ لَوامِعٌ دِينُهَا الحِـ ... ـلُّ ولَكِن زِيّها الإحْرامُ[6]

كُتِبَتْ في صَحائِفِ المَجدِ بِسْمٌ ... ثُمَّ قَيسٌ وبعدَ قَيس السَّلامُ

إنّما مُرَّةُ بنُ عَوْفِ بنِ سَعْدٍ ... جَمَرَاتٌ لا تَشْتَهِيها النَّعامُ[7]

لَيلُها صُبْحُها مِنَ النّارِ والإصْـ ... ـباحُ لَيْلٌ من الدّخانِ تِمامُ[8]

١ يشرق يغص .

٢ القمقام : السيد .

٣ الأصيد الرزين الضرب الماضي في الأمور . الجعد الكريم السري الشريف الهمام العظيم الهمة

٤ يقول كأنه يحسب المال سقاماً يتداوى ببذله ليقل عنده فيشفى .

٥ يقول هو حسن لكنه في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون مواشيه لعلمها أنها ستنحر له

٦ عوار أي سيوف مجردة من أغمادها وهي معطوفة على الإجلال ، ومراده بالحل أنها تستحل الدماء وبالاحرام أنها عارية كالمحرم في الحج

٧ الجمرة كل قبيل انضموا فصاروا يداً واحدة ولم يحالفوا غيرهم ، والنعام حيوان مشهور لا يضره الجمر ، والمراد هنا أنها أذكى من جمر النار فلا تقدم عليها النعام .

٨ ليل التمام أطول ليالي الشتاء ، أي أنهم يوقدون النار للقرى ليلا ونهاراً فيصير ليلهم صبحاً بضوئها ونهارهم ظلمة بدخانها

هِمَمٌ بَلَّغَتْكُمُ رُتَبَاتٍ قَصُرَتْ عَنْ بُلُوغِها الأَوْهامُ
ونُفُوسٌ إذا انْبَرَتْ لِقِتَالٍ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدُ الإقْدامُ
وقُلُوبٌ مُوَطَّنَاتٌ على الرَّوْ عِ كأنَّ اقْتِحامَهَا استِسْلامُ
قائِدو كُلِّ شَطْبَةٍ وحِصانٍ قَدْ بَراها الإسْراجُ والإلجامُ[1]
يَتَعَثَّرْنَ بالرُّؤوسِ كَما مَرَّ بتاءاتِ نُطْقِهِ التَّمْتامُ[2]
طالَ غِشْيانُكَ الكَرِيهَةَ حَتَّى قالَ فيكَ الذي أقُولُ الحُسَّامُ
وكَفَتْكَ الصَّفائِحُ النَّاسَ حَتَّى قد كَفَتْكَ الصَّفائِحَ الأَقْلامُ[3]
وَكَفَتْكَ التَّجارِبُ الفِكْرَ حَتَّى قَدْ كَفاكَ التَّجارِبَ الإلْهَامُ[4]
فارِسٌ يَشْتَرِي بِرازَكَ لِلفَخْـ ـرِ بِقَتْلٍ مُعَجَّلٍ لا يُسَلامُ
نائِلٌ منكَ نَظْرَةً ساقَهُ الفَقْـ ـرُ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ إنْعَامُ
خَيْرُ أعضائِنا الرُّؤوسُ ولَكِنْ فَضَلَتْها بِقَصْدِكَ الأقْدامُ
قَد لَعَمْري أقْصَرْتُ عَنكَ وللوَفْـ ـدِ ازْدِحامٌ وللعَطايا ازْدِحامُ
خِفْتُ إن صِرْتُ في يَمِينِكَ أن تأ خُذَنِي في هِباتِكَ الأقوامُ
ومِنَ الرُّشْدِ لم أزُرْكَ على القُرْ بِ على البُعْدِ يُعْرَفُ الإلمامُ[5]

١ الشطبة الفرس الطويلة .
٢ التمتام : الذي يتردد لسانه بالتاء ، أي أن خيلهم تعثر برؤوس القتل كما يمر لسان التمتام بالتاءات .
٣ الصفائح : السيوف العريضة ، أي أن سيوفك أغنتك عن الجيش ثم أغنتك الأقلام عنها لشدة هيبتك .
٤ أي أن كثرة تجاربك للأمور قد أغنتك عن التفكر فيها وصرت لا تلهم إلا الصواب .
٥ الإلمام : الزيارة ، أي أن حق الزيارة يعرف إذا كان من موضع بعيد .

ومِن الخَيرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عني أسرَعُ السُّحبِ في المَسيرِ الجَهامُ[1]

قُلْ فكَمْ مِن جواهرٍ بنِظامٍ وُدُّها أنّها بفيكَ كَلامُ[2]

هابَكَ اللّيْلُ والنّهارُ فلَوْ تَنْـ ـهاهُما لم تَجُزْ بكَ الأيّامُ

حسْبُكَ اللهُ ما تَضِلّ عَنِ الحَـ ـقّ ولا يَهْتَدي إليكَ أثَامُ

لِمَ لا تَحْذَرُ العَواقِبَ في غَيْـ ـرِ الدّنايا أمَا عَلَيْكَ حرامُ

كَمْ حَبيبٍ لا عُذْرَ للّوْمِ فيه لَكَ فيهِ مِن التُّقَى لُـوّامُ

رفعتْ قَدْرَكَ النّزاهَةُ عَنْهُ وثَنَتْ قَلْبَكَ المَساعي الجِسامُ[3]

إنّ بَعضاً مِن القَريضِ هُذاءٌ لَيس شَيئاً وبَعضَهُ أحْكامُ[4]

مِنْهُ ما يجْلُبُ البَراعَةُ والفضْـ ـلُ ومِنْهُ ما يجْلُبُ البِرْسامُ[5]

بليت بحساد أحاربهم

قال فيه وقد أراد الارتحال عنه

لا تُنكِرَنّ رَحيلي عَنكَ في عَجَلٍ فإنّني لرَحيلي غَيْرُ مُخْتَـارِ

وربّمَا فارَقَ الإنْسانُ مُهْجَتَهُ يَوْمَ الوَغَى غيرَ قالٍ خَشيَةَ العارِ

وقَدْ مُنِيتُ بحُسّادٍ أحارِبُهُمْ فاجعلْ نَداكَ عليهم بعضَ أنصاري

١ السيب العطاء . الجهام السحاب الذي لا ماء فيه يقول تأخر عطائك عني لكثرته لأن أسرع السحب سيراً أقلها ماء

٢ يطلب منه أن يتكلم فإن كلامه أنفس من الجواهر المنظومة حتى إنها تتمنى أن تكون كلاماً في فيه .

٣ النزاهة البعد عن كل مكروه

٤ الهذاء اسم من هذى الرجل إذا تكلم بغير معقول .

٥ البرسام مرض في الصدر

حسدت على حياتي

يصف مسيره في البوادي وما لقي في
أسفاره ويذم الأعور بن كروس

عَذيري مِنْ عَذارَى من أُمورِ ... سَكَنَّ جَوانحي بَدَلَ الحُدُورِ
ومُبْتَسِماتِ هَيْجاواتِ عصرٍ ... عنِ الأسيافِ لَيس عنِ الثّغُورِ[2]
رَكِبتُ مُشَمِّراً قَدَمي إليها ... وكُلَّ عُذافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ[3]
أواناً في بُيُوتِ البَدْوِ رَحْلي ... وآوِنَةً عَلى قَتَدِ البَعِيرِ[4]
أُعَرِّضُ للرِّماحِ الصُّمِّ نَحري ... وأنْصِبُ حُرَّ وجْهي للهجيرِ
وأسري في ظَلامِ اللّيلِ وَحْدي ... كأنّي مِنْهُ في قَمَرٍ مُنِيرِ
فَقُلْ في حاجةٍ لم أقْضِ مِنها ... على شَغَفي بها شَرْوَى نَقِيرِ[5]
ونَفْسٍ لا تُجيبُ إلى خَسِيسٍ ... وعَيْنٍ لا تُدارُ على نَظيرِ

١ عذيري مبتدأ محذوف الخبر تقديره من عذيري أي من يعذرني ، ومن الأولى متعلقة به والثانية بنعت عذارى الجوانح الضلوع الحدور جمع خدر ما واراك من بيت ونحوه والمراد بالعذارى من الأمور الخطوب العظيمة التي لم يسبق لها نظير .

٢ الهيجاوات الحروب أي حروب عصر تبتسم عن بريق الأسياف لا عن الثغور .

٣ مشمراً مجداً ، وقدمي مفعول ركبت . العذافر العظيم الشديد من الإبل الضفور جمع ضفر نسع تشد به الرحال أي قصدها راجلا وراكباً

٤ الرحل كل ما يستصحبه الراحل من أثاث ونحوه القتد خشب الرحل

٥ قوله فقل أي فقل ما شئت حذفه لضيق المقام شروى مثل وهي مفعول أقض النقير نكتة في ظهر النواة وهو مثل للشيء الحقير .

وكَفٍّ لا تُنازِعُ مَنْ أتاني ... يُنازِعُني سِوَى شَرَفي وخيري[1]

وقِلّةِ ناصِرٍ جُوزِيتَ عني ... بشَرٍّ مِنكَ يا شَرَّ الدُّهورِ

عَدُوّي كُلُّ شيءٍ فيكَ حتى ... لَحِلْتُ الأُكْمَ مَوغَرَةَ الصُّدورِ[2]

فلَوْ أنّي حُسِدْتُ عَلى نَفيسٍ ... لَجُدْتُ بهِ لِذي الجَدِّ العَثُورِ[3]

ولكِنّي حُسِدْتُ على حَيَاتي ... وما خَيرُ الحَياةِ بِلا سُرُورِ

فيا ابنَ كَرَوّسٍ يا نِصْفَ أعمى ... وإن تَفخَرْ فيا نِصْفَ البَصيرِ[4]

تُعادينا لأنّا غَيرُ لُكْنٍ ... وتُبْغِضُنا لأنّا غَيرُ عُورِ[5]

فلَوْ كنتَ امرأً يُهْجَى هَجَوْنا ... ولكِنْ ضاقَ فِتْرٌ عَن مَسيرِ[6]

١ سوى مفعول تنازع الخير الكرم

٢ عدوي خبر مقدم عما بعده ، والأكم التلال . موغرة متوقدة من الغيظ .

٣ الجد الحظ العثور التعس

٤ أراد أنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى وباعتبار الباقية نصف بصير

٥ اللكن جمع ألكن الثقيل اللسان

٦ قوله ضاق فتر عن مسير أي أن مسافة الفتر وهي ما بين طرف الابهام وطرف السبابة إذا فتحتهما تضيق عن المسير فيها

يخلو من الهم اخلاهم من الفطن

يمدح أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب
الخصيبي وهو يومئذ يتقلد القضاء بانطاكية

أفاضِلُ النّاسِ أغراض لِدى الزّمَنِ ... يَخلُو مِنَ الهَمّ أخلاهم من الفِطَنِ
وإنّما نحنُ في جيلٍ سواسيَةٍ ... شَرٌّ على الحُرّ من سُقْمٍ على بدَنِ[1]
حَوْلي بكُلّ مكانٍ مِنهُمُ خلَقٌ ... تُخطي إذا جِئتَ في استِفهامِها بمَنِ[2]
لا أقْتَري بَلَداً إلاّ على غَـرَرٍ ... ولا أمُرّ بخَلْقٍ غيرِ مُضْطَغِنِ[3]
ولا أعاشِرُ من أملاكِهِمْ مَلِكاً ... إلاّ أحَقّ بضَرْبِ الرّأسِ من وَثَنِ
إنّي لأعْذِرُهُمْ مِمّا أُعَنّفُهُمْ ... حتى أُعَنّفُ نَفْسي فيهِمِ وأني[4]
فَقَرُ الجَهُولِ بِلا قَلْبٍ إلى أدَبٍ ... فَقَرُ الحِمارِ بلا رَأسٍ إلى رَسَنِ
ومُدْقِعِينَ بسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ ... عارِين من حُلَلٍ كاسينَ من دَرَنِ[5]
خُرّابِ بادِيَةٍ غَرّثَى بُطُونُهُمُ ... مَكْنُ الضِّبابِ لهمْ زادٌ بلا ثَمَنِ[6]

١ المراد بالجيل أهل الزمان سواسية متساوون الحر هنا الكريم .
٢ الخلق جمع خلقة الصورة التي يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح يقول حولي جماعة من أهل هذا الزمان لا تعقل فإذا أردت أن تستفهم عن أحدها لا يجوز أن تقول من هذا لأن من تختص بالعقلاء .
٣ أقتري أتتبع . الغرر من غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة . المضطغن الحاقد .
٤ أني مضارع ونى بمعنى فتر وترك . يقول إني ألومهم على ما بهم من الخسة ثم أعذرهم لما أجد بهم من الجهل وأعود على نفسي باللوم وأتركهم .
٥ المدقع اللاصق بالأرض ذلا السبروت القفر لا نبات فيه الدرن الوسخ
٦ الخراب جمع خارب الذي يسرق الإبل خاصة غرثى ضامرة من الجوع الضباب جمع الضب دويبة معروفة مكنها بيضها

يستخبرون فلا أعطيهم خبري ... وما يطيش لهم سهم من الظنن

وخلة في جليس ألتقيه بها ... كيما يرى أننا مثلان في الوهن[1]

وكلمة في طريق خفت أعربها ... فيهتدي لي فلم أقدر على اللحن

قد هون الصبر عندي كل نازلة ... وليّن العزم حد المركب الخشن

كم مخلص وعلى في خوض مهلكة ... وقتلة قرنت بالذم في الجبن

لا يعجبن مضيماً حسن بزته ... وهل تروق دفيناً جودة الكفن

لله حال أرجيها وتخلفني ... وأقتضي كونها دهري ويمطلني

مدحت قوماً وإن عشنا نظمت لهم ... قصائداً من إناث الخيل والحصن

تحت العجاج قوافيها مضمرة ... إذا تنوشدن لم يدخلن في أذن[3]

فلا أحارب مدفوعاً إلى جدر ... ولا أصالح مغروراً على دخن[4]

مخيم الجمع بالبيداء يصهره ... حر الهواجر في صم من الفتن[5]

ألقى الكرام الأولى بادوا مكارمهم ... على الخصيبي عند الفرض والسنن[6]

١ الخلة الخصلة . الوهن الضعف أي أنني ألتقي جليسي بما فيه ليظن أني مماثل له في ضعف الرأي

٢ المضيم المظلوم . البزة اللباس أي أنه لا ينبغي للإنسان أن يفرح بحسن ملبسه ورخاء عيشه على ما هو فيه من الذل فإنه كالميت الذي عليه كفن حسن

٣ الخيل المضمرة المعدة للسباق، وتضميرها يكون بربطها وتكثير علفها ومائها حتى تسمن ثم يقلل ذلك مدة وتركض في الميدان حتى تهزل. ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً

٤ الجدر جمع جدار الحائط الدخن الفساد يقول لا أحارب معتصماً بالأبنية ولا أصالح على فساد إذا غرني الأعداء .

٥ مخيم الجمع خبر عن محذوف تقديره أنا الهواجر جمع هاجرة منتصف النهار الصم جمع صماء الشديدة .

٦ أي أن الكرام الذين هلكوا ألقوا مكارمهم على هذا الممدوح فصارت عنده بجانب فروض الدين والسنن

فَهُن في الحَجْرِ منهُ كلّما عرَضَتْ ... لَهُ اليَتَامَى بَدا بالمَجْدِ والمِنَنِ[1]

قاضٍ إذا التَبَسَ الأمرانِ عَنَّ لَهُ ... رأيٌ يُخَلِّصُ بَينَ الماءِ واللَّبَنِ

غَضُّ الشَّبابِ بَعيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ ... مُجانِبُ العَينِ للفَحْشاءِ والوَسَنِ[2]

شَرابُهُ النَّشْخُ لا للرِّيِّ يَطْلُبُهُ ... وطُعْمُهُ لِقَوامِ الجِسْمِ لا السِّمَنِ[3]

ألقائِلُ الصِّدْقَ فيهِ ما يُضِر به ... والواحِدُ الحالَتَينِ السِّرُّ والعَلَنِ[4]

ألفاصِلُ الحُكْمِ عَيَّ الأوّلونَ به ... والمُظْهِرُ الحَقَّ للسّاهي على الذَّهِنِ[5]

أفْعالُهُ نَسَبٌ لَوْ لم يَقُلْ مَعَها ... جَدّي الخَصيبُ عَرَفنا العِرْقَ بالغُصُنِ

العارِضُ الهَتِنُ ابنُ العارِضِ الهَتِنِ ابـ ... ـنِ العارِضِ الهَتِنِ ابنِ العارِضِ الهَتِنِ[6]

قد صَيَّرَتْ أوّلَ الدُّنْيا وآخِرَها ... آباؤهُ مِن مُغارِ العِلْمِ في قَرَنِ[7]

كأنَّهُمْ وُلِدوا مِن قبلِ أنْ وُلِدوا ... أو كانَ فَهْمُهُمُ أيّامَ لم يَكُنِ

الخاطِرِين على أعْدائِهِمْ أبداً ... من المَحامِدِ في أوقَى من الجُنَنِ[8]

١ فهن أي المكارم وفي الحجر أي في منعته وحفظه

٢ قيل كنى ببعد فجر ليلته عن كونه يسهر الليل في درس العلوم والعبادات فيرى ليله طويلا

٣ النشخ الشرب القليل

٤ الضمير من قوله فيه للصدق أعني أنه لا ينطق إلّا بالصدق ولو كان فيه ما يضره ولا يتظاهر بغير ما في ضميره فسره وعلنه سواء

٥ أي أنه يظهر حق الخصم الغبي على خصمه الذكي

٦ العارض السحاب المعترض في الأفق الهتن من الهتن كثرة الانصباب والمعنى أنه جواد ابن أجواد

٧ المغار الحبل المحكم الفتل القرن حبل يجمع به البعيران أي أن اباءه قد أحاطوا علماً بحوادث الدنيا حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها

٨ خطر الرجل مشى متبخترا وهو أن يرفع يديه في المشي ويضعهما أوقى أحفظ الجنن جمع جنة : كل ما استترت به من سلاح ونحوه وقوله من المحامد أي وهم

للنّاظِرِينَ إلى إقْبالِهِ فَرَحٌ ... يُزيلُ ما بجِباهِ القَوْمِ مِنْ غَضَنِ

كأنّ مالَ ابنِ عبدِ اللهِ مُغْتَرَفٌ ... من راحَتَيْهِ بأرْضِ الرّومِ واليَمَنِ

لم نَفْتَقِدْ بكَ من مُزْنٍ سوَى لَشَقٍ ... ولا منَ البَحرِ غيرَ الرّيحِ والسُّفُنِ[1]

ولا مِنَ اللّيثِ إلاّ قُبحَ مَنْظَرِهِ ... ومِنْ سِواهُ سوَى ما لَيسَ بالحَسَنِ

مُنذُ احْتَبَيْتَ بإنْطاكِيَةَ اعتَدَلَتْ ... حتّى كأنّ ذَوي الأوْتارِ في هُدَنِ[2]

ومُذْ مَرَرْتَ على أطْوادِها قُرِعَتْ ... منَ السّجودِ فلا نَبْتٌ على القُنَنِ[3]

أخلَتْ مَواهبُكَ الأسواقَ من صَنَعٍ ... أغنى نَداكَ عنِ الأعمالِ والمِهَنِ[4]

ذا جُودُ مَن لَيسَ مِنْ دَهرٍ على ثِقَةٍ ... وزُهْدُ مَنْ ليسَ من دُنياهُ في وَطَنِ

وهذِهِ هِمّةٌ لم يُوتَهَسا بَشَرٌ ... وذا اقْتِدارُ لِسانٍ لَيسَ في المُنَنِ

فمُرْ وأومِىء تُطَعْ قُدّستَ من جبلٍ ... تَبارَكَ اللهُ مُجْرِي الرّوحِ في حَضَنِ[5]

١ الشق الندى يعلق بالأرض فتصير وحلا يريد أنه سحاب-وبحر ولكن منفعته خالصة من التعب والعناء

٢ الهدن جمع هدنة المصالحة والدعة والسكون .

٣ قرعت من قرع الرأس ذهاب شعره أي أنه لما مر في هذه الجبال سجدت له حتى ذهب ما عليها من النبت فصارت قرعاء

٤ الصنع الصانع الحاذق .

٥ حضن جبل عظيم بأعلى نجد .

ولا قابلاً إلا لخالقه حكما

ورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك فانحدر إلى بغداد وكانت جدته قد يئست منه فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه فقبلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها

ألا لا أُري الأحداثَ مَدحاً ولا ذَمّا ... فَما بَطشُها جَهلاً ولا كفُّها حِلمَا

إلى مثلِ ما كانَ الفتى مرْجعُ الفتى ... يَعُودُ كَمَا أَبْدي ويُكري كما أرْمَى[1]

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبيبِها ... قَتيلَةَ شَوْقٍ غَيرِ مُلحِقِها وَصْمَا[2]

أحِن إلى الكأسِ التي شرِبَتْ بها ... وأهوى لمَثواها التّرابَ وما ضَمّا[3]

بَكَيْتُ عَلَيها خيفَةً في حَياتِها ... وذاقَ كِلانا ثُكْلَ صاحِبِهِ قِدْمَا

ولوْ قَتَلَ الهَجْرُ المُحبّينَ كُلَّهُمْ ... مضَى بَلَدٍ باقٍ أجَدّتْ لَهُ صَرْمَا[4]

عرَفْتُ اللّيالي قَبلَ ما صَنَعَتْ بنا ... فلَمّا دَهَتْني لم تَزِدْني بها عِلْمَا

مَنافِعُها ما ضر في نَفْعِ غَيرِها ... تغذّى وتَرْوَى أن نجوعَ وأن تَظْمَا[5]

١ أبدي خلق أكرى نقص أرمى زاد

٢ الوصم للعيب وهو مفعول ثان لملحقها والأول الضمير المضاف إليه ، وعنى بحبيبها نفسه

٣ عنى بالكأس كأس الموت المثوى المقام أراد به القبر

٤ يقول لو كان الهجر يقتل كل محب لقتل بلدها أيضاً لأنه كان من المحبين لها

٥ منافعها أي منافع المرثية وقوله ما ضر أي ما ضرها

أتاها كتابي بعدَ يأسٍ وترْحَةٍ ... فماتتْ سُروراً بي فمُتُّ بها غمّا
حرامٌ على قلبي السّرورُ فإنّني ... أعُدّ الذي ماتتْ به بعْدَها سُمّا
تعَجّبُ مِنْ لَفْظي وخطّي كأنّما ... ترَى بحُرُوفِ السّطرِ أغربةً عُصْمَا[1]
وتلْثِمُهُ حتى أصارَ مِدادُهُ ... محاجِرَ عيْنَيْها وأنْيابَها سُحْمَا
رَقَا دَمْعُها الجاري وجفّتْ جفونها ... وفارقَ حُبّي قلبَها بعدَما أدمَى[2]
ولم يُسْلِها إلاّ المَنَايا وإنّما ... أشَدُّ منَ السُّقمِ الذي أذهبَ السُّقْما
طلَبْتُ لها حظّاً ففاتَتْ وفاتَني ... وقد رَضِيَتْ بي لو رضيتُ بها قِسمَا[3]
فأصْبَحتُ أسْتَسقي الغمامَ لقبرِها ... وقد كنتُ أستَسقي الوَغى والقنا الصُّمّا
وكنتُ قُبَيلَ الموْتِ أستَعظِمُ النّوَى ... فقد صارَتِ الصّغرَى التي كانتِ العظمى[4]
هَبيبي أخذتُ الثأرَ فيكِ منَ العِدَى ... فكيفَ بأخذِ الثّأرِ فيكِ من الحُمَّى
وما انسَدّتِ الدّنْيا عليّ لضيقِهَا ... ولكنْ طَرْفاً لا أراكِ بهِ أعمى
فوَا أسَفا ألاّ أُكِبَّ مُقَبّلاً ... لرَأسِكِ والصّدْرِ الّذَيْ مُلِئا حزْمَا[5]
وألاّ ألاقي روحَكِ الطيّبَ الذي ... كأنّ كيَ المِسكِ كانَ له جسمَا
ولَوْ لمْ تَكُوني بِنْتَ أكْرَمِ والدٍ ... لَكانَ أباكِ الضّخْمَ كونُكِ لي أُمّا

١ الأغربة جمع غراب العصم ، جمع أعصم الذي في جناحه بياض وهو مثل في الغرابة لعزه وجوده
٢ رقأ الدمع انقطع وقوله أدمى أي أدماه
٣ يقول فارقتها لأطلب لها نصيباً من الرزق ففاتتني وفاتتني
٤ قوله الموت أي موتها وقوله فقد صارت الصغرى أي صارت النوى التي كان يستعظمها قبل موتها صغيرة بالنسبة لموتها
٥ قوله اللذي أي اللذين فحذف النون على لغة لبعض العرب .

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا لَقَدْ وَلَدَتْ مي لأَنْفِهِمِ رَغْمَا
تَغَرَّبَ لا مُسْتَعْظِماً غَيرَ نَفْسِهِ ولا قابِلاً إلاّ لخالِقِهِ حُكْمَا
ولا سالِكاً إلاّ فُؤادَ عَجاجَةٍ ولا واجِداً إلاّ لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا
يَقُولونَ لي ما أنتَ في كلّ بَلدَةٍ وما تَبتَغي؟ما أبتَغي جَلّ أن يُسمى[1]
كأنّ بَنيهِمْ عالمُونَ بأنّني جَلُوبٌ إليهِمْ منْ مَعادِنه اليُتْمَا
وما الجَمْعُ بَينَ الماءِ والنّارِ في يدي بأصعَبَ من أنْ أجمَعَ الجَدّ والفهمَا[2]
ولكِنّني مُسْتَنْصِرٌ بذُبَابِهِ ومُرْتكِبٌ في كلّ حالٍ به الغَشمَا[3]
وجاعِلُهُ يَوْمَ اللّقاءِ تَحِيّتي وإلاّ فلَسْتُ السيّدَ البَطَلَ القَرْمَا[4]
إذا فَلّ عَزْمي عن مدًى خوْفُ بُعده فأبْعَدُ شيءٍ ممكِنٌ لم يَجِدْ عزْمَا[5]
وإنّي لمِنْ قَوْمٍ كأنّ نُفُوسَهُمْ بها أنَفٌ أن تسكنَ اللّحم والعَظمَا
كذا أنَا يا دُنْيا إذا شِئْتِ فاذْهَبي ويا نَفسِ زيدي في كرائهِها قُدْمَا[6]
فلا عَبَرَتْ بي ساعَةٌ لا تُعِزّني ولا صَحِبَتْني مُهجَةٌ تقبلُ الظُّلْمَا

وجعل قوم يستعظمون ما قاله في آخر هذه القصيدة فقال :

يَسْتَعْظِمُونَ أبْيَاتاً نَأمْتُ بِهَا لا تَحْسُدُنّ على أنْ يَنْأمَ الأسَدَا
لَوْ أنّ ثَمّ قُلُوباً يَعْقِلُونَ بِهَا أنْساهُمُ الذّعْرُ مِمّا تحتَها الحَسَدَا

١ قوله ما أنت أي ما أنت صانع
٢ يريد أن الحظ من الدنيا لا يجتمع مع الفهم فهما كالنار والماء .
٣ قوله بذبابه أي بذباب السيف وهو حده الغشم بمعنى المغشم وهو الذي لا يثنيه شيء عن مراده .
٤ قوله تحيتي أي أحيي أعدائي به يوم اللقاء أي الحرب القرم السيد .
٥ فل ثلم المدى الغاية خوف فاعل فل ممكن خبر عن أبعد
٦ الكرائه ، جمع كريهة النازلة أو ما يكره . القدم التقدم

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله
ابن الحسين الانطاكي

لَكِ يا مَنازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ أقفَرْتِ أنْتِ وهن منكِ أواهِلُ[1]
يَعْلَمْنَ ذاكَ وما عَلِمْتِ وإنَّمَا أوْلاكَمَا يُبْكَى عَلَيْهِ العاقِلُ[2]
وأنَا الذي اجتَلَبَ المَنِيَّةَ طَرْفُهُ فَمَنِ المُطالَبُ والقَتِيلُ القاتِلُ
تَخْلُو الدِّيارُ منَ الظِّباءِ وعِنْدَهُ من كُلِّ تابِعَةٍ خَيالٌ خاذِلُ[3]
أللاءِ أفْتَكُهَا الجَبانُ بمُهْجَتي وأحَبُّهَا قُرْباً إليَّ البَاخِلُ[4]
ألرَّامِياتُ لَنَا وهُنَّ نَوافِرٌ والخاتِلاتُ لَنَا وهُنَّ غَوافِلُ[5]
كافأنَنَا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ المَهَا فَلَهُنَّ في غَيرِ التُّرابِ حَبَائِلُ[6]

١ المراد بالمنازل الأولى منازل الأحبة أواهل ذوات أهل . يقول لمنازل الأحبة أنت أقفرت أي خلوت من أهلك والقلوب آهلة بك لأن مثالك لم يبرح منها .
٢ الضمير من يعلمن يرجع إلى القلوب ومن علمت إلى المنازل أولى أحق . وهو مبتدأ والعاقل خبره . وقوله يبكى أي بأن يبكى
٣ الظباء الغزلان يريد بها الحبائب التابعة الظبية الصغيرة التي تتبع أمها الخاذل الذي تخلف عن أصحابه فلم يلحق .
٤ اللاء بمعنى اللواتي نعت للظباء، وبمهجتي متعلق بأفتكها المراد بالجبان الذي ينفر من الرجال حياء وبالباخل البخيل بالوصل
٥ الخاتلات من الختل أخذ الصيد من حيث لا يدرى أي يرمينا بسهام لحاظهن وهن نافرات ويصدننا وهن غير قاصدات
٦ أي أن حبائلهن التي يصدن بها منصوبة في غير التراب وهي العيون

مِنْ طاعِمي ثُغَرِ الرِّجالِ جآذِرٌ ومِن الرِّماحِ دَمَالِجٌ وخَلاخِلُ[1]

ولِذا اسمُ أغطِيَةِ العُيُونِ جُفُونُها مِنْ أنّها عَمِلَ السُّيُوفِ عَوامِلُ

كم وقْفَةٍ سجرَتْكَ شوْقاً بَعدَما غَرِي الرَّقِيبُ بنا ولَجَّ العاذِلُ[2]

دون التَّعانُقِ ناحِلَيْنِ كشَكْلَتَيْ نَصْبٍ أدَقَّهُمَا وضم الشَّاكِلُ[3]

إنْعَمْ ولَذَّ فَلِلأمورِ أواخِرٌ أبَداً إذا كانَتْ لَهُنَّ أوائِلُ

ما دُمْتَ مِنْ أرَبِ الحِسانِ فإنَّما رَوْقُ الشَّبابِ علَيكَ ظِلٌّ زائِلُ[4]

للهْوِ آونَةٌ تَمُرُّ كأنَّهَا قُبَلٌ يُزَوِّدُهَا حَبِيبٌ راحِلُ

جَمَحَ الزَّمانُ فَلا لَذِيذٌ خالِصٌ ممَّا يَشُوبُ ولا سُرُورٌ كامِلُ[5]

حتّى أبو الفَضْلِ ابن عَبْدِ اللهِ رُؤْ يَتُهُ المُنَى وهي المَقامُ الهَائِلُ[6]

مَمْطُورَةٌ طُرُقِي إلَيهَا دونَهَا مِن جُودِهِ في كلِّ فَجٍّ وابِلُ[7]

مَحْجُوبَةٌ بسُرادِقٍ مِن هَيْبَةٍ تَشْي الأزِمَّةَ والمَطِيَّ ذَوَامِلُ[8]

للشَّمسِ فيه وللسَّحابِ وللبِحـا وللأسُودِ وللرِّياحِ شَمَائِلُ

١ الثغر جمع ثغرة نقرة النحر الجآذر الصغار من بقر الوحش وهي مبتدأ مؤخر عن المجرور .

٢ سجرتك ملأتك غري به أولع لج تمادى في المماحكة

٣ دون متعلق بوقفة الشاكل الذي يرسم شكل الكتاب أي كأننا فتحتان قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداهما من الأخرى

٤ روق الشباب أوله وأفضله

٥ جمح ركب هواه فلا يرده شيء يشوب يخالط

٦ يقول إن رؤيته ما يتمناه الإنسان ولكن مهابته ما ينغص عليه هذه المنية

٧ يقول طرقي إلى رؤيته ممطورة بكرمه وبيني وبينها وابل من جوده قد ملأ كل فج .

٨ الضمير في محجوبة يرجع إلى الرؤية الذوامل المسرعات

ولَدَيْهِ ملْعقيَلانِ والأدَبِ المُفَا ... دِ وملْحَياةِ وملْسمات مَنَاهِلُ[1]

لَوْ لم يَهَبْ لجَبَ الوُفُودِ حوَالَهُ ... لَسَرَى إلَيْه قَطَا الفَلاة النَّاهِلُ[2]

يَدْري بمَا بِكَ قَبْلَ تُظْهِرُهُ لَهُ ... مِن ذهْنه ويجيبُ قَبْل تُسائِلُ

وتَراهُ مُعْتَرِضاً لَهَا ومُوَلِّياً ... أحْداقُنا وتَحارُ حينَ يُقَابِلُ

كَلِماتُهُ قُضُب وهُن فَوَاصِلُ ... كلُّ الضرائبِ تَحتَهُن مَفاصِلُ[3]

هَزَمَتْ مَكارِمُهُ المَكارِمَ كُلَّهَا ... حتى كأنّ المَكْرُمات قَنَابِلُ[4]

وقَتَلْن دَفْراً والدُّهَيْم فَما تَرَى ... أمُّ الدُّهَيْمِ وأم دَفْرٍ ثَاكِلُ[5]

عَلاّمَةُ العُلَمَاءِ واللُّجُّ الّذي ... لا يَنْتَهي ولِكُلّ لُجٍّ ساحِلُ

لَوْ طابَ مَوْلِدُ كُلّ حَيٍّ مِثْلَهُ ... وَلَدَ النّساءُ وما لَهن قَوابِلُ

لَوْ بانَ بالكَرَمِ الجَنِين بَيانَهُ ... لَدَرَتْ به ذَكَرٌ أمُ انثى الحامِلُ

ليَزِدْ بَنُو الحَسَنِ الشّرافُ تَواضُعاً ... هَيهاتِ تُكْتَمُ في الظّلامِ مشاعلُ

جَفَخَتْ وهم لا يجفَخون بها بِهِم ... شِيَمٌ على الحَسَبِ الأغَرّ دَلائِلُ[6]

١ قوله ملعقيان أي من العقيان فحذف النون وهكذا ما يليه العقيان الذهب

٢ اللجب الضجيج حواله حوله الناهل الوارد على الماء يقول إن الممدوح مهل لكل عطشان فلو لم تخف القطا ضجيج السؤال ببابه لسرت إليه لتنقع غلّتها منه

٣ أي أن كلماته تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفصل

٤ القنابل جمع قنبلة الطائفة من الخيل من الثلاثين إلى الأربعين

٥ أم الدهيم وأم دفر كنيتا الداهية ومعنى الدفر النتن ، أي أن مكارم الممدوح التي ذكرها في البيت السابق قتلت ولدي الداهية فجعلتها ثاكلا

٦ جفخت فخرت وتكبرت وبهم متعلق بجفخت وشيم فاعله وهي جمع شيمة الخلق والطبيعة الحسب : ما يعد من مفاخر الآباء الأغر : الشريف يقول : إن شيمهم تفتخر بهم وهم لا يفتخرون بها لتواضعهم وورعهم

مُتَشابِهُو وَرَعِ النُّفُوسِ كَبيرُهم ... وصَغيرُهمْ عَفُّ الإزارِ حُلاحِلُ[1]

يا افخَرْ فإنّ النّاس فيكَ ثَلاثَةٌ ... مُسْتَعْظِمٌ أو حاسِدٌ أو جاهِلُ[2]

ولَقَدْ عَلَوْتَ فَما تُبالي بَعدَمَا ... عَرَفُوا أيَحْمَدُ أمْ يَذُمّ القاتِلُ

أثْني عَلَيْكَ ولَوْ تَشاءُ لقُلْتَ لي ... قَصَّرْتَ فالإمْساكُ عنّي نائِلُ[3]

لا تَجْسُرُ الفُصَحاءُ تُنشِدُ ههُنا ... بَيْتاً ولكِني الهِزَبْرُ البَاسِلُ[4]

ما نالَ أهْلُ الجاهِلِيّةِ كُلُّهُمْ ... شِعْرِي ولا سمعتْ بسحري بابِلُ[5]

وإذا أتَتْكَ مَذَمّتي من نَاقِصٍ ... فَهي الشّهادَةُ لي بأنّي كامِلُ

مَنْ لي بفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدّعي ... أنْ يَحْسُبَ الهِنديَّ فيهِمْ باقِلُ[6]

وأمَا وحَقّكَ وهْوَ غايَةُ مُقْسِمٍ ... لَلْحَقُّ أنتَ وما سِواكَ الباطِلُ

ألطّيبُ أنْتَ إذا أصابَكَ طِيبُهُ ... والماءُ أنتَ إذا اغتَسَلْتَ الغاسِلُ[7]

ما دارَ في الحَنَكِ اللّسان وقَلّبَتْ ... قَلَماً بأحْسَنَ مِنْ ثَنَاكَ أنَامِلُ

١ الورع التقوى وقوله عف الإزار أي متنزه عن الفحشاء الحلاحل السيد الركين أي أن صغيرهم وكبيرهم سواء في التقوى والعفة

٢ يا افخر يا للنداء والمنادى محذوف أي يا هذا

٣ أي فعدم قولك لي قصرت هو عطاء أي جائزة

٤ يريد أن الشعراء لا تجسر على الإنشاد بين يديك لهيبتك وأما أنا فقد أقدمت على الإنشاد لجرأتي واقتداري

٥ قوله بابل أي أهل بابل وهي المدينة المشهورة يقولون إنه كان بها ملكان يعلمان السحر

٦ قوله من لي بفهم أي من يكفل لي به ونحو ذلك باقل رجل يضرب به المثل في البلاهة وهو فاعل يدعي

٧ يعني أنه أطيب من الطيب وأطهر من الماء

ومن عرف الأيام معرفتي بها

يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة

أنا لائمي إنْ كنتُ وقتَ اللّوائمِ ... عَلِمتُ بما بي بَينَ تلك المَعالِمِ[1]

ولَكِنني مِمّا شُدِهْتُ مُتَيَّمٌ ... كَسالٍ وقَلبي بائحٌ مثلُ كاتِمِ[2]

وقَفْنا كأنّا كُلّ وَجْدٍ قُلُوبِنَا ... تَمَكّنَ مِن أذْوادِنا في القَوائِمِ[3]

ودُسْنا بأخْفافِ المَطِيّ تُرابَهَا ... فَما زِلْتُ أستَشفي بلَثْمِ المَناسِمِ[4]

دِيارُ اللّواتي دارُهُنّ عَزيزَةٌ ... بطولى القَنا يُحفَظنَ لا بالتّمائِمِ

حِسانُ التَّثَنّي يَنقُشُ الوَشْيُ مثلَهُ ... إذا مِسْنَ في أجسامِهِنّ النّواعِمِ

ويَبسِمْنَ عَن دُرٍّ تَقَلّدْنَ مثلَهُ ... كأنّ التّراقي وُشّحَتْ بالمَباسِمِ[5]

١ قوله لائمي أي لائم نفسي، وقوله وقت اللوائم أي وقت لوم اللوائم المعالم جمع معلم الأثر يستدل به على الطريق يقول: إن كنت حين لامتني اللوائم قد علمت بما عراني بين تلك الآثار من الوجد ونحوه فأنا لائم نفسي على ذلك

٢ شدهت دهشت وتحيرت

٣ الأذواد جمع ذود ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل ، أي أننا أطلنا وقوفنا بين تلك المعالم وكأن ما في قلوبنا من الوجد قد حل في قوائم إبلنا حتى إنها صارت لا تبرح

٤ المناسم جمع منسم خف البعير أو باطنه

٥ التراقي جمع ترقوة أعلى الصدر المباسم جمع مبسم الثغر أي الفم والأسنان يعني أن ثغورهن مثل اللؤلؤ الذي في قلائدهن فكأن أعالي صدورهن قد حليت بثغورهن

فما لي وللدّنيا ! طِلابي نُجومُها ... ومَسعايَ منها في شُدوقِ الأراقِمِ[1]

من الحِلمِ أنْ تَستَعمِلَ الجهلَ دونَه ... إذا اتّسعتْ في الحلمِ طُرْقُ المظالِمِ[2]

وأنْ تَرِدَ الماءَ الذي شَطْرُهُ دَمٌ ... فتُسقَى إذا لم يُسْقَ مَن لم يُزاحِمِ

ومَنْ عَرَفَ الأيّامَ مَعرِفتي بها ... وبالنّاسِ رَوّى رُمحَهُ غير راحِمِ

فلَيس بمَرْحُومٍ إذا ظَفِروا بهِ ... ولا في الرّدى الجاري عَلَيهم بآثِمِ

إذا صُلْتُ لم أترُكْ مَصالاً لفاتِكٍ ... وإنْ قُلتُ لم أترُكْ مَقالاً لعالِمِ

وإلاّ فخانَتْني القَوافي وعاقَني ... عنِ ابنِ عُبيدِ اللهِ ضُعْفُ العَزائِمِ[3]

عَنِ المُقْتَني بَذْلَ التِّلادِ تِلادَهُ ... ومُجْتَنِبِ البُخلِ اجتِنابَ المَحارِمِ

تَمَنّى أعاديهِ مَحَلَّ عُفاتِـه ... وتَحْسُدُ كَفَيْه ثِقالُ الغَمائِمِ

ولا يَتَلَقّى الحرْبَ إلاّ بِمُهْجَةٍ ... مُعَظَّمَةٍ مَذْخُورَةٍ للعَظائِمِ

وذي لجَبٍ لا ذو الجَناحِ أمامَـهُ ... بنَاجٍ ولا الوَحشُ المُثارُ بسالِمِ[4]

تَمُرُّ عَلَيْه الشّمس وهي ضَعيفَةٌ ... تُطالِعُهُ من بَينِ رِيشِ القَشاعِمِ[5]

إذا ضَوْؤها لاقَى من الطّيزِ فُرْجَةً ... تَدَوَّرَ فَوْقَ البَيضِ مثلَ الدراهِمِ[6]

الأراقم : ذكور الحيات يقول : كيف أبلغ ما أنا ساع في طلبه من العلى وطرقي إليه محفوفة بالمكاره كأني أسعى في أفواه الأراقم

٢ يقول إذا كان حلمك داعياً إلى ظلم الناس لك فمن الحلم أن تستعمل الجهل معهم لتقابلهم بالمثل

٣ وإلا أي وإن لم أفعل ما قلت

ذي نعت لمحذوف أي وبجيش ذي لجب أي مختلط الأصوات المثار الذي نفره الخوف من مكمنه .

٥ تطالعه تطلع عليه القشاعم النسور يقول إن الشمس إذا مرت على هذا الجيش يضعف ضوؤها من شدة الغبار ومن كثرة ما يخيم عليه من النسور فلا ينفذ إليه ضوؤها إلا من بين ريشها .

٦ الفرجة : الخلل .

ويَخْفى عَلَيكَ الرّعدُ والبرْقُ فوْقَهُ ... من اللّمعِ في حافاتِهِ والهَماهِمِ
أرَى دونَ ما بَينَ الفُراتِ وبَرْقَةٍ ... ضِراباً يُمشّي الخَيلَ فوْقَ الجماجِمِ[1]
وطَعنَ غَطاريفٍ كأنّ أكُفّهُمْ ... عَرَفن الرُّدَيْنِيّاتِ قبلَ المَعاصِمِ[2]
حَمَتْهُ على الأعداءِ من كلّ جانبٍ ... سُيوفُ بني طُغجَ بن جُفّ القَماقِمِ[3]
هُمُ المُحسنونَ الكرّ في حومة الوَغى ... وأحْسَنُ منهُ كَرُّهُمْ في المَكارِمِ
وهم يحسنُونَ العَفْوَ عن كلّ مُذنبٍ ... ويحتَملونَ الغُرْمَ عَن كلّ غارِمِ[4]
حَيِيّونَ إلاّ أنّهُمْ في نِزالِهِم ... أقَلُّ حَيَاءً مِن شِفارِ الصّوارِمِ
ولَوْلا احتِقارُ الأُسدِ شَبّهتُهُمْ بها ... ولكِنّها مَعدودَةٌ في البَهائِمِ
سرَى النّوْمُ عني في سُرايَ إلى الذي ... صَنائِعُهُ تَسري إلى كلّ نائِمِ
إلى مُطلِقِ الأسرَى ومُختَرِمِ العِدى ... ومُشكي ذوي الشّكوَى ورَغمِ المُراغِمِ[5]
كريمٌ لَفَظتُ النّاس لمّا بَلَغْتُهُ ... كأنّهُمُ ما جَفّ مِنْ زادِ قادِمِ[6]
وكادَ سروري لا يَفي بنَدامَتي ... على تَرْكِهِ في عُمْرِيَ المُتَقادِمِ
وفارَقْتُ شرّ الأرْضِ أهْلاً وتُرْبَةً ... بها عَلَوِيٌّ جَدُّهُ غير هاشِمِ

١ برقة قرية في العراق
٢ الغطاريف السادة .
٣ ضمير النصب من حمته يرجع إلى ما بين الفرات وبرقة طغج بن جف جد الممدوح القماقم السادات
٤ الغرم ما يلزم الإنسان أداؤه من دية ونحوها
٥ الاختزام الهلاك والاستئصال . المراغم المغاضب
٦ لفظت طرحت

بَلا اللهُ حُسّادَ الأميرِ بحِلْمِهِ وأجْلَسَهُ مِنهُمْ مكانَ العَمائِمِ[1]
فإنّ لهم في سُرْعَةِ المَوْتِ راحَةً وإنّ لهُمْ في العَيْشِ حَزَّ الغَلاصِمِ[2]
كأنّكَ ما جاوَدْتَ مَن بانَ جودُهُ عَلَيكَ ولا قاوَمْتَ مَنْ لم تُقاوِمِ

سقاني الخمر

وسأله أبو محمد أن يشرب فامتنع
فقال له: بحقي عليك إلا شربت ، فقال

سَقاني الخَمْرَ قَوْلُكَ لي بحَقّي وَوُدٌّ لَمْ تَشُبْهُ لي بِمَذْقِ[3]
يميناً لَوْ حَلَفْتَ وأنتَ تأبى على قَتْلي بها لَضَرَبْتُ عُنْقي

تركت الأحرم

ثم أخذ الكأس منه وقال

حُبِّيتَ مِن قَسَمٍ وأفْدي مُقْسِمَا أمْسَى الأنَامُ لَهُ مُجِلاً مُعْظِمَا
وإذا طَلَبْتُ رِضى الأميرِ بشُرْبِها وأخَذْتُها فلَقَدْ تَرَكْتُ الأحرَمَا[4]

١ مكان العمائم الرؤوس
٢ الغلاصم جمع غلصمة اللحمة الناتئة عند رأس الحلقوم
٣ تشبه تمزجه المذق غير الإخلاص
٤ يقول إن شربها حرام وعصيان الأمير أحرم فإذا شربها يكون ترك الأحرم .

خير من تحت السماء

وغنى المغني فقال

ماذا يَقولُ الّذي يُغَنّي يا خير مَنْ تَحتَ ذي السّماءِ
شَغَلْتَ قَلْبي بلَحْظِ عَيْني إليكَ عَن حُسْنِ ذا الغِناءِ

أرى مرهفاً

وعرض عليه سيفاً فأشار به إلى بعض من حضر وقال

أرَى مُرْهَفاً مُدهشَ الصّيقَلِينَ وبابَةَ كُلّ غُلامٍ عَتَا[1]
أتأذَنُ لي ولَكَ السّابِقاتُ أُجَرّبُهُ لَكَ في ذا الفَتَى[2]

١ المرهف المرقق الصيقلين الذين يجلون السيوف بابة الرجل ما يصلح له أي هذا السيف يصلح لكل جهات
٢ السابقات : النعم السابقة

يقاتلني الليل عليك

ثم أراد الانصراف فقال

يُقاتِلُني عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدّاً ومُنصَرَفي لَهُ أمضَى السِّلاحِ[1]
لأنّي كُلّما فارَقْتَ طَرْفي بَعيدٌ بَيْنَ جَفْني والصّباحِ[2]

زيارة من غير موعد

وسايره وهو لا يدري أين يريد به ،
فلما دخل كفردبس قال

وزِيارَةٍ عَنْ غَيرِ مَوْعِدْ كالغُمضِ في الجفنِ المُسهَّدْ
مَعَجَتْ بِنا فيها الجِيا دُ مَعَ الأميرِ أبي مُحَمَّدْ[3]
حَتّى دَخَلْنَا جَنّةً لَوْ أنّ ساكِنَها مُخَلَّدْ
خَضْراءَ حَمْراءَ التّرا بِ كأنّها في خَدّ أغْيَدْ
أحْبَبْتُ تَشْبيهاً لَهَا فَوَجَدْتُهُ ما ليس يُوجَدْ
وإذا رجَعْتَ إلى الحَقَا ئِقِ فَهْيَ واحدَةٌ لأوْحَدْ

١ أي انصرافي عنك هو أفضل سلاح لليل .
٢ يقول كلما فارقت طرفي لم ينم شوقاً للقائك فيبعد ما بين جفني والصباح
٣ معجت بنا مرت بنا بسرعة وسهولة

دهري في ذراه دهور

وقال فيه

وَوَفّتْ وَفَى بالدّهْرِ لي عندَ سَيّدٍ ... وَفَى لي بأهْليهِ وزادَ كَثيرَا[1]
شرِبْتُ على استِحْسانِ ضَوْءِ جَبينِهِ ... وزَهْرٍ تَرَى للماءِ فيهِ خَرِيرَا
غَدَا النّاسِ مِثْلَيْهِمْ به لا عدمتُه ... وأصْبَحَ دَهْري في ذَراهُ دُهُورَا[2]

أحسنا الأدب

قال يصف مجلسين له قد انزوى أحدهما عن الآخر ليُرى من كل واحد منهما ما لا يُرى من صاحبه

أمَجْلِسانِ على التّمْييزِ بَيْنَهُمَا ... مُقَابِلانِ ولَكِنْ أحْسَنَا الأدَبَا
إذا صَعِدْتَ إلى ذا مَالَ ذا رَهَبَا ... وإنْ صَعِدْتَ إلى ذا مالَ ذا رَهَبَا
فَلِمْ يَهابُكَ ما لا حِسّ يَرْدَعُهُ ... إنّي لأبْصِرُ مِنْ فِعْلَيْهِمَا عَجَبَا

١ يقول إن وقتي عنده قد عادل الد[illegible] الله كما عادل هو أهل[illegible] وزاد كثيراً
٢ الذرا[illegible] فناء الدار ونواحيها يقال أنا في ذ[illegible] علان أي في كنفه وستره

كل مكان منك بستان

وأقبل الليل وهما في بستان فقال

زالَ النّهارُ ونورٌ مِنْكَ يُوهِمُنا ... أنْ لم يزُل وبِجِنّحِ اللّيلِ إجْنَانُ[1]
فإنْ يكُنْ طَلَبُ البُسْتانِ يُمسِكُنا ... فَرُحْ فكُلُّ مَكانٍ مِنْكَ بُسْتانُ

إن معي السحاب

ولما استقل في القبة نظر إلى السحاب فقال

تَعَرّض لي السّحابُ وقد قَفَلْنا ... فقُلْتُ إليكَ إنّ مَعي السّحابَا[2]
فَشِمْ في القُبّة المَلِكَ المُرَجّى ... فأمْسَكَ بَعدَما عَزَمَ انسِكابَا[3]

١ جنح الليل ما أقبل من ظلمته إجنان مصدر أجنه ستره وأخفاه
٢ قفلنا رجعنا . إليك بمعنى تنح واكفف
٣ شم أمر من شام البرق إذا نظر إليه ، وضمير أمسك يرجع إلى السحاب .

داوي خماري بالخمرة

قال وقد كره الشرب وكثر البخور
وارتفعت رائحة الند بمجلسه

أنَشْرُ الكِباءِ ووَجْهُ الأميرِ وحُسنُ الغِناءِ وصافي الخُمُورِ[1]
فَداوِ خُماري بشُرْبي لَهَا فإنّي سكِرْتُ بشُرْبِ السّرورِ[2]

كفى بقرب الأمير طيباً

وأشار إليه طاهر العلوي بمسك وأبو
محمد حاضر فقال

أَلطّيبُ مِمّا غَنيتُ عَنْهُ كَفَى بقُرْبِ الأميرِ طِيبَا
يَبْنِي بهِ رَبُّنَا المَعَالي كَمَا بِكُمْ يَغْفِرُ الذّنُوبا

١ النشر : الرائحة الكباء : عود البخور والواو من قوله وصافي للمصاحبة سد العطف بها مسد الخبر
٢ الخمار أذى الخمر وبقية السكر وضمير لها للخمور

أكرم الناس فعالاً

وجعل الأمير يضرب البخور بكمه ويقول سوقاً إلى أبي الطيب فقال

يا أكرَمَ النّاسِ في الفَعــالِ وأفْصَحَ النّاسِ في المَقَالِ
إنْ قُلتَ في ذا البَخُورِ سَوْقاً فهَـكَذا قُلتَ في النّوالِ[1]

غير مستنكر لك الإقدام

وحدث أبو محمد عن مسيرهم الليل لكبس بادية وأن المطر أصابهم فقال أبو الطيب

غَيرُ مُسْتَنكَرٍ لَكَ الإقدامُ فَلِمَن ذا الحَديثُ والإعْلامُ
قد عَلِمنا من قَبلُ أنّكَ مَن لا يَمْنَعُ اللّيلُ هَمَّهُ والغَمامُ[2]

١ سوقاً مفعول مطلق لمحذوف أي ليسق
٢ همه أي عزمه وقصده .

الدار تسير إليك

وقال فيه وهو عند طاهر العلوي

قَد بَلَغْتَ الذي أَرَدْتَ من البِرّ ومِنْ حَقّ ذا الشّريفِ عَلَيكَا
وإذا لمْ تَسِرْ إلى الدّارِ في وَقْـ تِكَ ذا خِفْتُ أنْ تَسير إلَيكَا

أنت للمكرمات أهدى

وم ّ بالنهوض فأقعده أبو محمد فقال

يا مَنْ رَأَيْتُ الحَليم وَغْدَا بِهِ وحُرّ المُلُوكِ عَبْدَا
مالَ عَلَيّ الشّرابُ جِدّا وأنْتَ للمَكْرُماتِ أهْدَى
فإنْ تَفَضّلْتَ بانْصِرافي عَدَدْتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَا

لا تلومنّ اليهودي

وحدث أبو محمد أن أباه استخفى مرة
فعرفه رجل يهودي فقال أبو الطيب

لا تَلُومَنّ اليَهُودِيّ عَلى أنْ يرَى الشّمس فلا يُنكِرُهَا
إنّما اللّوْمُ على حاسِبِهَا ظُلْمَةً مِنْ بَعدِ ما يبصِرُهَا

أحفظ المديح بعيني

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر فأعاده
فتعجب قوم من حفظه إياه فقال

إنّما أحْفَظُ المَديحَ بعَيْني ... لا بِقَلْبي لِمَا أرَى في الأمِيرِ
مِنْ خِصالٍ إذا نَظَرْتُ إلَيها ... نَظَمَتْ لي غَرائبَ المَنْثُورِ

سقاني الله دم الاعداء

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي
طاهر صاحب الأحساء فـذكر أبو الطيب
ما كان فيها من القتل فهال بعض الجلساء
ذلك وجزع منه فقال أبو الطيب لأبي
محمد ارتجالا

أباعِثَ كُلّ مَكْرُمَةٍ طَمُوحٍ ... وفارِسَ كُلّ سَلْهَبَةٍ سَبُوحِ[1]
وطاعِنَ كلّ نَجْلاءٍ غَمُوسٍ ... وعاصِيَ كلّ عَذّالٍ نَصِيحِ[2]
سَقَاني اللهُ قَبلَ المَوْتِ يَوْماً ... دَمَ الأعداءِ من جوْفِ الجُرُوحِ

١ الباعث المحيي . الطموح الممتنعة . السلهبة الفرس الطويلة . السبوح التي تسبح في جريها .
٢ النجلاء : الواسعة وهي صفة للطعنة الغموس التي تغمس المطعون في الدم .

شأوت العباد

وأطلق الباشق على سمانة فأخذها فقال

أمِنْ كُلّ شيءٍ بَلَغْتَ المُرادَا ... وفي كلّ شأوٍ شأوْتَ العِبَادَا[1]
فَمَاذا تَرَكْتَ لِمَن لم يسُدْ ... وماذا تركْتَ لِمَن كانَ سَادَا
كأنّ السُّمانَى إذا ما رَأتْكَ ... تَصَيَّدُها تَشْتَهي أنْ تُصادَا

١ الشأو الغاية شأوت سبقت

قانص الابطال

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلمان خشفاً فتلقفته الكلاب فقال أبو الطيب مرتجلا

وشامخٍ من الجبال أقْوَدِ ... فَرْدٍ كيأفُوخِ البَعيرِ الأصْيَدِ[1]
يُسارُ من مَضيقِهِ والجَلْمَدِ ... في مِثْلِ مَتْنِ المَسَدِ المُعَقَّدِ[2]
زُرْناهُ للأمْرِ الذي لم يُعْهَدِ ... للصَّيْدِ والنَّزْهَةِ والتَّمَرُّدِ
بكُلِّ مَسْقيِّ الدِّماءِ أسْوَدِ ... مُعاوِدٍ مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ[3]
بكُلِّ نابٍ ذَرِبٍ مُحَدَّدِ ... عَلى حِفافَيْ حَنَكٍ كالمِبْرَدِ[4]
كَطالِبِ الثَّأرِ وإنْ لم يَحْقِدِ ... يَقْتُلُ ما يَقْتُلُهُ ولا يَدِي[5]
يَنْشُدُ من ذا الخِشْفِ ما لم يَفقِدِ ... فَثَارَ من أخضَرَ مَمْطُورٍ نَدِ[6]
كأنَّهُ بَدْءُ عِذارِ الأمْرَدِ ... فلَمْ يكَدْ إلاّ لحَتْفٍ يَهتَدي

---

١ وشامخ الواو واو رب ، والشامخ العالي أي ورب جبل شامخ الأقود الطويل . الأصيد الملتوي العنق لداء ، يريد أن هذا الجبل مرتفع في اعوجاج .

٢ قوله في مثل أي في طريق مثل المتن الظهر . المسد: الحبل من ليف، أي أن السائر في هذا الجبل يسير في طريق معقد ضيق

٣ بكل متعلق بزرناه مسقي نعت لمحذوف أي بكل كلب هذه صفته.

٤ بكل ناب متعلق بمحذوف تقديره يسطو . الذرب الماضي

٥ لا يدي أي لا يعطي الدية وهي ثمن دم القتيل .

٦ ينشد من نشد الضالة إذا طلبها وتعرف مكانها . الخشف : ولد الغزال . أخضر نعت لمحذوف أي مكان أخضر

ولم يَقَعْ إلاّ عَلى بَطْنِ يـد فَلَمْ يَدَعْ للشّاعِرِ المُجَوَّد[1]
وَصْفاً لَهُ عندَ الأميرِ الأمْجَد المَلِكِ القَرْمِ أبي مُحَمَّد
ألقانِصِ الأبْطالَ بالمُهَنَّـدِ ذي النِّعَمِ الغُرْ البَوادي العُوَّدِ
إذا أرَدْتُ عَدّها لم تُعْدَدِ وإنْ ذكَرْتُ فَضْلَهُ لم يَنْفَد

لولا الملاحة لم أعجب

قال وقد استحسن عين باز في مجلسه

أيا ما أحَيْسِنَها مُقْلَـةً ولَوْلا المَلاحَةُ لم أعْجَبِ
خَلُوقِيّةٌ في خَلُوقيّها سُوَيداءُ من عِنَبِ الثّعلَبِ[2]
إذا نَظَرَ البازُ في عِطْفِهِ كَسَتْهُ شُعاعاً على المَنكِبِ

١ قوله بطن يد أي بطن يد الكلب

٢ الخلوقية نسبة إلى الخلوق وهو ضرب من الطيب أصفر اللون خلوقيها لونها وسويداء نعت لمحذوف أي حبة سوداء، يقول هي صفراء بلون الخلوق وفي وسطها حدقة سوداء كأنها الحبة الصغيرة من عنب الثعلب

قليل لك المديح الكثير

وعاتبه على تركه مديحه فقال

تَرْكُ مَدحيكَ كالهِجاءِ لنَفسِي ... وقَليلٌ لَكَ المَديحُ الكَثيرُ
غيرَ أنّي تَرَكْتُ مُقْتَضبَ الشّعْـ ... ـرِ لأمْرٍ مِثْلي به مَعْذُورُ[1]
وسَجاياكَ مادِحاتُكَ لا لَفْـ ... ـظي وجُودٌ على كَلامي يُغيرُ
فسَقَى اللهُ مَنْ أُحبُّ بكَفَّيْـ ... ـكَ وأسْقاكَ أيّهذا الأميرُ

وداع الروح للجسد

وقال يودعه

ما ذا الوَداعُ وَداعُ الوامِقِ الكَمِدِ ... هذا الوَداعُ وَداعُ الرّوحِ للجَسَدِ[2]
إذا السّحابُ زَفَتْهُ الرّيحُ مُرْتَفِعاً ... فَلا عَدا الرّمْلَةَ البَيضاء من بَلَدِ[3]
ويا فِراقَ الأميرِ الرّحْبِ مَنْزِلُهُ ... إنْ أنْتَ فارَقْتَنَا يَوْماً فلا تَعُدِ

١ مقتضب الشعر مرتجله
٢ الوامق المحب الكمد الشديد الحزن
٣ زفته : ساقته . الرملة بلدة الممدوح

فهل لك نعمى

قال وقد أهدى إليه سيف الدولة
ثياب ديباج ورعاً وفرساً معها وكان
المهر أحسن

ثِيَابُ كَرِيمٍ ما يَصُونُ حِسَانَهَا ... إذا نُشِرَتْ كانَ الهِباتُ صِوَانَهَا[1]
تُرِينَا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا ... وَتَجْلُو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيانَهَا[2]
وَلَم يَكْفِهَا تَصْوِيرُهَا الخَيْلَ وَحْدَهَا ... فَصَوَّرَتِ الأَشْيَاءَ إلاَّ زَمَانَهَا
وَمَا ادَّخَرَتْهَا قُدْرَةٌ فِي مُصَوَّرٍ ... سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا[3]
وَسَمْرَاءُ يَسْتَغْوِي الفَوَارِسَ قَدُّهَا ... وَيُذْكِرُهَا كَرَّاتِهَا وَطِعَانَهَا[4]
رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّتْ وَكَادَ نَبَاتُهَا ... يُرَكَّبُ فِيهَا زُجُّهَا وَسِنَانَهَا[5]
وَأَمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ ... رَأَى خَلْقَهَا مَنْ أَعْجَبَتْهُ فَعَانَهَا[6]

١ الصوان ما يصان فيه الشيء .
٢ الصناع: المرأة الحاذقة بالعمل، أي ناسجة هذه الثياب من نساء الروم نقشت عليها صور ملوكها وصورتها وصورة جواريها .
٣ يقول إن هذه المرأة لم تترك مما يقدر عليه المصور رسماً سوى أنها لم تنطق الحيوان المصور فيها .
٤ سمراء عطف على ثياب في البيت الأول . يستغوي يضل .
٥ ردينية ، نسبة إلى رديني امرأة كانت تقوم الرماح . الزج : حديدة تجعل في أسفل الرمح .
٦ أم عتيق عطف آخر على ثياب . العتيق الكريم من الخيل . عانها أصابها بعينه . وقوله خاله دون عمه أي أن أباه أكرم من أمه .

إذا سايَرَتْهُ بايَنَتْهُ وَبَانَهَا وَشانَتْهُ في عَينِ البَصيرِ وَزانَهَا[1]

فأينَ التي لا تأمَنُ الخَيلُ شَرَّهَا وَشَرِّيَ لا تُعْطي سِوايَ أمَانَهَا[2]

وأين التي لا تَرْجِعُ الرُّمْحَ خائِباً إذا خَفَضَتْ يُسرَى يَدَيَّ عِنانَهَا[3]

وَمَا لي ثَنَاءٌ لا أرَاكَ مَكَانَهُ فهَلْ لكَ نُعْمَى لا تَرَاني مكانَهَا[4]

١ سايرته : سارت معه . باينته تميزت عنه . بانها فضل عليها . شانته عابته زان ضد شان

٢ قوله فأين التي أي فأين الفرس التي

٣ العنان سير اللجام

٤ مكانه : مفعول ثان لأرى وكذا مكانها النعمى بمعنى النعمة

الخيل والليل والبيداءُ تعرفني

قال وقد جرى له خطاب مع قوم
متشاعرين وظُن الحيف عليه والتحامل

وَا حرّ قلْباهُ ممنْ قلْبُهُ شبِمُ ... وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سقَمُ[1]

ما لي أُكتِّمُ حُبّاً قدْ برَى جسَدي ... وَتدّعي حُبَّ سَيفِ الدّوْلةِ الأمَمُ[2]

إنْ كانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ ... فلَيْتَ أنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ[3]

قد زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقد نَظَرْتُ إلَيْهِ وَالسّيُوفُ دَمُ

فكانَ أحْسَنَ خَلقِ اللهِ كُلّهِمِ ... وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ

فَوْتُ العَدُوّ الذي يَمّمْتَهُ ظَفَرٌ ... في طَيّهِ أسَفٌ في طَيّهِ نِعَمُ[4]

قد نابَ عنكَ شديدُ الخوْفِ وَاصْطنعتْ ... لَكَ المَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ[5]

ألزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيسَ يَلزَمُها ... أنْ لا يُوارِيَهُمْ أرْضٌ وَلا عَلَمُ[6]

أكُلّمَا رُمْتَ جَيْشاً فانْثَنَى هَرَباً ... تَصَرّفَتْ بِكَ في آثَارِهِ الهِمَمُ

١ وا حر قلباه الألف للندبة ، والهاء للسكت . الشبم البارد

٢ يقول ما لي أخفي حبه الذي أنحل جسدي والناس يدعون حبه وهم على خلاف ما يظهرون .

٣ غرته طلعته ، وأن وصلتها سدت مسد معمولي ليت

٤ يعني أن فرار العدو الذي قصدته يعد ظفراً لك وضمن هذا الظفر أسف لأنك لم تدركه وفي هذا الأسف نعم لرجالك لحقن دمائهم

٥ البهم جمع بهمة أراد بها هنا الجيش .

٦ يقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما تواروا وهذا أمر لا يلزمك .

عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ في كلّ مُعْتَرَكٍ ... وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عارٌ إذا انهزَمُوا

أمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ ... تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللُّمَمُ

يا أعدَلَ النّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي ... فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً ... أن تحسبَ الشّحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ[1]

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ

سَيَعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا ... بأنّني خيرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي ... وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِه صَمَمُ

أنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيَخْتَصِمُ[2]

وَجاهِلٍ مَدّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي ... حَتّى أتَتْهُ يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ

إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً ... فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي من هَمّ صَاحِبِها ... أدرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ[3]

رِجلاهُ في الرّكضِ رِجلٌ وَاليدانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ وَالقَدَمُ

وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بينَ الجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حتى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ

ألخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني ... وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقِرْطاسُ وَالقَلَمُ

صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً ... حتى تَعَجّبَ مِي القُورُ وَالأكَمُ[4]

١ نظرات تمييز للضمير قبلها الشحم والورم مثل لما يتشابه ظاهره وتختلف حقيقته

٢ يقول أدرك شوارد الشعر بدون عناء وغيري من الشعراء يسهرون لتحصيلها ويتنازعون على ما يظفرون به منها لندرة وجوده عندهم

٣ المهجة: الروح وهي مجرورة برب مقدرة، ومهجتي مبتدأ، ومن متعلقة بالخبر المحذوف ، والجملة نعت مهجة ، وأدركتها جواب رب ، وجملة ظهره حرم مبتدأ وخبر وهي نعت جواد

٤ القور جمع قارة : الأرض التي حجارتها سوداء

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ ... وَجدانُنا كُلّ شيءٍ بَعدَكم عَدَمُ

مَا كانَ أخلَقَنَا مِنكُمْ بتَكرِمَةٍ ... لَوْ أنّ أمْرَكُمُ مِن أمرِنَا أمَمُ[1]

إنْ كانَ سَرّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا ... فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ ألَمُ

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعرِفَةٌ ... إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ

كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فيُعجِزُكم ... وَيَكْرَهُ اللهُ ما تَأتُونَ وَالكَرَمُ[2]

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ مِنْ شَرَفي ... أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ[3]

لَيْتَ الغَمَامَ الذي عِندي صَواعِقُهُ ... يُزيلُهُنّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدّيَمُ[4]

أرَى النّوَى يَقتَضيني كلّ مَرْحَلَةٍ ... لا تَستَقِلّ بها الوَخّادَةُ الرُّسُمُ[5]

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيراً عَنْ يَمينِنا ... لَيَحْدُثَنّ لِمَنْ وَدّعْتُهُمْ نَدَمُ[6]

إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا ... أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ

شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ بِهِ ... وَشَرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[7]

١ أمم قريب أي لو كان أمركم قريباً من أمرنا .

٢ أي وكرمكم يكره ذلك

٣ يقول إن العيب والنقصان بعيدان عني كبعد الشيب والهرم عن الثريا

٤ أراد بالغمام سيف الدولة وبالصواعق سخطه وبالأمطار بره يقول يا ليت الأذى الذي نالني من سيف الدولة والبر الذي نال غيري منه يتحولان من أحدنا إلى الآخر فينتصف الفريقان

٥ يقتضيني يكلفني الوخادة الناقة السريعة السير الرسم جمع رسوم التي تؤثر في الأرض بأخفافها

٦ ضمير جبل عن يمين الراحل من الشام إلى مصر

٧ يصم يعيب .

وَشَرُّ ما قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ والرَّخَمُ[1]
بأيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ تَجُوزُ عِندَكَ لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ[2]
هَذا عِتابُكَ إلاّ أنَّهُ مِقَةٌ قد ضُمِّنَ الدُّرَّ إلاّ أنَّهُ كَلِمُ[3]

اصغر من الهجاء

ولما أنشد هذه القصيدة وانصرف اضطرب المجلس وكان نبطي من كبراء كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال له دعني أسعى في ذمه ، فرخص له في ذلك وفيه يقول أبو الطيب

أسامَرِيُّ ضُحْكَةَ كُلِّ رَاءٍ فَطِنْتَ وكُنْتَ أغْبَى الأغْبِيَاءِ[4]
صَغُرْتَ عنِ المَديحِ فقلتَ أهجَى كأنَّكَ ما صَغُرْتَ عنِ الهِجاءِ
وَما فَكَّرْتُ قَبلَكَ في مُحالٍ وَلا جَرَّبْتُ سَيْفي في هَبَاءِ

١ الشهب جمع أشهب هو ما فيه بياض يخالطه سواد البزاة جمع باز من جوارح الطير الرخم طائر ضعيف
٢ الزعنفة الجماعة من الأوباش . تجوز من جواز الدرهم وهو رواجه .
٣ المقة المحبة ، والضمير من أنه كلم يعود إلى الدر
٤ سامري نسبة إلى سامرى وهو اسم بلد قرب بغداد. الضحكة بضم فسكون الذي يضحك منه . وقوله فطنت أي فطنت على غباوتك لمعنى الشعر الذي أنشدته .

التوبة تمحو الذنوب

قال فيما كان يجري بينهما من
معاتبة مستعتباً من القصيدة الميمية

ألا ما لسَيفِ الدَّوْلَةِ اليَوْمَ عَاتِبَا ... فَداهُ الوَرَى أمضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا
وما لي إذا ما اشتَقْتُ أبصَرْتُ دونَهُ ... تَنَائِفَ لا أشْتَاقُها وَسَبَاسِبَا[1]
وَقد كانَ يُدْنِي مَجلِسِي من سَمائِهِ ... أُحادِثُ فيها بَدْرَهَا وَالكَوَاكِبَا[2]
حَنَانَيْكَ مَسْؤولاً وَلَبَّيْكَ داعِياً ... وَحَسبِي مَوْهُوباً وحَسبُكَ وَاهِبَا[3]
أهذا جَزَاءُ الصِّدْقِ إنْ كنتُ صادقاً ... أهذا جَزَاءُ الكِذبِ إنْ كنتُ كاذِبَا
وَإنْ كانَ ذَنْبِي كلَّ ذَنْبٍ فإنَّهُ ... مَحَا الذَّنْبَ كلَّ المَحوِ مَن جاءَ تائِبَا

١ التنائف جمع تنوفة المفازة الواسعة . السباسب القفلوات .
٢ أراد بسمائه محله وبالبدر ذاته وبالكواكب ندماءه
٣ حنانيك كلمة استعطاف بمعنى تحنن بلفظ التثنية ويراد بها التكثير وكذا لبيك وهما مصدران منصوبان بعامل محذوف وجوباً حسبي خبر مبتدأه محذوف وكذا حسبك أي أنت حسبي وأنا حسبك والمنصوبات أحوال .

أنا الغريق فما خوفي من البلل

يمدحه لما رضي عنه

أجابَ دَمعي وما الدّاعي سوَى طَلَلِ ... دَعَا فَلَبّاهُ قَبلَ الرَّكبِ وَالإبِلِ[1]

ظَلِلْتُ بَينَ أَصَيْحابي أُكَفْكِفُهُ ... وَظَلّ يَسفَحُ بَينَ العُذْرِ وَالعَذَلِ[2]

أشكُو النّوَى ولهُمْ من عَبرَتي عجبٌ ... كذاكَ كنتُ وما أشكو سوَى الكِلَلِ[3]

وَمَا صَبابَةُ مُشْتاقٍ على أمَلٍ ... مِنَ اللّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بلا أمَلِ

متى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيارَتَهَا ... لا يُتْحِفُوكَ بغَيرِ البِيضِ وَالأسَلِ[4]

وَالهَجْرُ أقْتَلُ لي مِمّا أُراقِبُهُ ... أنَا الغَرِيقُ فَما خَوْفي منَ البَلَلِ

مَا بالُ كُلّ فُؤادٍ في عَشِيرَتِهَا ... بهِ الذي بي وَما بي غَيرُ مُنتَقِلِ

مُطاعَةُ اللّحْظِ في الألحاظِ مالِكَةٌ ... لِمُقْلَتَيْها عَظِيمُ المُلْكِ في المُقَلِ

تَشَبَّهُ الخَفِراتُ الآنِسَاتُ بهَا ... في مَشيِهَا فيَتَلَنَ الحُسنَ بالحِيَلِ[5]

قَدْ ذُقْتُ شِدّةَ أيّامي وَلَذّتَهَا ... فَمَا حَصَلتُ على صابٍ وَلا عَسَلِ[6]

١ يقول إن آثار دار الأحبة استدعت بكاءه فلبى بالدمع قبل سائر أصحابها وقبل الإبل .

٢ أكفكفه أدفعه وأمنعه يسفح يسيل بين عذرهم ولومهم

٣ الكلل جمع كلة ستر رقيق يعرف بالناموسية . يقول إني كنت كذلك حين كانت المحبوبة بقربي لا يحجبها عني سوى الستر فكيف الآن وقد حجبها عني البعد .

٤ يعني أن المحبوبة ممنعة بأسلحة قومها فالوصول إليها متعذر لأنه إذا زار قومها لا ينال منهم إلا السيوف والرماح

٥ الخفرات الحييات . الآنسات الطيبات النفوس .

٦ الصاب : شجر مر يقول : ذقت حلاوة الدهر ومرارته ثم انقضت الحالتان فكأني لم أذق منهما شيئاً .

وَقَد أراني الشّبابُ الرّوحَ في بَدَني ... وَقد أراني المَشيبُ الرّوحَ في بَدَلي[1]

وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الحَيّ مُرْتَدِياً ... بصاحِبٍ غَيرِ عِزْهاةٍ وَلا غَزِلِ[2]

فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدَفِّعُهُ ... ولَيسَ يَعلَمُ بالشّكوَى وَلا القُبُلِ[3]

ثُمّ اغْتَدَى وَبِهِ مِنْ دِرْعِهَا أَثَرٌ ... على ذُؤابَتِهِ وَالجَفْنِ وَالخِلَلِ[4]

لا أَكْسِبُ الذّكرَ إلاّ مِنْ مَضارِبِهِ ... أَوْ مِنْ سِنانٍ أَصَمّ الكَعْبِ مُعتَدِلِ[5]

جادَ الأميرُ بِهِ لي في مَوَاهِبِهِ ... فَزَانَهَا وَكَسَاني الدّرْعَ في الحُلَلِ

وَمِنْ عَلِيّ بنِ عَبْدِ اللهِ مَعْرِفَتِي ... بِحَمْلِهِ، مَنْ كَعَبدِ اللهِ أَوْ كَعَلِي

مُعطي الكواعِبِ وَالجُرْدِ السّلاهِبِ وَالـ ... ـبيضِ القَواضِبِ وَالعَسّالَةِ الذُّبُلِ[6]

ضاقَ الزّمانُ وَوَجهُ الأَرْضِ عن مَلِكٍ ... مِلءِ الزّمانِ ومِلءِ السّهْلِ وَالجَبَلِ

فَنَحنُ في جَذَلٍ والرّومُ في وَجَلٍ ... وَالبَرّ في شُغُلٍ والبَحرُ في خَجَلِ[7]

من تَغلِبَ الغالِبينَ النّاسِ مَنصِبُهُ ... وَمِن عَدِيّ أعادي الجُبنِ وَالبَخَلِ[8]

وَالمَدْحُ لابنِ أبي الهَيْجاءِ تُنجِدُهُ ... بالجاهليّةِ عَينُ العِيّ وَالخَطَلِ[9]

١ البدل الخلف .

٢ المراد بالصاحب السيف العزهاة الذي لا يرغب في النساء . الغزل الذي يحب محادثتهن

٣ التراقي أعلى عظام الصدر ، والضمير في البيت للسيف .

٤ اغتدى غدا أي ذهب غدوة . الدرع : الذي تلبسه المرأة . والمراد بذؤابة السيف حمالته . الجفن الغمد الخلل جمع خلة ما ينثني به الغمد .

٥ الأصم الصلب الكعب العقدة بين الأنبوبين

٦ الكواعب الجواري الشابات الجرد الخيل القصار الشعر السلاهب الطويلة على وجه الأرض العسالة الرماح الذبل جمع ذابل وصف الرماح .

٧ البحر في خجل أي من جود يديه ، يريد أنه أجود من البحر .

٨ المنصب الأصل . تغلب قبيلة الممدوح . وعدي رهطه .

٩ قال الواحدي : إن في هذا البيت تعريضاً بالشاعر النامي الذي ذكر في مدحه له آباءه في الجاهلية .

لَيْتَ المَدائحَ تَسْتَوْفي مَنَاقِبَهُ ... فَما كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ

خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ ... في طَلْعَةِ البَدرِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ[1]

وَقد وَجدتَ مكانَ القَوْلِ ذا سَعَةٍ ... فإنْ وَجَدْتَ لِساناً قائِلاً فَقُلِ[2]

إنّ الهُمَامَ الذي فَخْرُ الأنَامِ بِهِ ... خيرُ السّيوفِ بكَفّيْ خيرَةِ الدّوَلِ[3]

تُمسي الأمانيُّ صَرْعَى دونَ مَبْلَغِه ... فَمَا يَقُولُ لشيءٍ لَيْتَ ذلكَ لي

أنْظُرْ إذا اجتَمَعَ السّيْفانِ في رَهَجٍ ... إلى اختِلافِهِمَا في الخَلْقِ وَالعَمَلِ[4]

هذا المُعَدّ لرَيْبِ الدّهْرِ مُنْصَلِتاً ... أعَدّ هذا لرَأسِ الفارِسِ البَطَلِ[5]

فالعُرْبُ منهُ معَ الكُدْرِيّ طائِرَةٌ ... وَالرّومُ طائِرَةٌ منهُ مَعَ الحَجَلِ[6]

وَمَا الفِرارُ إلى الأجْبالِ مِنْ أسَدٍ ... تَمشي النّعَامُ به في معقِلِ الوَعِلِ[7]

جازَ الدّروبَ إلى ما خَلْفَ خَرْشَنَةٍ ... وَزَالَ عَنْها وذاكَ الرّوْعُ لم يَزُلِ[8]

١ يقول امدحه بما تراه واترك ما سمعت به من شرف أجداده
يقول إنك وجدت من مآثر الممدوح مكاناً واسعاً للقول فإن كنت قادراً على وصف تلك المآثر فافعل

٣ المراد بخيرة الدول دولة الخليفة .

٤ الرهج الغبار . وأراد بالسيفين سيف الدولة وسيف الحديد .

٥ الإشارة بالأول لسيف الدولة وبالثاني لسيف الحديد

٦ الكدري ضرب من القطا يوجد في السهول ، والحجل من طيور الجبل . والعرب بلادها السهول والروم بلادها الجبال . أي أن كل فريق يفر منه مع طائر أرضه .

٧ ما استفهام للتنبيه على الباطل . المراد بالأسد سيف الدولة ، وبالنعام خيله . الوعل تيس الجبل. معقله الموضع الذي يمتنع فيه في رؤوس الجبال . أي أن فرار الروم إلى الجبال لا ينفعهم ووراءهم هذا الأسد

٨ خرشنة : بلد . أي أنه فارق الروم وخوفه لم يفارق قلوبهم .

فكُلّما حلَمَتْ عذراءُ عِندَهُمُ ... فإنّمَا حلَمَتْ بالسّبيِ وَالجَمَلِ[1]

إن كنتَ تَرْضَى بأنْ يعطوا الجِزَى بذلوا ... منها رِضاكَ وَمن للعُورِ بالحَوَلِ[2]

قادَيتُ مَجدَكَ في شعري وَقد صَدَرَا ... يا غَيرَ مُنتَحَلٍ في غيرِ مُنتَحَلِ[3]

بالشّرْقِ وَالغَرْبِ أقْوامٌ نُحيّبهُمُ ... فَطالِعاهُمْ وَكُونَا أبْلَغَ الرّسُلِ[4]

وَعَرّفَاهُمْ بأنّي في مَكارِمِهِ ... أُقَلّبُ الطَّرْفَ بَينَ الخيلِ وَالحوَلِ

يا أيّها المُحسِنُ المَشكورُ من جهتي ... وَالشكرُ من قِبَلِ الإحسانِ لا قِبَلي[5]

ما كانَ نَوْميَ إلاّ فَوْقَ مَعْرِفَتي ... بأنّ رَأيَكَ لا يُؤتَى مِنَ الزّلَلِ

أقِلْ أنِلْ أقطعِ احملْ علّ سلّ أعدْ ... زِدْ هشّ بشّ تفضّلْ أدنِ سُرّ صِلِ[6]

لَعَلّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... فرُبّمَا صَحّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ

وَمَا سَمِعْتُ وَلا غَيري بمُقْتَدِرٍ ... أذَبّ مِنكَ لزُورِ القَوْلِ عن رَجُلِ[7]

١ حلمت أي رأت في نومها أنها مسبية محمولة على جمل . أي أن خوفه لا يفارقهم حتى في النوم .

٢ الجزى جمع جزية ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبته . والعور والحول مثل للبليتين تختار الصغرى منهما على الكبرى .

٣ المنتحل المدعى عليه باطلا . وقوله وقد صدرا أي المجد والشعر عنك وعني ، وأراد أن المجد غير منتحل موصوف بشعر غير منتحل .

٤ طالعه بالأمر عرضه عليه يقول لشعره ومجد الممدوح أنتما سائران في الأرض شرقاً وغرباً ولنا فيهما ناس نحبهم فطالعاهم في أمرنا وبلغاهم رسالتي ، وهي ما ذكره في البيت الثاني .

٥ أي والشكر من قبل إحسانك لي فلا فضل لي به

٦ أقاله عثرته ، أي سقطته رفعه منها أنل أعط . أقطعه أرض كذا إذا جعل له غلتها رزقاً احمل أي على فرس ونحوها على ارفع منزلتي سل أي اذهب عني غمي وأعدني إلى ما كنت عليه من حسن رأيك وزدني من إحسانك هش لي وبش بي الهشاشة التبسم والبشاشة طلاقة الوجه . أدن قرب سر من السرور . صل من الصلة وهي العطية .

٧ أذب تفضيل من الذب الدفع عن الشيء .

لأنَ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ ... ليسَ التكحّلُ في العَينَينِ كالكَحَلِ[1]

وَمَا ثَنَاكَ كَلامُ النّاسِ عَنْ كَرَمٍ ... وَمَنْ يَسُدّ طَرِيقَ العارِضِ المطِلِ[2]

أنتَ الجَوادُ بِلا مَنٍّ وَلا كَدَرٍ ... وَلا مِطالٍ وَلا وَعْدٍ وَلا مَذَلِ[3]

أنتَ الشّجاعُ إذا ما لم يَطأ فَرَسٌ ... غَيرَ السَّنَوَرِ وَالأشلاءِ وَالقُلَلِ[4]

وَرَدَّ بَعضُ القَنَا بَعضاً مُقارَعَةً ... كأنّها مِنْ نُفُوسِ القَوْمِ في جَدَلِ[5]

لا زِلْتَ تضرِبُ من عاداكَ عن عُرُضٍ ... بعاجِلِ النّصرِ في مُستأخِرِ الأجَلِ[6]

١ الكحل سواد الجفون خلقة

٢ ثناك ردك

٣ المن تكدير الصنيعة بتعدادها كأن تقول أعطيتك كذا وفعلت لك كذا المطال التسويف بالوعد المذل الضجر

٤ السنور لباس من جلد كالدرع

٥ الجدل شدة الخصومة

٦ عن عرض أي كيفما اتفق .

شعر ملك

وقال وقد استحسنت هذه القصيدة

إنّ هـذا الشّعرَ في الشّعْرِ مَلَكْ سارَ فهوَ الشّمْسُ وَالدّنيا فَلَكْ
عَدَلَ الرّحْمَنُ فيـهِ بَيْنَنَا فَقَنَعْنَى باللّفْظِ لي وَالحَمْدِ لكْ
فَإذا مَـرّ بِأُذْنَيْ حَـاسِدٍ صارَ مِمّنْ كانَ حَيّاً فَهَلَكْ

سألت الله فيك

وقال وقد سئل بيتاً يتضمن أكثر
ما يمكن من الحروف

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ جُدْ قُـدْ مُرِ انْهَ اُسْرُ فُهْ تُسَلْ
غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ أُسْبِ رُعْ زَعْ دِ لِ اثْنِ نَلْ[1]
وَهذا دُعاءٌ لَوْ سكَتُّ كُفِيتَهُ لأنّي سألْتُ اللهَ فيكَ وَقَدْ فَعَلْ

---

١ اسر من السرو المروءة في سخاء . صب من صاب السهم لغة في أصاب . رع افزع . زع كف . د من الدية أي تحمل الدية عمن تجب عليه . ل من الولاية . اثن : رد

لا تَشِنه بالنضار

وقال وقد عرض على الأمير سيوف فيها واحد غير مذهب فأمر بإذهابه

أحسَنُ ما يُخْضَبُ الحَديدُ بهِ ... وَخَاضِبَيْهِ النَّجيعُ وَالغَضَبُ
فَلا تَشِينَنْهُ بالنُّضارِ فَمَا ... يَجْتَمِعُ المَاءُ فيهِ وَالذَّهَبُ

وصفت لنا سلاحاً

ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحاً كان بين يديه فرفع فقال

وَصَفْتَ لَنَا ، وَلَم نَرَهُ ، سِلاحاً ... كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزالِ
وَأَنَّ البَيْضَ صُفَّ عَلَى دُرُوعٍ ... فَشَوَّقَ مَنْ رَآهُ إلى القِتَالِ[1]
وَلَوْ أَطْفَأْتَ نَارَكَ تا لَدَيْهِ ... قَرَأْتَ الخَطَّ في سُودِ اللَّيَالي
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ حَافَتَيْهِ ... لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالاً لِحَالِ
إنِ اسْتَحْسَنْتَ وَهْوَ على بِساطٍ ... فأحسَنُ ما يكُونُ عَلَى الرِّجالِ[2]

١ البيض ما يلبس على الرأس من حديد .
٢ يقول إن استحسنت هذا السلاح وهو على البساط فأعمالـه في الحرب وهو على الرجال أحسن من ذلك .

كل شيء فيه طيب

وحضر مجلس سيف الدولة وبين يديه اترج وطلع وهو يمتحن الفرسان وعنده ابن حبش شيخ المصيصة فقال له لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب

شَديدُ البُعدِ من شرْبِ الشَّمولِ ... تُرُنْجُ الهِنْدِ أوْ طَلْعُ النَّخيلِ[1]
وَلكِنْ كُلّ شيءٍ فيهِ طِيبٌ ... لَدَيْكَ مِنَ الدَّقيقِ إلى الجَليلِ
وَمَيْدانُ الفَصاحَةِ وَالقَوافي ... وَمُمْتَحَنُ الفَوارِسِ وَالخُيولِ

أيحتاج النهار الى دليل ؟

فلم يتبين معنى البيت الأول لقوم فقال

أتَيْتُ بِمَنْطِقِ العَرَبِ الأصيلِ ... وَكانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلي
فَعارَضَهُ كَلامٌ كانَ مِنْهُ ... بِمَنْزِلَةِ النِّساءِ مِنَ البُعُولِ
وَهذا الدُّرُّ مَأمُونُ التَّشَظّي ... وَأنْتَ السَّيْفُ مأمُونُ الفُلُولِ[2]
وَلَيس يَصِحّ في الأفهامِ شيءٌ ... إذا احتَاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ

١ الشمول الخمر ، وأراد شربك الشمول فحذف الضمير . الترنج : لغة في الأترج ثمر شجر بستاني من جنس الليمون . الطلع شيء يخرج في النخل كأنه نعلان مطبقتان .

٢ التشظي التفرق . الفلول جمع فل : الثلمة في حد السيف .

زرت العداة بآجالها

ودخل عليه في ذي القعدة سنة
إحدى وأربعين وثلاث مئة (٩٥٢ م)
وقد جلس لرسول ملك الروم وهو
قد ورد يلتمس الفداء وركب الغلمان
بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة
ومعها ثلاثة أشبال أحياء وألقوها
بين يديه فقال أبو الطيب ارتجالا

لَمَيتَ العُفَـاةَ بآمالِها وَزُرْتَ العُداةَ بآجالِهَا[1]
وَأقْبَلَتِ الرّومُ تَمشِي إلَيْـ ـكَ بَينَ اللّيُوثِ وَأشبالِهَا[2]
إذا رَأتِ الأُسْدَ مَسْبِيّةً فأين تَفِرُّ بأطْفالِهَا

١ العفاة ، جمع عاف وهـو الطالب المعروف . الآجال ، جمع أجل وهو غاية الوقت في الموت
٢ الليوث الأسود ، وأشبالها أولادها

أراه غباري ثم قال له الحق

وقال بعد ذلك إنشاداً

لعَيْنَيْكِ ما يَلقَى الفُؤادُ وَمَا لَقي ... وللحُبِّ ما لم يَبقَ منّي وما بَقي

وَما كنتُ ممّنْ يَدْخُلُ العِشْقُ قلبَه ... وَلكِنّ مَن يُبصِرْ جفونَكِ يَعشَقِ[1]

وَبينَ الرِّضَى وَالسُّخطِ وَالقُرْبِ وَالنَّوَى ... مَجَالٌ لِدَمْعِ المُقْلَتِه المُتَرَقرِقِ

وَأحلى الهَوَى ما شكّ في الوَصْلِ رَبُّهُ ... وَفي الهجرِ فهوَ الدّهرَ يَرْجو وَيَتّقي

وَغضْبَى من الإدلالِ سكرَى من الصِّبى ... شَفَعْتُ إليها مِنْ شَبَابي بِرَيِّقِ

وَأشنَبَ مَعْسُولِ الثّنِيّاتِ وَاضِحٍ ... سَتَرْتُ فَمي عَنهُ فَقَبّلَ مَفْرِقي[2]

وَأجيادِ غِزْلانٍ كجيدِكَ زُرْنَني ... فَلَمْ أتَبَيّنْ عاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ[3]

وَما كلّ مَن يهوَى يَعِفّ إذا خَلا ... عَفَافي وَيُرْضي الحُبّ وَالخَيلُ تلتقي

سَقَى اللهُ أيّامَ الصِّبَى ما يَسُرّهَا ... وَيَفْعَلُ فِعْلَ البَابِلِيّ المُعَتَّقِ[4]

إذا ما لَبِسْتَ الدّهْرَ مُستَمتِعاً بِهِ ... تَخَرّقْتَ وَالمَلْبُوسُ لم يَتَخَرّقِ[5]

وَلَم أرَ كالألحاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ ... بَعَثْنَ بكلّ القتل من كلّ مُسْتَقِ[6]

١ قوله لكن أراد لكنه فحذف الضمير ، وجزم يبصر على جعل من اسم شرط

٢ أشنب معطوف على غضبى بارد الأسنان . الثنيات الأسنان التي في مقدم الفم .

٣ العاطل : الذي لا حلي عليه . المطوق من في عنقه طوق .

٤ البابلي المنسوب إلى بابل يريد به الخمر .

٥ يعني أنك إذا استبشعت بالدهر أي لبسته كالمتاع أفنيته وبقي على جدته .

٦ الكاف من كالألحاظ : اسم بمعنى مثل . يقول كانوا يلحظوننا يوم الرحيل لحظاً يوجع القلوب من شدة الأسف على فراقنا ، وكان لحظهم هذا يبعث علينا بالقتل حال كونهم لا يريدون قتلنا

أدَرْنَ عُيُوناً حائِراتٍ كأنّهَا مُرَكَّبَةٌ أحْداقُهَا فَوْقَ زِئْبِقِ
عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النّظَرِ البُكَا وَعن لذّةِ التّوْدِيعِ خوْفُ التّفَرّقِ
نُوَدّعُهُمْ وَالبَيْنُ فينَا كأنّهُ قَنَا ابنِ أبي الهَيْجاءِ في قلبِ فَيلَقِ
قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسجُ داوُدَ عندَها إذا وَقَعَتْ فيهِ كنَسْجِ الخدَرْنَقِ[1]
هَوَادٍ لأمْلاكِ الجُيُوشِ كأنّهَا تَخَيَّرُ أرْوَاحَ الكُمَاةِ وتَنْتَقِي[2]
تَقُدّ عَلَيْهِمْ كلَّ دِرْعٍ وَجَوْشنٍ وَتَفري إليهِمْ كلَّ سورٍ وَخَندَقِ[3]
يُعِيرُ بهَا بَينَ اللُّقَّانِ وَوَاسِطٍ وَيَرْكُزُهَا بَينَ الفُراتِ وَجِلّقِ[4]
وَيَرْجِعُهَا حُمْراً كأنّ صَحيحَهَا يُبَكّي دَماً مِنْ رَحمَةِ المُتَدَقّقِ[5]
فَلا تُبْلِغَاهُ ما أقُولُ فإنّهُ شُجاعٌ متى يُذكَرْ لهُ الطّعنُ يشتقِ
ضَرُوبٌ بأطرافِ السّيُوفِ بَنانُهُ لَعُوبٌ بأطْرافِ الكَلامِ المُشَقّقِ[6]
كسَائِلِهِ مَنْ يَسألُ الغَيثَ قَطرَةً كعاذِلِهِ مَنْ قالَ للفَلَكِ ارْفُقِ
لقد جُدْتَ حتى جُدْتَ في كلّ مِلّةٍ وحتى أتاكَ الحَمدُ من كلّ مَنطِقِ
رَأى مَلِكُ الرّومِ ارْتياحَكَ للنّدَى فَقَامَ مَقَامَ المُجْتَدي المُتَمَلّقِ[7]

١ قواض قواتل، والضمير للقنا مواض نوافذ والمراد بنسج داود الدروع الخدرنق العنكبوت أي إذا وقعت في درع الأبطال خرقتها كما تخرق نسج العنكبوت .
٢ هواد جمع هادية من هداه أي أرشده تخير أي تتخير الأملاك الملوك .
٣ الجوشن الدرع تفري تقطع . الخندق الحفير حول أسوار المدن
٤ اللقان بلد بالروم واسط بلد بالعراق . جلق اسم دمشق أو غوطتها .
٥ المتدقق المتكسر ، أي كان الصحيح من الرماح يبكي على المتكسر منها في صدور الفرسان
٦ المشقق المخرج أحسن مخرج ، أي أنه شجاع فصيح
٧ الارتياح النشاط . المجتدي الطالب الجدوى أي العطية . المتملق المتودد

وَخَلّى الرّماحَ السّمْهَرِيّةَ صاغِراً ... لأدْرَبَ منهُ بالطّعانِ وَأحْذَقِ[1]

وكاتَبَ مِن أرْضٍ بَعيدٍ مَرامُهَا ... قَريبٍ على خَيْلٍ حَوَالَيكَ سُبَّقِ

وَقَد سارَ في مَسراكَ مِنها رَسُولُهُ ... فَمَا سارَ إلاّ فَوْقَ هامٍ مُفَلَّقِ

فَلَمّا دَنَا أخْفَى عَلَيْهِ مَكانَهُ ... شُعَاعُ الحَديدِ البارِقِ المُتَأَلِّقِ

وَأقْبَلَ يَمشِي في البِساطِ فَما درَى ... إلى البَحرِ يَسعى أمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي

وَلَمْ يَثْنِكَ الأعْداءُ عَنْ مُهَجاتِهِمْ ... بِمِثْلِ خُضُوعٍ في كَلامٍ مُنَمَّقِ

وَكُنْتَ إذا كاتَبْتَهُ قَبْلَ هذهِ ... كَتَبْتَ إلَيْهِ في قَذالِ الدّمُسْتَقِ[2]

فإنْ تُعْطِهِ مِنْكَ الأمانَ فَسائِلٌ ... وَإنْ تُعْطِهِ حَدَّ الحُسامِ فأخلِقِ

وَهَلْ تَرَكَ البِيضُ الصّوارِمُ منهُمُ ... حَبِيساً لِفَادٍ أوْ رَقيقاً لمُعْتِقِ

لَقَد وَرَدوا وِرْدَ القَطَا شَفَراتِهَا ... وَمَرّوا عَلَيْها رَزْدَقاً بعدَ رَزْدَقِ[3]

بَلَغْتُ بسَيْفِ الدّوْلَةِ النّورِ رُتْبَةً ... أنَرْتُ بها مَا بَينَ غَرْبٍ وَمَشرِقِ

إذا شاءَ أنْ يَلْهُو بلِحيَةِ أحْمَقٍ ... أراهُ غُبَارِي ثُمّ قالَ لَهُ الحَقِ

وَما كَمَدُ الحُسّادِ شيءٌ قَصَدْتُهُ ... وَلَكِنّهُ مَن يَزْحَمِ البَحر يَغرَقِ

وَيَمْتَحِنُ النّاس الأميرُ برَأيِهِ ... وَيُغضِي على عِلْمٍ بكُلّ ممَخرِقِ[4]

وَإطراقُ طَرْفِ العَينِ لَيس بنافِعٍ ... إذا كانَ طَرْفُ القلبِ ليس بمطرِقِ

١ السمهرية المنسوبة إلى سمهر وهو رجل كان يقوم الرماح الصاغر: الذليل وأدرب تفضيل من الدربة العادة والجرأة على الأمر

٢ القذال مؤخر الرأس الدمستق القائد من قواد الروم

٣ الورد الذهاب إلى الماء الرزدق الصف ، أي مروا على شفار السيوف صفاً بعد صف

٤ يغضي من الإغضاء : السكوت والإمساك عن الشيء عفواً . الممخرق : المموه والكاذب .

فيا أيّها المَطلوبُ جاوِرْهُ تَمْتَنِعْ ... وَيا أيّهَا المَحْرُومُ يَمّمْهُ تُرْزَقِ[1]

وَيا أجبنَ الفُرْسانِ صاحِبْهُ تَجْرَءِ ... ويا أشجَعَ الشجعانِ فارِقْهُ تَفْرَقِ

إذا سَعَتِ الأعْداءُ في كَيْدِ مَجْدِهِ ... سعى جَدُّهُ في كيدهم سعيَ مُحْنَنَقِ[2]

وَما يَنصُرُ الفضْلُ المُبينُ على العدَى ... إذا لم يكُنْ فضْلَ السّعيدِ المُوَفَّقِ

خيرهم أكثرهم فضائل

وجرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال سيف الدولة ما تقول في هذا يا أبا الطيب ؟ فقال

إنْ كنتَ عَنْ خَيرِ الأنَامِ سَائِلا ... فَخَيْرُهُمْ أكثَرُهُمْ فَضائِلا

مَن كنتَ مِنهمْ يا هُمامَ وَائِلا ... ألطّاعِنِينَ في الوَغَى أوَائِلا[3]

وَالعاذِلِينَ في النّدَى العَواذِلا ... قد فَضَلَوا بفَضْلِكَ القَبَائِلا

١ تمتنع : أي تصر في منعة .

٢ المد : المحنق : المغضب

٣ من مبتدأ خبره قد فضلوا في البيت التالي وائل أبو قبيلة الممدوح ومنع صرفه لأنه جعله اسماً للقبيلة .

كريمَ الكرام

أرسل شاعر إلى الأمير أبياتاً يذكر فيها فقره ويزعم أنه رآها في النوم ، فقال أبو الطيب :

قد سَمِعْنَا ما قُلْتَ في الأحْلامِ ... وَأَنَنْنَاكَ بَدْرَةً في المَنَامِ[1]

وَانْتَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بلا شَيْـ ... ـءٍ فكانَ النَّوَالُ قَدْرَ الكَلامِ

كُنتَ فيما كَتَبْتَهُ نَائِمَ العَيْـ ... ـنِ فَهَلْ كنتَ نائِمَ الأَقْلامِ

أَيُّهَا المُشْتَكي إذا رَقَدَ الإعْـ ... ـدامَ هَلْ رَقْدَةٌ مَعَ الإعْدامِ[2]

إفتَحِ الجفنَ وَاترُكِ القولَ في النَّوْ ... مِ وَمَيِّزْ خِطابَ سَيْفِ الأَنَامِ

ألَّذي لَيسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلا مِنْـ ... ـهُ بَدِيلٌ وَلا لِمَا رامَ حَامِ

كُلُّ آبَائِهِ كِرامُ بَنِي الدَّنْـ ... ـيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمُ الكِرامِ

١ البدرة عشرة آلاف درهم .

٢ الإعدام الفقر وهو مفعول المشتكي أي أيها المشتكي الإعدام إذا رقد هل الخ .

لا تعذل المشتاق في اشواقه

وأمره بإجازة أبيات فقال

أَلقَلْبُ أعلَمُ يا عَذُولُ بدائِهِ ... وَأحَقُّ مِنْك بجَفْنِهِ وبِمَائِهِ

فَوَمَنْ أُحِبّ لأعْصِيَنّكَ في الهوَى ... قَسَماً بِهِ وَبحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ

أأُحِبّـهُ وَأحِبّ فيهِ مَلامَـةً ؟ ... إنّ المَلامَةَ فيهِ من أعْدائِهِ

عَجِبَ الوُشاةُ منَ اللُّحاةِ وَقَوْلهم ... دَعْ ما نَراكَ ضَعُفْتَ عن إخفائِهِ

ما الخِلّ إلاّ مَنْ أوَدُّ بِقَلْبِهِ ... وَأرَى بطَرْفٍ لا يَرَى بسَوَائِهِ

إنّ المُعِينَ عَلى الصّبَابَةِ بالأسَى ... أوْلى برَحْمَةِ رَبّهَـا وَإخائِهِ

مَهْلاً فإنّ العَذْلَ مِنْ أسْقَامِهِ ... وَتَرَفّقاً فالسّمْعُ مِنْ أعْضائِهِ

وَهَبِ المَلامَةَ في اللّذاذَةِ كالكَرَى ... مَطْرُودَةً بسُهادِهِ وَبُكَائِهِ

لا تَعْذُلِ المُشْتَاقَ في أشْوَاقِهِ ... حَتى يَكونَ حَشَاكَ في أحْشَائِهِ

إنّ القَتِيلَ مُضَرَّجاً بدُمُوعِـهِ ... مِثْلُ القَتِيلِ مُضَرَّجاً بدِمائِهِ

وَالعِشْقُ كالمَعشُوقِ يَعذُبُ قُرْبُهُ ... للمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ[1]

لَوْ قُلْتَ للدّنِفِ الحَزِينِ فَدَيْتُهُ ... مِمّا بِهِ لأغَرْتَـهُ بِفِدائِهِ[2]

وُقِيَ الأميرُ هَوَى العُيُونِ فإنّهُ ... مَا لا يَزُولُ ببَأسِهِ وسَخَائِهِ[3]

١ الحوباء الروح

٢ الدنف ذو المرض الثقيل الملازم أغرته حملته على الغيرة أي لو قلت له يا ليت ما بك من السقم بي لأخذته الغيرة من هذا القول لأنه لا يحب مفارقة العشق ولو أسقمه

٣ وقي حفظ ، وهو دعاء للممدوح بالسلامة من الهوى لأنه غالب لا يرد ومالك لا يدفع .

يَسْتَأْسِرُ البَطَلَ الكَمِيَّ بنَظْرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤادِهِ وَعَزائِهِ[1]
إنّي دَعَوْتُكَ للنّوائِبِ دَعْوَةً لم يُدْعَ سامِعُهَا إلى أكْفائِهِ
فأتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزّمانِ وَتَحْتِهِ مُتَصَلْصِلاً وَأمَامِهِ وَوَرائِهِ[2]
مَنْ للسّيُوفِ بأنْ يكونَ سَمِيُّهَا في أصْلِهِ وَفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ[3]
طُبِعَ الحَدِيدُ فكانَ مِنْ أجْنَاسِهِ وَعَلِيٌّ المَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ[4]

١ قوله وعزائه أي أنه لا يترك لتعزية الفؤاد سبيلا
٢ متصلصلا مصوتاً
٣ يقال من لي بكذا أي من يكفل لي به ونحوه
٤ طبع السيف : ضربه ، يعني أن كل شيء ينزع إلى أصله .

كفى بك داءً

فارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكاتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخل له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاث مئة (٩٥٧ م)

كفى بكَ داءً أنْ ترَى الموْتَ شَافِيَا ... وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يكُنَّ أمانِيَا[1]

تَمَنَّيْتَهَا لمَّا تَمَنَّيْتَ أنْ ترَى ... صَدِيقاً فأعْيَا أوْ عَدُوّاً مُداجِيَا[2]

إذا كنتَ تَرْضَى أنْ تَعِيشَ بذِلَّةٍ ... فَلا تَسْتَعِدَنَّ الحُسامَ اليَمَانِيَا[3]

وَلا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّماحَ لِغَارَةٍ ... وَلا تَسْتَجِيدَنَّ العِتاقَ المَذاكِيَا[4]

فما يَنْفَعُ الأُسْدَ الحَيَاءُ من الطَّوَى ... وَلا تُتَّقَى حتّى تكونَ ضَوَارِيَا[5]

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ من نأى ... وَقد كانَ غَدّاراً فكُنْ أنتَ وَافِيَا[6]

١ كفى بك كفاك والباء زائدة وداء تمييز وان ترى فاعل كفى . الأماني جمع أمنية ما يتمناه الإنسان ، وأن يكن خبر عن حسب ، والخطاب لنفسه .

٢ الضمير من تمنيتها المنايا . أعياه الأمر : أعجزه . المداجي : المداري والمساتر المعاودة

٣ استعده اتخذه عدة له

٤ الاستطالة والاستجادة اختيار الطويل والجيد . المذاكي التي تمت أسنانها .

٥ الطوى الجوع ، والجار متعلق بينفع .

٦ يقول لقلبه : إني قد أحببتك قبل أن تحب سيف الدولة وهو قد غدر بي فلا تغدر أنت . أي لا تقم على حبه ، وإلا فلست بوافٍ لي .

وَأعْلَمُ أنّ البَينَ يُشكيكَ بَعْدَهُ ... فَلَسْتَ فُؤادي إنْ رَأيْتُكَ شَاكِيَا[1]

فإنّ دُمُوعَ العَينِ غُدْرٌ بِرَبّهَا ... إذا كُنّ إثْرَ الغَادِرِين جَوَارِيَا[2]

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصاً من الأذَى ... فَلا الحَمدُ مكسوباً وَلا المالُ باقِيَا[3]

وَللنّفْسِ أخْلاقٌ تَدُلّ على الفَتَى ... أكانَ سَخاءً ما أتَى أمْ تَسَاخِيَا[4]

أقِلّ اشتِياقاً أيّهَا القَلْبُ رُبّمَا ... رَأيْتُكَ تُصْفِي الوُدّ من ليسَ صافِيَا[5]

خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَجعتُ إلى الصِّبَى ... لَفارَقتُ شَيبي مُوجَعَ القلبِ باكِيَا[6]

وَلَكِنّ بالفُسْطاطِ بَحْراً أزَرْتُهُ ... حَيَاني وَنُصْحي وَالهَوَى وَالقَوَافِيَا[7]

وَجُرْداً مَدَدْنَا بَينَ آذانِهَا القَنَا ... فَبِتْنَ خِفَافاً يَتْبَعْنَ العَوَالِيَا

تَمَاشَى بأيْدٍ كُلّمَا وَافَتِ الصَّفَا ... نَقَشْنَ بهِ صَدرَ البُزَاةِ حَوَافِيَا[8]

وَتَنْظُرُ من سُودٍ صَوَادِقَ في الدجى ... يَرَيْنَ بَعِيداتِ الشّخُوصِ كما هِيَا

١ يشكيك يحملك على الشكوى

٢ غدر جمع غدور . ربها صاحبها . أي إذا جرت الدموع على فراق الغادر كانت غادرة بصاحبها .

٣ يعني إذا كدر الجود بالمن بطل الحمد عليه ولم يبق المال فيفقدان كلاهما

٤ أتى فعل . التساخي تكلف السخاء

٥ تصفي تخلص

٦ الألوف الكثير الألفة يقول خلقت شديد الألفة فلو فارقت شيبي ورجعت إلى الصبى لبكيت عليه أي على الشيب لإلفي إياه

٧ الفسطاط اسم مدينة مصر ، وأراد بالبحر كافوراً الممدوح

٨ تماشى أي تتماشى الصفا الصخر . يقول هذه الخيل كلما وطئت صخراً نقشت حوافرها فيه أثراً مثل صدور البزاة ، وجعلها حوافي مبالغة في وصف حوافرها بالصلابة حتى تؤثر بالصخر وهي بدون نعال

وَتَنْصِبُ لِلجَرْسِ الخَفِيِّ سَوَامِعاً ... يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا[1]

تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً ... كَأَنَّ عَلَى الأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا[2]

بِعَزْمٍ يَسِيرُ الجِسْمُ فِي السَّرْجِ رَاكِباً ... بِهِ وَيَسِيرُ القَلْبُ فِي الجِسْمِ مَاشِيَا[3]

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا[4]

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ ... وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا[5]

نَجُوزُ عَلَيْهَا المُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي ... نَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالأَيَادِيَا[6]

فَتًى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا ... إِلَى عَصْرِهِ إِلاَّ نُرَجِّي التَّلاَقِيَا

تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ المَكَارِمِ قَدْرُهُ ... فَمَا يَفْعَلُ الفَعَلاَتِ إِلاَّ عَذَارِيَا[7]

يُبِيدُ عِدَاوَاتِ البُغَاةِ بِلُطْفِهِ ... فَإِنْ لَمْ تَبِدْ مِنْهُمْ أَبَادَ الأَعَادِيَا[8]

أَبَا المِسْكِ ذَا الوَجْهُ الَّذِي كُنْتُ تَائِقاً ... إِلَيْهِ وَذَا اليَوْمُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيَا[9]

١ الجرس الصوت السوامع الآذان . يخلن يحسبن المناجاة الحديث الخفي التنادي أي ينادي بعض القوم بعضاً

٢ الأعنة سيور اللجم يصف هذه الخيل بالقوة وأنها تجاذب فرسانها أعنتها

٣ بعزم متعلق بمحذوف أي سرنا بعزم ، وضمير به للعزم

٤ قواصد حال من الخيل والمراد أربابها

٥ إنسان العين المثال الذي يرى في سوادها أراد به السواد نفسه المآقي جمع مأق طرف العين عند ملتقى الجفنين ، شبه بإنسان العين وشبه غيره من الملوك بما وراء ذلك من البياض والمآقي

٦ ضمير عليها للخيل . يقول تتخطى عليها الذين أنعموا علينا إلى الذين ينعم عليهم .

٧ العون جمع عوان التي كان لها زوج . أي أن مكارمه مبتكرة لا يفعل منها شيئاً سبق إليه .

٨ البغاة المعتدون

٩ أبو المسك كنية كافور لسواده

لَقِيتُ المَرْوَرَى وَالشَّنَاخِيبَ دُونَهُ ... وَجُبْتُ هَجِيراً يَتْرُكُ المَاءَ صَادِيَا[1]

أَبَا كُلِّ طِيبٍ لا أَبَا المِسْكِ وَحْدَهُ ... وَكُلِّ سَحَابٍ لا أَخُصُّ الغَوَادِيَا[2]

يُدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ ... وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمٰنُ فِيكَ المَعَانِيَا[3]

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ المَعَالِيَ بِالنَّدَى ... فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ المَعَالِيَا

وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ ... فَيَرْجِعَ مَلْكاً لِلعِرَاقَيْنِ وَالِيَا[4]

فَقَدْ تَهَبُ الجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِياً ... لِسَائِلِكَ الفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا[5]

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ ... يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ المُلْكَ بِالمُنَى ... وَلٰكِنْ بِأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا[6]

عِدَاكَ تَرَاهَا فِي البِلَادِ مَسَاعِياً ... وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا[7]

لَبِسْتَ لَهَا كُدْرَ العَجَاجِ كَأَنَّمَا ... تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الجَوَّ صَافِيَا[8]

وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ ... يُؤَدِّيكَ غَضْبَاناً وَيَثْنِيكَ رَاضِيَا

وَمُخْتَرَطٍ مَاضٍ يُطِيعُكَ آمِراً ... وَيَعْصِي إِذَا اسْتَثْنَيْتَ أَوْ صِرْتَ نَاهِيَا[9]

١ المروري الفلوات الخالية الشناخيب رؤوس الجبال جبت قطعت الهجير حر نصف النهار الصادي العطشان

٢ كل سحاب عطف على أبا كل أي ويا كل سحاب

٣ يدل من الإدلال المرأة على المخاطب ثقة بمحبته إياه .

٤ العراقان البصرة والكوفة

٥ العافي القاصد المعروف . وصفه بهذا البيت بالشجاعة والجود

٦ المراد بالأيام الوقائع

٧ الهاء من تراها للأيام المراقي جمع مرقاة الدرجة .

٨ قوله غير صاف مفعول ثان لترى والأول محذوف أي ترى الجو غير صاف إلخ

٩ ومخترط أي سيف مسلول وهو معطوف على أجرد . آمراً حال من ضمير المخاطب أي إذا أمرته بالقطع أطاعك وإذا نهيته عن قتل الأعداء عصاك .

وَأَسْمَرَ ذي عِشرِينَ تَرْضَاه وَارِداً ... وَيَرْضَاكَ في إيرادِهِ الخيلَ ساقِيَا[1]

كَتَائِبَ ما انفَكَّتْ تَجُوسُ عَمائِراً ... من الأَرْضِ قد جاسَتْ إِلَيها فيافِيَا[2]

غَزَوْتَ بها دُورَ المُلُوكِ فَباشَرَتْ ... سَنَابِكُها هَامَاتِهِمْ وَالمَغانِيَا

وَأَنْتَ الذي تَغْشَى الأَسِنَّةَ أَوَّلاً ... وَتَأْنَفُ أَنْ تَغْشَى الأَسِنَّةَ ثَانِيَا

إذا الهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَيْ كَرِيهَةٍ ... فَسَيْفُكَ في كَفٍّ تُزِيلُ التَّساوِيَا[3]

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ ... فِدًى ابنِ أَخي نَسْلي وَنَفْسي وَمَالِيَا[4]

مَدًى بَلَغَ الأُستاذَ أَقصَاهُ رَبُّهُ ... وَنَفْسٌ لَهُ لم تَرْضَ إِلاَّ التَّنَاهِيَا[5]

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إلى المَجْدِ وَالعُلَى ... وَقد خالَفَ النَّاسُ النُّفوسَ الدَّوَاعِيَا[6]

فَأَصْبَحَ فَوْقَ العالَمِينَ يَرَوْنَهُ ... وَإِنْ كانَ يُدْنِيهِ التَّكَرُّمُ نَائِيَا

١ أراد بالأسمر الرمح . وذي عشرين أي ذي عشرين كعباً

٢ تجوس تتردد وتتخلل الدور ونحوها . العمائر جمع عمارة القبيلة ونحوها .

٣ الكريهة الشدة في الحرب . أي إذا سوت الهند سيفين متساويين في المضاء فكفك تزيل هذا التساوي لأنها تجعل الذي تحمله أمضى لقوتها في الضرب .

٤ من قول سام: خبر مقدم، وفدى ابن أخي إلى آخر الشطر مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ، ولنسله متعلق بقول .

٥ أراد بالأستاذ كافوراً

٦ فاعل دعته ضمير النفس .

شمس منيرة سوداء

بنى كافور داراً بإزاء الجامع
الأعلى على البركة وطالب أبا الطيب
بذكرها فقال يهنئه بها

إنّمَا التّهْنِئَاتُ لِلأكْفَاءِ ... وَلِمَنْ يَدّعِي مِنَ البُعَدَاءِ
وَأنَا مِنْكَ لا يُهَنّىءُ عُضْوٌ ... بالمَسَرّاتِ سائِرَ الأعْضَاءِ[1]
مُسْتَقِلٌّ لَكَ الدّيَارَ وَلَوْ كَا ... نَ نُجُوماً آجُرُّ هَذا البِنَاءِ[2]
وَلَوَ انّ الذي يَخِرّ مِنَ الأمْـ ... ـرِ وَاهٍ فيهَا مِنْ فِضّةٍ بَيْضَاءِ
أنْتَ أعلى مَحَلّةً أنْ تُهَنّـا ... بِمَكانٍ في الأرْضِ أوْ في السّمَاءِ
وَلَكَ النّاسُ وَالبِلادُ وَمَا يَسْـ ... ـرَحُ بَيْنَ الغَبَراءِ وَالخَضْرَاءِ[3]
وَبَسَاتِينُكَ الجِيادُ وَمَا تَحْـ ... ـمِلُ مِنْ سَمْهَرِيّةٍ سَمْرَاءِ
إنّمَا يَفْخَرُ الكَرِيمُ أبُو المِسْـ ... ـكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ العَلْيَاءِ
وَبِأيّامِهِ الّتِي انسَلَخَتْ عَنْـ ... ـهُ وَمَا دارُهُ سِوَى الهَيْجَاءِ
وَبِمَا أثّرَتْ صَوَارِمُهُ البِيـ ... ـضُ لَهُ في جَمَاجِمِ الأعْدَاءِ
وَبِمِسْكٍ يُكْنَى بِهِ لَيْس بِالمِسْـ ... ـكِ وَلَكِنّهُ أرِيجُ الثّنَاءِ

١ قوله وأنا منك أي أنا وأنت كإنسان واحد .
٢ مستقل خبر لمحذوف أي أنا الآجر اللبن المطبوخ
٣ الغبراء الأرض . الخضراء السماء .

لا بمَا يَبتَنِي الحَواضِرُ في الرّيـ ... ـفِ وَمَا يَطّبي قُلُوبَ النّساءِ[1]

نَزَلَتْ إذْ نَزَلْتَهَا الدّارُ في أحْـ ... ـسَنَ منها مِنَ السّنى وَالسّنَاءِ[2]

حَلّ في مَنْبِتِ الرّياحينِ مِنْهَا ... مَنْبِتُ المَكْرُماتِ وَالآلاءِ[3]

تَفضَحُ الشّمسَ كلّما ذرّتِ الشمـ ... ـسُ بشَمْسٍ مُنيرَةٍ سَوْداءِ

إنّ في ثَوْبِكَ الذي المَجْدُ فيهِ ... لَضِيَاءً يُزْري بكُلّ ضِيَاءِ

إنّما الجِلدُ مَلبَسٌ وَابيضَاضُ الـ ... ـنّفسِ خَيرٌ من ابيضَاضِ القَبَاءِ

كَرَمٌ في شَجَاعَةٍ وَذَكَاءٌ ... في بَهَاءٍ وَقُدْرَةٌ في وَفَاءِ

مَن لبِيضِ المُلُوكِ أن تُبدلَ اللوْ ... نَ بلَوْنِ الأستاذِ وَالسّحْنَاءِ[4]

فَتَرَاهَا بَنُو الحُرُوبِ بأعْيَا ... نٍ تَرَاهُ بها غَداةَ اللّقَاءِ

يا رَجاءَ العُيُونِ في كلّ أرْضٍ ... لم يكُنْ غيرَ أنْ أرَاكَ رَجَائي

وَلَقَدْ أفْنَتِ المَفَاوِزُ خَيْلي ... قَبلَ أنْ نَلتَقي وَزَادي وَمَائي

فَارْمِ بي ما أرَدْتَ مي فإنّي ... أسَدُ القَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ[5]

وَفُؤادي مِنَ المُلُوكِ وَإن كا ... نَ لِساني يُرَى من الشّعراءِ

١ الحواضر : المراد أهل الحواضر . يطبي يستميل .
٢ السنى بالقصر الضوء . وبالمد الرفعة والشرف
٣ الآلاء : النعم .
٤ من لي بكذا أي من يكفل لي به . السحناء : الهيئة .
٥ الرواء المنظر

الملك الاستاذ

يمدحه وأنشده إياها في سلخ شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلاث مئة (٩٥٧ م)

مَنِ الجآذِرُ في زِيِّ الأعَارِيبِ حُمْرَ الحِلَى وَالمَطَايَا وَالجَلابيبِ[1]
إنْ كُنتَ تَسألُ شَكّاً في مَعارِفِها فمَنْ بَلاكَ بتَسهيدٍ وَتَعذيبِ[2]
لا تَجْزِني بضَنًى بي بَعْدَهَا بَقَرٌ تَجزي دُموعي مَسكوباً بمسكُوبِ[3]
سَوَائِرٌ رُبَمَا سارَتْ هَوَادِجُهَا مَنيعَةً بَينَ مَطْعُونٍ وَمَضرُوبِ[4]
وَرُبَمَا وَخَدَتْ أيْدي المَطيِّ بهَا على نَجيعٍ مِنَ الفُرْسانِ مَصْبوبِ
كمْ زَوْرَةٍ لَكَ في الأعرابِ خافِيَةٍ أدهى وَقَد رَقَدوا مِن زَوْرَةِ الذيبِ[5]
أزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشفَعُ لي وَأنثَني وَبَيَاضُ الصُّبحِ يُغري بي[6]

١ الجآذر جمع جؤذر ولد البقرة الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها الأعاريب جمع أعراب سكان البادية الجلابيب جمع جلباب الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها يقول من هؤلاء النساء اللواتي هن في زي الأعراب، ووصفهن بحمر الحلى وما بعده لأن هذه الأشياء كانت للأشراف يعني أنهن من نساء الملوك .

٢ شكاً مفعول له أو حالٌ على تأويله باسم الفاعل .

٣ بقر فاعل تجزني مسكوباً خلف من موصوف أي دمعاً مسكوباً

٤ سوائر خبر عن محذوف ضمير النساء

٥ أدهى تفضيل من الدهاء النكر

٦ يغري بي يحضهم علي

قد وَافقوا الوَحشَ في سُكنى مَراتِعِها ... وَخالَفُوها بتَقْويضٍ وَتَطنيبِ[1]

جيرانُها وَهُمُ شَرٌّ الجِوارِ لهَا ... وَصَحبُهَا وَهُمُ شَرٌّ الأصَاحيبِ[2]

فُؤادُ كُلِّ مُحِبٍّ في بُيُوتِهِمِ ... وَمَالُ كُلِّ أخيذِ المَالِ مَحرُوبِ[3]

ما أوْجُهُ الحَضَرِ المُسْتَحسَناتُ بهِ ... كأوْجُهِ البَدَوِيّاتِ الرّعَابيبِ[4]

حُسْنُ الحِضارَةِ مَجلُوبٌ بتَطْرِيَةٍ ... وَفي البِداوَةِ حُسنٌ غيرُ مَجلوبِ[5]

أين المَعيزُ مِنَ الآرَامِ نَاظِرَةً ... وَغَيرَ نَاظِرَةٍ في الحُسنِ وَالطِّيبِ[6]

أفدِي ظِبَاءَ فَلاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا ... مَضْغَ الكَلامِ وَلا صَبغَ الحَوَاجيبِ[7]

وَلا بَرَزْنَ مِنَ الحَمّامِ مَائِلَةً ... أوْرَاقُهُنَّ صَقيلاتِ العَرَاقيبِ[8]

وَمِنْ هَوَى كلِّ مَن ليستْ مُمَوَّهَةً ... تَرَكْتُ لَوْنَ مَشيبي غيرَ مَخضُوبِ[9]

١ التقويض نزع الأعواد والاطناب وهو ضد التطنيب

٢ ضمير جيرانها للوحش ، وأراد بالجيران العرب يقول: هم مجاورون للوحش إلا أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها

٣ أخيذ مأخوذ المحروب الذي أُخذ جميع ماله يعني عندهم الجمال والشجاعة فنساؤهم ينهبن القلوب ورجالهم ينهبون الأموال

٤ الرعابيب جمع رعبوبة الطويلة الممتلئة

٥ الحضارة الإقامة بالحضر وهي المدن والقرى ، والمراد أهل الحضارة ، وكذا البداوة الإقامة بالبادية التطرية جعل الشيء طرياً

٦ الآرام الظباء الخالصة البياض ناظرة بمعنى مقبلة حال يشبه نساء الحضر بالمعيز ونساء البدو بالظباء وانها تفضل نساء الحضر وجوهاً وقدوداً وتعلوهن حسناً وريح طيب .

٧ مضغ الكلام علكه وعدم إبانته كأن المتكلم يمضغ شيئاً . والمراد بظباء الفلاة نساء البدو .

٨ مائلة شاخصة . العراقيب جمع عرقوب العصب الغليظ فوق عقب الرجل .

٩ أصل التمويه الطلي بماء الذهب أو الفضة ثم استعمل بمعنى التزيين والتزوير

وَمِن هَوَى الصِّدقِ في قَوْلي وَعادَتِهِ ... رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الرَّأسِ مكذوبِ

لَيتَ الحَوادِثَ باعَتني الذي أخذَتْ ... مني بِحِلمي الذي أعطَتْ وَتَجريبي

فَمَا الحَداثَةُ من حِلْمٍ بِمانِعَةٍ ... قد يُوجَدُ الحِلمُ في الشبّانِ وَالشِّيبِ[1]

تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأستاذُ مُكْتَهِلاً ... قَبلَ اكتِهالٍ أديباً قَبل تأديبِ[2]

مُجَرَّباً فَهِماً من قَبْلِ تَجْرِبَةٍ ... مُهَذَّباً كَرَماً مِنْ غيرِ تَهذيبِ

حتى أصَابَ من الدُّنيا نِهايَتَهَا ... وَهَمُّهُ في ابْتِداءاتٍ وَتَشبيبِ[3]

يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصرٍ إلى عَدَنٍ ... إلى العِراقِ فأرْضِ الرُّومِ فالنُّوبِ[4]

إذا أتَتْهَا الرِّياحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ ... فَمَا تَهُبُّ بِهَا إلاّ بِتَرْتِيبِ[5]

وَلا تُجاوِزُها شَمسٌ إذا شَرَقَتْ ... إلاّ وَمِنْهُ لَهَا إذْنٌ بِتَغْرِيبِ

يُصَرِّفُ الأمْرَ فيها طِينُ خاتَمِهِ ... وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنهُ كلُّ مكتُوبِ[6]

يَحُطُّ كُلَّ طَوِيلِ الرُّمْحِ حامِلُهُ ... من سَرْجِ كلِّ طَوِيلِ الباعِ يَعبوبِ[7]

١ الحلم: العقل والأناة يعني أن الحوادث أخذت شبابه وأعطته الحلم ثم يتمنى لو باعته اللي أخذت بالذي أعطت .

٢ ترعرع الصبي نشأ . يعني حصل على حلم الكهول قبل أن يكتهل .

٣ أصاب نال . وأراد بنهاية الدنيا الملك إذ لا شيء فوقه . التشبيب بمعنى الابتداء . أي أنه أصاب الغاية القصوى من دنياه وهمته لا تزال في أوائل أمرها .

٤ النوب جبل من السودان والمراد هنا بلادهم

٥ الضمير من أتتها للملك بمعنى المملكة . النكب جمع نكباء التي تنحرف في مهبها على غير الجهات الأربع . يقول : إذا مرت هذه الرياح في مملكته لا تمر إلا مرتبة هيبة له .

٦ تطلس انمحى . يقول يصرف أمر مملكته برؤية خاتمه ولو انمحى النقش المكتوب فيه .

٧ يحط: ينزل، والضمير من حامله للخاتم . اليعبوب: الفرس الواسع الجري . يعني أن حامل خاتمه ينزل الفارس الطويل الرمح من سرج فرسه .

كُلّ سُؤالٍ في مَسَامِعِهِ قَميصُ يوسُفَ في أجفانِ يَعقوبِ[1]

* زَتْهُ أعادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ فقد غَزَتْهُ بجَيْشٍ غيرِ مَغْلُوبِ[2]

او حارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بتَقْدِمَةٍ مِمّا أرَادَ وَلا تَنْجُو بتَجْبِيبِ[3]

أضرَتْ شَجاعَتُهُ أقصَى كتائِبِهِ على الحِمَامِ فَمَا مَوْتٌ بمَرْهُوبِ[4]

قالُوا هَجَرْتَ إلَيْهِ الغَيْثَ قلتُ لهمْ إلى غُيُوثٍ يَدَيْهِ وَالشّآبِيبِ[5]

إلى الذي تَهَبُ الدّوْلاتِ رَاحَتُهُ وَلا يَمُنّ على آثَارِ مَوْهُوبِ

وَلا يَرُوعُ بمَغْدُورٍ بِهِ أحَداً وَلا يُفَزِّعُ مَوْفُوراً بمَنْكُوبِ[6]

بَلَى يَرُوعُ بذي جَيْشٍ يُجَدّلُهُ ذا مِثْلِهِ في أحَمّ النّقْعِ غِرْبِيبِ[7]

وَجَدْتُ أنْفَعَ مَالٍ كُنتُ أذخَرُهُ مَا في السّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ[8]

لمّا رَأين صُرُوفَ الدّهرِ تَغدُرُ بي وَفَيْنَ لي وَوَفَتْ صُمُّ الأنابيبِ[9]

١ السؤال : طلب العطاء . يعني أنه يحتفل بسؤال السائل كما احتفل يعقوب بقميص يوسف حين رآه .

٢ يعني إذا طلبت أعداؤه عفوه كأنها غزته بجيش لا يغلب

٣ التقدمة التقدم . التجبيب الفرار

٤ أضرت جرأت .

٥ الشآبيب جمع شؤبوب الدفعة من المطر .

٦ أي لا يغدر بأحد ليفزع به غيره ولا ينكب أحداً بسلب ماله ليفزع الذي لم يسلب له مال .

٧ يجدله يصرعه على الجدالة وهي الأرض . الأحم الأسود . الغربيب : الشديد السواد . أي ليروع صاحب جيش بصاحب جيش آخر يصرعه على الأرض والممدوح في جيش أسود الغبار قد علا سواد الحديد .

٨ يقول إنه وجد جري الخيل أنفع الأشياء التي كان يدخرها لأنها حملته إلى الممدوح .

٩ صروف الدهر حدثانه الصم الصلاب وهي نعت لمحذوف أي الرماح الأنابيب جمع أنبوب ما بين العقدتين من الرمح ، والنون من رأين ووفين للخيل .

سَنْ المَهَالِكَ حتى قالَ قائِلُهَا ... ماذا لَقِينَا من الجُرْدِ السراحِيبِ[1]

نَهْوِي بمُنْجَرِدٍ لَيسَتْ مَذاهِبُهُ ... لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمأكولٍ وَمَشرُوبِ[2]

يَرَى النّجُومَ بعَيْنَيْ مَنْ يُحاوِلُها ... كأنّهَا سَلَبٌ في عَيْنِ مسلُوبِ[3]

حتى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ ... تَلقَى النّفُوسَ بفَضْلٍ غيرِ مَحْجوبِ[4]

في جِسْمِ أرْوَعَ صَافي العَقل تُضْحِكُه ... خلائِقُ النّاسِ إضْحاكَ الأعاجيبِ[5]

فَالحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالحَمْدُ بَعدُ لها ... وَلِلقَنَا وَلإدْلاجي وَتَأوِيبي[6]

وَكَيْفَ أكْفُرُ يا كافُورُ نِعْمَتَهَا ... وَقَدْ بَلَغْتَنَكَ بي يا كُلَّ مَطلُوبي[7]

يا أيّهَا المَلِكُ الغَانِي بتَسْمِيَةٍ ... في الشّرْقِ وَالغَرْبِ عن وَصْفٍ وتَلقِيبِ[8]

أنتَ الحَبِيبُ وَلَكِنّي أعُوذُ بِهِ ... من أنْ أكُونَ مُحِبّاً غَيرَ مَحْبوبِ

١ المهالك المفاوز السراحيب جمع سرحوب الفرس الطويلة على وجه الأرض

٢ تهوي تسرع المنجرد الجاد في الأمور يعني نفسه مذاهبه رحلاته أي ليست رحلاته لطلب هذه الأشياء المذكورة بل لطلب المعالي

٣ المحاولة طلب الشيء بالحيلة يعني أنه يطمع في المطالب البعيدة التي هي كالنجوم بعداً كأنها شيء سلب منه ويحاول رده

٤ أراد بالنفس المحجبة الممدوح

٥ أي أنه يضحك منها هزؤاً واستخفافاً

٦ الضمير من له لكافور ومن لها للخيل . الإدلاج السير من أول الليل. التأويب سير عامة النهار .

٧ أكفر أجحد والضمير من نعمتها للخيل

٨ الغاني : المستغني .

لا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله

يمدحه في شهر ذي الحجة من هذه السنة

أوَدُّ مِنَ الأيّامِ مَا لا تَوَدُّهُ ... وَأشكُو إلَيهَا بَيْنَنَا وَهي جُنْدُهُ[1]

يُباعِدْنَ حِبّاً يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ ... فكَيفَ بحِبٍّ يَجْتَمِعنَ وَصَدُّهُ[2]

أبَى خُلُقُ الدّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ ... فَمَا طَلَبي مِنهَا حَبِيباً تَرُدّهُ[3]

وَأسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيّراً ... تَكَلّفُ شيءٍ في طِباعِكَ ضِدّهُ

رَعَى اللهُ عِيساً فَارَقَتْنَا وَفَوْقَهَا ... مَهاً كُلّها يُولى بِجَفْنَيْهِ خَدّهُ[4]

بوَادٍ بِهِ مَا بالقُلُوبِ كَأنّهُ ... وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقدُهُ[5]

إذا سَرَتِ الأحداجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ ... تَفَاوَحَ مِسكُ الغانِياتِ وَرَنْدُهُ[6]

وَحال كإحداهُنّ رُمْتُ بُلُوغَهَا ... وَمِنْ دونِهَا غَوْلُ الطريقِ وَبُعدُهُ[7]

١ بيننا فراقنا . وضمير جنده للبين . يعني أنها هي سبب الفراق .

٢ الحب بالكسر المحبوب يقول إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل فكيف تقرب الحبيب المقاطع

٣ يقول إن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر فكيف ترد الحبيب الغائب وهي سبب غيبته .

٤ يولى من الولي المطر بعد المطر الأول أي كل واحدة منهن تجري دموعها على خدها جرياً بعد جري

٥ بواد متعلق بفارقتنا

٦ الأحداج جمع حدج مركب للنساء . الرند : شجر طيب الريح

٧ وحال أي ورب حال الغول المهلكة . أي ورب حال تمتنع الوصول إليها مثل إحدى هذه الناقة طلبتها وقبل الوصول إليها البعد والمهالك

وَأتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ ... وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفس وَجدُهُ

فَلا يَنحَلِلْ في المَجدِ مالُكَ كُلَّهُ ... فَيَنحَلَّ مَجْدٌ كانَ بالمالِ عَقَدُهُ[1]

وَدَبِّرْهُ تَدْبِير الذي المَجْدُ كَفُّهُ ... إذا حارَبَ الأعداءَ وَالمَالَ زَنْدُهُ[2]

فَلا مَجْدَ في الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلا مالَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مَجدُهُ

وَفي النَّاسِ مَنْ يَرْضى بِميسورِ عيشِهِ ... وَمَرْكوبُهُ رِجْلاهُ وَالثَّوْبُ جلدُهُ

وَلَكِن قَلْباً بَيْنَ جَنْبَيَّ مَا لَهُ ... مَدًى يَنتَهي بي في مُرادٍ أحُدُّهُ[3]

يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفاً تَرُبُّهُ ... فَيَختارُ أن يُكْسَى دُرُوعاً تَهُدُّهُ[4]

يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ في كلِّ مَهْمَهٍ ... عَلَيقي مَرَاعِيهِ وَزَادِيَ رُبْدُهُ[5]

وَأمْضى سِلاحٍ قَلَّدَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... رَجَاءُ أبي المِسْكِ الكَرِيمِ وَقَصْدُهُ

هُما ناصِرَا مَن خانَهُ كُلُّ ناصِرٍ ... وَأُسرَةُ مَنْ لم يُكثِرِ النَّسلَ جَدُّهُ

أنَا اليَوْم مِن غِلْمانِهِ في عَشِيرَةٍ ... لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُفَدِّيهِ وُلْدُهُ[6]

فَمِن مَالِهِ مالُ الكَثِيرِ وَنَفْسُهُ ... وَمِن مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ

نَجُرُّ القَنَا الخَطِّيَّ حَوْلَ قِبَابِهِ ... وَتَرْدي بِنا قُبُّ الرِّباطِ وَجُرْدُهُ[7]

١ يقول لا تنفق مالك كله في طلب المجد لئلا ينحل ذلك المجد بفقد المال فيضيع كلاهما

٢ أي تدبير الذي جعل المجد بمنزلة الكف والمال بمنزلة الزند

٣ أحده أجعل له حداً

٤ ضمير يرى للقلب الشفوف الأثواب الرقيقة تربه تنميه يعني أن قلبه لا يرضى بالتنعم بل يهوى ركوب المشقات في طلب المعالي

٥ التهجير السير في حر نصف النهار المهمه المفازة البعيدة الربد النعام .

٦ يقول إنه وهب له غلماناً صاروا له كالعشيرة والممدوح كوالد له وهم يفدونه بأنفسهم .

٧ القباب الخيام تردي من الرديان ضرب من المشي القب : الضامرة البطون . الرباط : اسم لجماعة الخيل .

وَتَمْتَحِنُ النُّشَّابَ في كلّ وَابِلٍ ... دَوِيَّ القِسِيِّ الفَارِسِيّةِ رَعْدُهُ[1]

فإنْ لا تَكُنْ مصرُ الشَّرَى أوْ عَرِينَه ... فإنّ الذي فيهَا منَ النّاسِ أُسدُهُ[2]

سَبَائِكُ كافُورٍ وَعِقْيَانُهُ الذي ... بصُمّ القَنَا لا بالأصَابِعِ نَقْدُهُ[3]

بَلاهَا حَوَالَيْهِ العَدُوُّ وَغَيْرُهُ ... وَجَرَّبَهَا هَزْلُ الطِّرَادِ وَجِدّهُ[4]

أبو المِسْكِ لا يَفْنَى بذَنْبِكَ عفوُهُ ... وَلَكِنّهُ يَفْنَى بعُذْرِكَ حِقدُهُ[5]

فَيَا أيّها المَنْصُورُ بالجَدّ سَعْيُهُ ... وَيَا أيّها المَنْصُورُ بالسّعْيِ جَدّهُ[6]

تَوَلّى الصِّبَى عَنّي فأخلَفتَ طِيبَهُ ... وَمَا ضَرّنِي لمّا رَأيْتُكَ فَقدُهُ[7]

لَقَدْ شَبَّ في هذا الزّمانِ كُهُولُهُ ... لَدَيْكَ وَشَابَتْ عندَ غَيرِكَ مُرْدُهُ

ألا لَيْتَ يَوْمَ السّيرِ يُخبِرُ حَرُّهُ ... فَتَسْأَلَهُ وَاللّيْلَ يُخْبِرُ بَرْدُهُ[8]

وَلَيْتَكَ تَرْعَانِي وَحَيرَانُ مُعرِضٌ ... فتَعْلَمَ أنّي من حُسَامِكَ حَدّهُ[9]

١ النشاب السهام التركية أي نمتحن بين يديه الترامي بالسهام وهي كوابل المطر لكثرتها وأصوات القسي حينئذ كالرعد

٢ الشرى: مأسدة بجبل سلمى من بلاد طيء أي إن لم تكن مصر كذلك فإن الناس الذين فيها هم أسود

٣ السبائك جمع سبيكة القطعة المذوبة المفرغة في القالب من الفضة ونحوها العقيان الذهب يعني أن الناس الذين ذكرهم في البيت السابق هم لكافور بمنزلة السبائك والذهب لغيره وأنه انتقدهم أي امتحنهم بطعان الفرسان

٤ بلاها اختبرها

٥ يريد أنه كثير العفو قليل الحقد

٦ يريد أنه قد اجتمع له السعد والسعادة وأن كل واحد منهما ينصر الآخر

٧ تولى ولى أخلف جعل له خلفاً يقول وجدت عندك من طيب أيامي ما أخلف على طيب أيام الصبى

٨ يريد أنه قاسى في مسيره حر النهار وبرد الليل

٩ ترعاني تنظرني وتراقبني حيران اسم ماء على طريق سلمية . يقول يا ليتك كنت تنظر إلي وأنا عند هذا الماء فتعلم أني مثل حد سيفك

وَأنّي إذا باشَرْتُ أمراً أُريـدُهُ تَدانَتْ أقاصيهِ وَهَانَ أشَدُّهُ
وَمَا زَالَ أهلُ الدّهرِ يَشْتَبِهونَ لي إلَيْكَ فَلَمّا لُحْتَ لي لاحَ فَرْدُهُ[1]
يُقالُ إذا أبصَرْتُ جَيْشاً وَرَبَّهُ أمامكَ رَبٌّ رَبُّ ذا الجيشِ عبدُهُ[2]
وَأَلْقَى الفَمَ الضّحّاكَ أعلَمُ أنّهُ قَريبٌ بذي الكَفّ المُفَدّاةِ عهدُهُ[3]
فَزَارَكَ مني مَنْ إلَيْكَ اشتِياقُهُ وَفي النّاسِ إلاّفيكَ وَحدَكَ زُهدُهُ[4]
يُخَلّفُ مَن لم يَأتِ دارَكَ غَايَةً وَيأتي فيَدري أنّ ذلكَ جُهْدُهُ[5]
فإنْ نِلْتُ ما أمّلْتُ منكَ فرُبّمَا شَرِبْتُ بماءٍ يُعجِزُ الطّيرَ وِرْدُهُ[6]
وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبلَ وَعْدٍ لأنّهُ نَظيرُ فَعَالِ الصّادِقِ القَوْلِ وَعدُهُ
فكنْ في اصْطِناعي مُحسِناً كمُجرِّبٍ يَبِنْ لَكَ تَقريبُ الجَوَادِ وَشَدُّهُ[7]
إذا كنتَ في شَكٍّ من السّيفِ فابْلُهُ فإمّا تُنَفّيـهِ وَإمّا تُعِدّهُ[8]
وَمَا الصّارِمُ الهِنديُّ إلاّ كَغَيرِهِ إذا لم يُفارِقْهُ النِّجادُ وَغِمْدُهُ[9]

١ يشتبهون يتشابهون لحت ظهرت . يقول ما زال الناس يتشابهون عندي حتى ظهرت لي أنت فإذا أنت فردهم الذي لا يشبهه أحد
٢ أي إذا رأيت ملكاً وجيشه فاستعظمته يقال لي أمامك ملك هذا الملك الذي تراه عبده
٣ يقول إذا رأيت فماً ضاحكاً علمت أنه قريب العهد بلثم يدك لنعمة بذلتها لصاحبه
٤ قوله مني ، أراد نفسه على سبيل التجريد البديعي .
٥ يخلف يترك خلفه يقول من لم يأت فقد ترك وراءه غاية لم يدركها فإذا جاءها علم أنه قد بلغ جهده
٦ بماء من ماء .
٧ اصطنعه اختاره . والتقريب والشد ضربان من جري الخيل .
٨ ابله امتحنه ، أراد بذلك جربني فإن لم تجدني أهلا لما شئت فارفضني .
٩ النجاد : حمالة السيف .

وَإِنَّكَ لَلْمَشْكُورُ في كُلِّ حالَةٍ ... وَلَوْ لم يكُنْ إلاّ البَشاشَةَ رِفْدُهُ
فكُلُّ نَوَالٍ كانَ أوْ هُوَ كائِنٌ ... فلَحظَةُ طَرْفٍ منكَ عندي نِدّهُ[1]
وَإنّي لَفي بَحْرٍ منَ الخَيرِ أصْلُهُ ... عَطَاياكَ أرْجُو مَدّهَا وَهي مَدُّهُ
وَمَا رَغْبَتي في عَسْجَدٍ أستَفيدُهُ ... وَلَكِنّها في مَفْخَرٍ أسْتَجِدّهُ[2]
يَجُودُ بهِ مَن يَفضَحُ الجودَ جودُهُ ... وَيحمَدُهُ مَن يَفضَحُ الحمدَ حمدُهُ
فإنّكَ ما مرّ النُّحُوسُ بكَوْكَبٍ ... وَقَابَلْتَهُ إلاّ وَوَجْهُكَ سَعدُهُ

يقلّ له القيام

دس إليه الأسود من قال له قد
طال قيامك في مجلس كافور يريد
أن يعلم ما في نفسه له فقال ارتجالا

يَقِلّ لَهُ القِيامُ على الرّؤوسِ ... وَيَبْذُلُ المُكْرَماتِ منَ النّفوسِ
إذا خانَتْهُ في يَوْمٍ ضُحُوكٍ ... فكَيفَ تكُونُ في يومٍ عَبُوسِ

١ النه : النظير
٢ أستجده : أجدده

الدار المباركة

دخل على الأستاذ كافور بعد انتقاله من دار البركة إلى الدار الثانية فقال وأنشده إياها في شهر محرم سنة سبع وأربعين وثلاث مئة (٩٥٨ م)

أحقٌّ دارٍ بأنْ تُدْعَى مُبَارَكَةً ... دارٌ مُبارَكَةُ المَلْكِ الذي فيهَا[1]

وَأجْدَرُ الدُّورِ أنْ تُسْقَى بسَاكِنِها ... دارٌ غَدَا النَّاسُ يَستَسقُونَ أهليهَا[2]

هَذِهْ مَنَازِلُكَ الأُخْرَى نُهَنِّئُهَا ... فَمَنْ يَمُرُّ على الأولى يُسَلِّيهَا

إذا حَلَلْتَ مَكاناً بَعدَ صاحِبِهِ ... جَعَلْتَ فيهِ على ما قَبْلَهُ تِيهَا[3]

لا يُنكَرُ الحِسُّ مِنْ دارٍ تكونُ بها ... فإنَّ رِيحَكَ رُوحٌ في مَغانِيهَا[4]

أتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ أعطاكَ أوَّلَهُ ... وَلا اسْتَرَدَّ حَيَاةٌ مِنكَ مُعطِيهَا

١ الملك تخفيف ملك

٢ أجدر بمعنى أحق . يستسقون أي يسألون السقيا .

٣ التيه الكبر والافتخار

٤ المغاني ، جمع مغنى وهو المنزل

فدّى لأبي المسك الكرام

وقاد إليه فرساً فقال يمدحه

فِراقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيرُ مُذَمَّمِ ... وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ[1]

وَمَا مَنزِلُ اللّذّاتِ عِندي بمَنْزِلٍ ... إذا لم أُبَجِّلْ عِنْـدَهُ وَأُكَرَّمِ

سَجِيّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُليحَةً ... منَ الضّيمِ مَرْمِيّاً بها كلَّ مَخْرِمِ[2]

رَحَلْتُ فكَمْ باكٍ بأجْفانِ شَادِنٍ ... عَلَيَّ وَكَمْ بَاكٍ بأجْفانِ ضَيْغَمِ[3]

وَمَا رَبَّةُ القُرْطِ المَليحِ مَكانُهُ ... بأجزَعَ مِنْ رَبِّ الحُسَامِ المُصَمِّمِ[4]

فَلَوْ كانَ ما بي مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ ... عَذَرْتُ وَلَكنْ من حَبيبٍ مُعَمَّمِ[5]

رَمَى وَاتّقى رَميي وَمن دونِ ما اتّقى ... هوًى كاسرٌ كَفّي وقَوْسي وَأسهُمي[6]

إذا ساءَ فِعْلُ المرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدّقَ مَا يَعتَادُهُ من تَوَهّمِ

١ الأم القصد . يممت قصدت يعني أن الذي فارقه وهو سيف الدولة غير مذموم ، الذي قصده وهو كافور خير مقصود

٢ المليحة الخائفة . المخرم الطريق في الجبل .

٣ أراد بالشادن المرأة الحسناء وبالضيغم الرجل الشجاع

٤ القرط ما يعلق في شحمة الأذن ومكانه فاعل المليح أجزع تفضيل من الجزع وهو الحزن والاضطراب المصمم الذي يطبق العظام أي ولم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقي من الرجل الشجاع

٥ كنى بالحبيب المقنع عن المرأة وبالمعمم عن الرجل . يقول لو كان ما يشكوه بن امرأة لعذرها لأن الغدر شيمة النساء ولكنه من رجل فلا يعذره

٦ ذكر بهذا البيت معاملة سيف الدولة له أي أنه عامله بالجفاء والإساءة وأن حبه له منعه من مكافأته عَلَى ذلِكَ بالهجو ، وهذا معنى قوله رمى واتقى رميي

وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ ... وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

أُصَادِقُ نَفْسَ المَرْءِ مِن قَبْلِ جِسْمِهِ ... وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ

وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ ... مَتَى أَجْزِهِ حِلْماً عَلَى الجَهْلِ يَنْدَمِ

وَإِنْ بَذَلَ الإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ ... جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ المُتَبَسِّمِ[1]

وَأَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ ... نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ المُقَوَّمِ[2]

خَطَتْ تَحْتَهُ العِيسُ الفَلَاةَ وَخَالَطَتْ ... بِهِ الخَيْلُ كَبَّاتِ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ[3]

وَلَا عِفَّةٌ فِي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ ... وَلَكِنَّهَا فِي الكَفِّ وَالطَّرْفِ وَالفَمِ[4]

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلجَمِيلِ بِفَاعِلٍ ... وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

فِدًى لِأَبِي المِسْكِ الكِرَامُ فَإِنَّهَا ... سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ

أَغَرَّ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَصْنَ وَرَاءَهُ ... إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ[5]

إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا ... فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ

يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَاءَهُ العُذْرُ أَنْ يُرَى ... ضَعِيفَ المَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ التَّكَرُّمِ[6]

وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الخَيْلُ أَحْجَمَتْ ... وَكَانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا اقْدِمِي

١ يقول إذا جاد أحد علي بعطية وهو عابس جدت عليه بتركها وأنا مبتسم .

٢ السميذع الشجاع

٣ خطت قطعت الكبات الحملات في الحرب

٤ أي عفيف النفس وليس عفيف السلاح في الحرب

٥ يقول هذا الأدهم أغر ولكن غرته من المجد لا من البياض ، وإن هذه السوابق تجري وراءه ناظرة إلى طبعه الواسع وخلقه التام الجمال .

٦ أي من رآه ولم يتعلم منه السعي إلى المعالي والكرم فهو غير معذور

شَديدُ ثَباتِ الطَّرْفِ والنقعُ وَاصِلٌ إلى لهَوَاتِ الفَارِسِ المُتَلَثِّمِ[1]

أبا المسك أَرْجو منك نصراً على العِدى وآمُلُ عِزّاً يخضِبُ البِيض بالدّمِ

وَيَوْماً يَغيظُ الحاسِدين وَحَالَةً أُقيمُ الشّقَا فيها مَقامَ التّنَعّمِ

وَلَم أَرْجُ إلاّ أهْلَ ذاكَ وَمَنْ يُرِدْ مَوَاطِرِ من غَيرِ السّحائِبِ يَظلِمِ[2]

فَلَوْ لم تكنْ في مصر ما سرْتُ نحوَها بقَلْبِ المَشُوقِ المُستَهامِ المُتَيَّمِ

وَلا نَبَحَتْ خَيلي كِلابُ قَبَائِلٍ كأنّ بها في اللّيلِ حَمْلاتِ دَيْلَمِ[3]

وَلا اتّبَعَتْ آثَارَنَا عَينُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إلاّ حافِراً فَوْقَ مَنْسِمِ[4]

وَسِمْنَا بها البَيْدَاءَ حتى تَغَمّرَتْ من النّيلِ وَاستَذرَتْ بظلّ المُقَطَّمِ[5]

وَأَبْلَجَ يَعصِي باختِصاصي مُشِيرَهُ عَصَيْتُ بقَصْدِيهِ مُشيري وَلُوّمي[6]

فَسَاقَ إليّ العُرْفَ غَيرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إلَيْهِ الشكرَ غير مُجَمجَمِ[7]

قدِ احتَرْتُكَ الأملاكَ فاخترْ لهمْ بنا حَديثاً وَقد حكّمتُ رَأيَكَ فاحكُمِ[8]

١ الطرف الفرس اللهوات جمع لهاة اللحمة المتدلية في أقصى الحلق (والعامة تسميها بالطنطلة)

٢ مواطر جمع ماطر يعني أنت أهل لما رجوته منك وأنا أعلم أني لم أضع رجائي في غير محله كمن يرجو المطر من غير السحاب

٣ ضمير بها للقبائل الديلم جيل من العجم كانت بينهم وبين العرب عداوة أي ولا سرت إليك وفي طريقي قبائل تنبح كلابها على خيلي كأنها عدو قد حمل على القبيلة

٤ القائف الذي يتبع الآثار فيعرفها المنسم خف البعير يصف الخيل بسرعة السير

٥ الوسم الأثر والعلامة وضمير بها للخيل والمراد بقوائمها تغمرت شربت دون الري استذرت استظلت

٦ الأبلج الطلق الوجه وهو عطف على المقطم بقصديه أي بقصدي إياه

٧ العرف المعروف جمجم الكلام عماه وأخفاه

٨ قوله الأملاك أي من الأملاك أي الملوك

فأحسَنُ وَجهٍ في الوَرَى وَجهُ مُحسنٍ ... وَأيمَنُ كَفٍّ فيهِمِ كَفُّ مُنعِمِ
وَأشرَفُهُمْ مَن كانَ أشرَفَ هِمَّةً ... وَأكثَرَ إقداماً على كلِّ مُعظَمِ[1]
لِمَنْ تَطلُبُ الدُّنيا إذا لم تُرِدْ بها ... سُرُورَ مُحِبٍّ أوْ مَساءَةَ مُجرِمِ
وَقَدْ وَصَلَ المُهرُالذي فوْقَ فَخذِهِ ... من اسمك ما في كلِّ عنقٍ وَمِعصَمِ[2]
لكَ الحَيَوَانُ الرَّاكبُ الخَيلَ كلُّهُ ... وَإنْ كانَ بالنِّيرانِ غير موَسَّمِ[3]
وَلَوْ كنتُ أدري كم حَيَاتي قَسَمتُها ... وَصَيَّرْتُ ثُلثَيها انتِظارَكَ فاعْلَمِ
وَلَكِن ما يَمضِي منَ الدَّهرِ فائِتٌ ... فَجُدْ لي بحَظِّ البادِرِ المُتَغَنِّمِ[4]
رَضِيتُ بمَا تَرْضَى بهِ لي مَحَبَّةً ... وَقُدْتُ إلَيكَ النَّفسَ قَوْدَ المُسلِّمِ
وَمِثْلُكَ مَن كانَ الوَسيطَ فُؤادُهُ ... فَكَلِّمْهُ عَنِّي وَلَمْ أتَكَلَّمِ

١ كل معظم كل أمر عظيم
٢ أراد المهر الذي قاده إليه وأنه كان موسوماً باسمه ليعلم أنه من خيله وأن ذلك غير خاص بالخيل فقط بل كل حي موسوم كذلك ، وقد بين ذلك في البيت الثاني
٣ أراد بالحيوان الراكب الإنسان لأن غيره لا يوصف بذلك أي أنت تملك الخيل والإنسان الذي يركبها
٤ البادر المسرع المتغنم المغتنم أي إن جدت لي بشيء فليكن عاجلا .

حسم الصلح ما اشتهته الأعادي

جرت وحشة بين الأستاذ كافور
والأمير أبي القاسم مدة ثم اصطلحا فقال :

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشتَهَتْهُ الأعادي ... وَأذاعَتْهُ ألسُنُ الحُسّادِ
وَأرادَتْهُ أنفُسٌ حالَ تَدْبِيـ ... ـرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ المُرَادِ
صَارَ ما أوْضَعَ المُخِبّونَ فيـهِ ... مِن عِتابٍ زِيادَةً في الوِدادِ[1]
وَكَلامُ الوُشَاةِ لَيس على الأحْـ ... ـبَابِ ، سُلطانُهُ على الأضْدادِ
إنّمَا تُنْجِحُ المَقَالَةُ في المَرْ ... ءِ إذا وَافَقَتْ هَوًى في الفُؤادِ
وَلَعَمْرِي لَقد هُزِزْتَ بِمَا قِيـ ... ـلَ فَأُلْفِيتَ أوْثَقَ الأطْوَادِ
وَأشَارَتْ بِمَا أبَيْتَ رِجَـالٌ ... كُنتَ أهدَى منهَا إلى الإرْشَادِ
قد يُصِيبُ الفَتَى المُشيرُ وَلَم يَجْـ ... ـهَدْ وَيُشوِي الصَّوَابَ بعد اجتهادِ[2]
نِلْتَ ما لا يُنالُ بالبِيضِ وَالسُّمْـ ... ـرِ وَصُنْتَ الأرْوَاحَ في الأجْسادِ
وَقَنَا الخَطِّ في مَرَاكِزِها حَوْ ... لَكَ وَالمُرْهَفَاتُ في الأغْمادِ
ما دَرَوْا إذ رَأوْا فُؤادَكَ فيهِمْ ... سَاكِناً أنّ رَأيَهُ في الطِّرَادِ[3]
فَفَدَى رَأيَكَ الذي لم تُفَدْهُ ... كُلُّ رَأيٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ[4]

---

١ أوضع الراكب الراحلة حثها على العدو السريع المخبون الذين يحملون دوابهم على الخبب وهو ضرب من العدو
٢ يشوي يخطىء .
٣ أي ما علموا أنك تطارد برأيك .
٤ قوله : لم تفده أي لم يفدك إياه أحد .

وَإذا الحِلْمُ لَمْ يَكُنْ عن طِباعٍ ... لم يَكُنْ عَن تَقَادُمِ الميلادِ[1]

فَبِهَذا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يا كا ... فُورُ وَاقتَدْتَ كُلَّ صَعبِ القِيادِ

وَأَطَاعَ الذي أَطَاعَكَ وَالطَّا ... عَةُ لَيْسَتْ خَلائِقَ الآسَادِ

إنّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالأَبُ القَا ... طِعُ أَحْنَى من وَاصِلِ الأَوْلادِ[2]

لا عَدَا الشرُّ مَن بَغَى لكُما الشرّ ... وَخَصَّ الفَسَادُ أَهلَ الفَسَادِ

أَنتُمَا مَا اتَّفَقْتُما الجِسْمُ وَالرّو ... حُ فَلا احتَجْتُما إلى العُوّادِ[3]

وَإذا كانَ في الأَنابيبِ خُلْفٌ ... وَقَعَ الطَّيْشُ في صُدورِ الصِّعادِ[4]

أَشمَتَ الخُلْفُ بالشُّراةِ عِداهَا ... وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ من إيَادِ[5]

وَتَوَلَّى بَنِي اليَزِيدِيِّ بالبَصْ ... رَةِ حتى تَمَزَّقُوا في البِلادِ[6]

وَمُلُوكاً كأَمْسِ في القُرْبِ مِنّا ... وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِها في البعادِ[7]

بكُمَا بِتُّ عَائِذاً فِيكُمَا مِنْـ ... ـهُ وَمن كَيدِ كُلِّ باغٍ وَعَادِ[8]

وَبِلُبَّيْكُمَا الأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفْـ ... ـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَينَ الجِيَادِ[9]

١ يقول إذا لم يكن الحلم مخلوقاً في الإنسان لم يحدث فيه بكبر السن

٢ القاطع المقاطع أحنى أكثر حنواً

٣ ما اتفقتما ما مصدرية زمانية أي مدة اتفاقكما . العواد زوار المريض خاصة

٤ الطيش الاضطراب . الصعاد جمع صعدة قناة الرمح . والبيت مثل . يقول إذا وقع الاختلاف في أنابيب الرمح اضطرب صدره . وأراد هنا بالأنابيب الأتباع ، وبالصدور السادة .

٥ الشراة الخوارج . رب فارس كسرى . إياد قبيلة مشهورة . وضمير شفى راجع الى الخلف.

٦ ضمير تولى للخلف أيضاً

٧ ملوكاً عطف على بني اليزيدي طسم وأختها أي جديس قبيلتان من العرب البائدة .

٨ ضمير منه للخلف ، أي أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن كيد أهل البغي والعدوان

٩ اللب العقل . الأصيلين من أصالة الرأي وهي جودته .

أوْ يَكُونَ الوَلِيُّ أشْقَى عَدُوٍّ ... بالذي تَذْخَرَانِهِ مِن عَتَادِ[1]

هَلْ يَسُرَّنَّ بَاقِياً بَعْدَ مَاضٍ ... مَا تَقُولُ العُداةُ في كلِّ نَادِ

مَنَعَ الوُدُّ وَالرِّعَايَةُ وَالسُّؤْ ... دُدُ أنْ تَبْلُغَا إلى الأحْقَادِ[2]

وَحُقُوقٌ تُرَقِّقُ القَلْبَ للقَلْـ ... ـبِ وَلَوْ ضُمِّنَتْ قُلُوبَ الجَمَادِ

فَغَدَا المُلْكُ باهِراً مَنْ رَآهُ ... شَاكِراً ما أتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ[3]

فيهِ أيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الحُلْـ ... ـوِ وَأيدي قَوْمٍ عَلَى الأكْبَادِ

هَذِهِ دَوْلَةُ المَكَارِمِ وَالرَّأْ ... فَةِ وَالمَجْدِ وَالنَّدَى وَالأيَادِي

كسَفَتْ ساعةً كما تكسِفُ الشَّمْـ ... ـسُ وَعادَتْ وَنُورُها في ازْدِيادِ

يَزْحَمُ الدَّهرَ رُكنُها عن أذاهَا ... بِفَتًى مَارِدٍ على المُرَّادِ[4]

مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِيٍّ أبِيٍّ ... عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ[5]

أجفَلَ النَّاسُ عن طَرِيقِ أبي المِسـ ... ـكِ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ العِبَادِ

كَيْفَ لا يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لسَيْلٍ ... ضَيِّقٍ عَنْ أتِيِّهِ كُلُّ وَادِ[6]

١ الولي الصديق . العتاد العدة .

٢ الرعاية حفظ اللمة . السؤدد السيادة .

٣ بهره أي غشيه بنوره أو حسنه . السداد الصواب . يقول بتصافيكما عاد الملك إلى رونقه وحسنه فلو كان له فم لشكر ما فعلتما من الصواب .

٤ المراد بالفتى كافور

٥ متلف أي للأموال بالعطاء . مخلف أي يخلفها بسيفه .

٦ الأتي السيل يأتي من موضع بعيد

كل مكان ينبت العز طيب

يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاث مئة (٩٥٨ م)

أُغالِبُ فيكَ الشَّوْقَ وَالشوْقُ أغلَبُ ... وَأعجبُ من ذا الهجرِ وَالوَصْلُ أعجبُ

أمَا تَغْلَطُ الأيّامُ فيّ بأنْ أرَى ... بَغيضاً تُنَائي أوْ حَبيباً تُقَرِّبُ[1]

وَللهِ سَيْري مَا أقَلَّ تَئِيَّـةً ... عَشِيَّةَ شَرْقيَّ الحَدَالى وَغُرَّبُ[2]

عَشِيَّةَ أحفَى النّاسِ بي مَن جفوْتُهُ ... وَأهْدَى الطّريقَيْنِ التي أتَجَنَّبُ[3]

وَكَمْ لظَلامِ اللّيْلِ عِندَكَ من يَدٍ ... تُخَبِّرُ أنّ المَانَوِيّةَ تَكْذِبُ[4]

وَقَاكَ رَدَى الأعداءِ تَسْري إلَيْهِمِ ... وَزَارَكَ فيهِ ذو الدّلالِ المُحَجَّبُ[5]

وَيَوْمٍ كَلَيْلِ العَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ ... أُرَاقِبُ فيهِ الشّمسَ أيّانَ تَغْرُبُ[6]

١ تنائي تباعد . يقول عادة الأيام أن تقرب مني من أبغضه وتبعد من أحبه، ألا تغلط مرة في هذه العادة وتعكس الأمر

٢ التئية التوقف واللبث وهي منصوبة على التمييز ، أراد ما أقله فحذف لضيق المقام الحدالى موضع بالشام غرب جبل هناك . يقول ما كان أسرع سيري حين كان هذان المكانان على جانبي الشرقي يعني عند رحيله من حلب

٣ أحفى تفضيل من الحفاوة المبالغة في الإكرام والملاطفة، وأراد بأحفى الناس به سيف الدولة ، وأهدى الطريقين الطريق إليه لا إلى مصر

٤ اليد النعمة المانوية أصحاب مان المثنوي وهم القائلون إن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة . يخاطب نفسه يقوله : كم للظلمة من نعمة عندك تكذب ما يزعمه هؤلاء

٥ يقول إن ظلام الليل وقاك شر الأعداء حال مسيرك إليهم وستر المحبوب حين زارك عن عيون الرقباء .

٦ الواو واو رب أي رب يوم . كمنته استترت فيه خوفاً من الأعداء منتظراً غروب الشمس . ذكر في هذا شر النور

وَعَيْنِي إلى أُذْنَيْ أغَرَّ كَأَنَّهُ ... مِنَ اللَّيْلِ باقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ[1]

لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إهَابِهِ ... تَجِيءُ عَلى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ[2]

شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُدْنِي عِنَانَهُ ... فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ[3]

وَأُصْرِعُ أَيَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ ... وَأُنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ[4]

وَمَا الخَيْلُ إلاَّ كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ ... وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنِ مَنْ لا يُجَرِّبُ

إذا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا ... وَأَعْضَائِهَا فَالحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ[5]

لَحَى اللهُ ذَا الدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ ... فَكُلٌّ بِبَعِيدِ الهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ[6]

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً ... فَلا أَشْتَكِي فِيهَا وَلا أَتَعَتَّبُ

وَبِي مَا يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّي أَقَلُّهُ ... وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا ابْنَةَ القَوْمِ قُلَّبُ[7]

وَأَخْلاقُ كَافُورٍ إذا شِئْتُ مَدْحَهُ ... وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ

إذا تَرَكَ الإِنْسَانُ أَهْلاً وَرَاءَهُ ... وَيَمَّمَ كَافُوراً فَمَا يَتَغَرَّبُ

١ الأغر ذو الغرة وهي البياض في جبهة الفرس باق حال من الليل جرى فيه على لغة أو للضرورة يقول إنه كان في مسيره يراقب أذني فرسه يتحرز بهما لأن الفرس إذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه فيعلم فارسه أنه رأى شيئاً ثم وصف فرسه بأنه أدهم كأنه قطعة من الليل وفي وجهه غرة كأنها كوكب من كواكب الليل قد بقي بين عينيه

١ الإهاب الجلد

٣ أدني أقرب عنانه سير لجامه يطغى ينشط ويمرح

٤ أصرع أقتل قفيته أتبعته وقوله أنزل عنه مثله أي أنزل عنه بعد الطرد والصيد وهو باق على نشاطه كما كان حين الركوب

٥ الشيات الألوان

٦ لحاها الله قبحها ولعنها المناخ المنزل وهو نميز

٧ يذود : يطرد ويدفع وقوله : قلب أي بصير بتقليب الأمور والتصرف فيها .

فَتًى يَمْلأُ الأفْعالَ رَأياً وحِكْمَةً ... وَنَادِرَةً أحْيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ

إذا ضَرَبَتْ في الحَرْبِ بالسَّيفِ كَفُّهُ ... تَبَيَّنْتَ أنَّ السَّيفَ بالكَفِّ يَضرِبُ

تَزيدُ عَطَايَاهُ على اللَّبْثِ كَثْرَةً ... وَتَلْبَثُ أمْوَاهُ السَّحابِ فَتَنضُبُ

أبا المِسْكِ هل في الكأسِ فَضْلٌ أنالُه ... فإنّي أُغَنّي منذُ حينٍ وَتَشرَبُ[1]

وَهَبْتَ على مِقدارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا ... وَنَفسِي على مِقدارِ كَفَّيكَ تطلُبُ[2]

إذا لم تَنُطْ بي ضَيْعَةً أوْ وِلايَةً ... فَجُودُكَ يَكسُوني وَشُغْلُكَ يسلبُ[3]

يُضاحِكُ في ذا العيدِ كُلُّ حَبِيبَهُ ... حِذائي وَأبكي مَنْ أُحِبُّ وَأندُبُ

أحِنُّ إلى أهْلي وَأهْوَى لِقَاءَهُمْ ... وَأين مِنَ المُشْتاقِ عَنقاءُ مُغرِبُ[4]

فإنْ لم يكُنْ إلاّ أبُو المِسكِ أوْ هُمُ ... فإنّكَ أحلى في فُؤادي وَأعْذَبُ[5]

وكلُّ امرىءٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ ... وَكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

يُريدُ بكَ الحُسّادُ مَا اللهُ دافِعٌ ... وَسُمْرُ العَوَالي وَالحَديدُ المُذَرَّبُ[6]

وَدونَ الذي يَبْغُونَ ما لوْ تَخَلَّصُوا ... إلى المَوْتِ منه عشتَ وَالطِّفلُ أشيبُ[7]

١ قوله : فضل أي فضلة ، يعرض في هذا البيت بتقاضي آماله منه لأنه كان يسوفه .

٢ يقول وهبتني على قدر كرم الزمان وأنا أطلب منك على قدر كرمك .

٣ تنط تعلق وتفوض

٤ العنقاء: طائر لا وجود له يضرب به المثل في الشيء الذي يسمع ولا يرى ، أراد بذلك شدة بعد أهله عنه بحيث لا يرجو لقاءهم

٥ يقول إن لم يكن إلا لقاء أحد الفريقين فلقاؤك أحلى عندي وأعذب .

٦ المذرب المحدد، يعني به السيوف . أي يريد بك حسادك السوء والله يدفعه عنك والرماح والسيوف .

٧ يبغون يطلبون . ما مبتدأ مؤخر خبره دون . أي دون ما يطلبون من زوال ملكك أهوال فلو تخلصوا منها إلى الموت لبقيت أنت وشابت أطفالهم من شدة ما يرون .

إذا طَلَبوا جَدواكَ أعطوا وَحُكِّموا ... وَإن طلَبوا الفضْلَ الذي فيك خُيِّبوا[1]

وَلَوْ جازَ أن يحوُوا عُلاكَ وَهَبْتَهَا ... وَلكِنْ منَ الأشياءِ ما ليس يوهَبُ

وَأظلَمُ أهلِ الظّلمِ مَن باتَ حاسِداً ... لِمَنْ بَاتَ في نَعْمائِهِ يَتَقَلَّبُ

وَأنتَ الذي رَبَّيْتَ ذا المُلْكِ مُرْضَعاً ... وَلَيس لَهُ أمٌّ سِواكَ وَلا أبُ[2]

وَكنتَ لَهُ لَيْثَ العَرِينِ لشِبْلِهِ ... وَمَا لكَ إلاّ الهِنْدُوَانيّ مِخْلَبُ[3]

لَقِيتَ القَنَا عَنْهُ بنَفْسٍ كريمَةٍ ... إلى الموْتِ في الهَيجا من العارِ تَهرُبُ[4]

وَقد يترُكُ النّفس التي لا تَهابُهُ ... وَيَخْتَرِمُ النّفس التي تَتَهَيَّبُ[5]

وَمَا عَدِمَ اللاقُوكَ بَأساً وَشِدّةً ... وَلَكِن مَنْ لاقَوْا أشَدُّ وَأنجَبُ[6]

ثَنَاهم وَبَرْقُ البِيضِ في البَيضِ صَادقٌ ... عليهم وَبَرْقُ البَيضِ في البِيضِ خُلَّبُ[7]

سَلَلْتَ سُيوفاً عَلّمتْ كلَّ خاطِبٍ ... على كلِّ عُودٍ كيفَ يدعو وَيخطُبُ[8]

وَيُغنيكَ عَمّا ينسبُ النّاسُ أنّهُ ... إلَيكَ تَنَاهَى المَكرُماتُ وَتُنسَبُ[9]

١ الجدوى العطية حكموا أي جعل لهم الحكم في ذلك .

٢ يريد بذي الملك ابن الإخشيد

٣ أي أن الأسد يحمي شبله بمخالبه وأنت حميته من الأعداء بسيفك

٤ الهيجا الحرب ، تمد وتقصر

٥ ضمير يترك للموت يخترم يهلك

٦ يقول الذين لقوك في الحرب لم يعدموا الشجاعة إلا أنك أشجع منهم فقهرتهم .

٧ ثناهم ردهم البيض بالكسر السيوف ، وبالفتح الخوذ الخلب من البرق الكاذب الذي لا مطر فيه

٨ العود المتبر

٩ أنه وخبرها فاعل يغنيك . تناهى أي تتناهى .

وَأيُّ قَبيلٍ يَسْتَحِقّكَ قَدْرُهُ مَعَدٌّ بنُ عَدنانٍ فِداكَ وَيَعرُبُ[1]

وَمَا طَرَبي لمّا رَأيْتُكَ بِدْعَةً لقد كنتُ أرْجُو أنْ أرَاكَ فأطرَبُ[2]

وَتَعْذُلُني فيكَ القَوَافي وَهِمّتي كأنّي بمَدْحٍ قَبلَ مَدْحِكَ مُذنِبُ

وَلَكِنّهُ طالَ الطّريقُ وَلَم أزَلْ أُفَتّشُ عَن هَذا الكَلامِ وَيُنْهَبُ[3]

فشَرّقَ حتى ليس للشّرْقِ مَشرِقٌ وَغَرّبَ حتى ليسَ للغرْبِ مَغْرِبُ[4]

إذا قُلْتُهُ لم يَمْتَنِعْ مِن وُصُولِهِ جِدارٌ مُعَلًّى أوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ[5]

١ القبيل الجماعة . أي أنت أهل قدراً من كل قبيل

٢ البدعة الأمر الذي يكون أولا

٣ يقول طال تنقلي في البلاد حتى وصلت إليك ولم أزل في أثناء ذلك أكلف المديح فينهب كلامي .

٤ أي سار كلامي شرقاً حتى انتهى إلى حيث لا شرق ولا غرب كذلك

٥ الخباء الخيمة المطنب بالأطناب وهي حبال تشد بها أوتاد الخيمة ونحوها يعني أن شعره قد سار في الأرض حتى عم سكان المدن وسكان الخيام .

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

اتصل بأبي الطيب أن قوماً نعوه
في مجلس سيف الدولة بحلب فقال
ولم ينشدها كافوراً

بِمِ التَّعَلُّلُ لا أَهْلٌ وَلا وَطَنٌ ... وَلا نَدِيمٌ وَلا كأسٌ وَلا سَكَنُ[1]
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذا أنْ يُبَلِّغَنِي ... مَا لَيس يبْلُغُهُ من نَفسِهِ الزَّمَنُ[2]
لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاّ غَيرَ مُكتَرِثٍ ... ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدَنُ
فَمَا يُدِيمُ سُرُورٌ ما سُرِرْتَ بِهِ ... وَلا يَرُدُّ عَلَيكَ الفَائِتَ الحَزَنُ
مِمّا أضر بأهْلِ العِشْقِ أنّهُم ... هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدّنْيَا وَما فطِنوا
تَفنَى عُيُونُهُمُ دَمْعاً وَأنْفُسُهُم ... في إثْرِ كُلِّ قَبيحٍ وَجهُهُ حَسَنُ[3]
تَحَمّلُوا حَمَلَتْكُمْ كلُّ ناجِيَةٍ ... فكُلُّ بَينٍ عَلَيّ اليَوْمَ مُؤْتَمَنُ[4]
ما في هَوَادِجِكم من مُهجَتي عِوَضٌ ... إنْ مُتُّ شَوْقاً وَلا فيها لهَا ثَمَنُ[5]
يَا مَنْ نُعِيتُ على بُعْدٍ بمَجْلِسِهِ ... كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النّاعونَ مُرْتَهَنُ[6]

١ التعلل التلهي بالشيء وقوله لا أهل أي لا أهل لي السكن الخليل تسكن إليه وتستأنس به
٢ أي اطلب من الزمان استقامة الأحوال وهو لا يبلغ هذا من نفسه لأنه لا يستقيم على حال
٣ يقول تفنى عيونهم من البكاء وأنفسهم هائمة وراء كل قبيح الخصال إلا أن وجهه حسن
٤ تحملوا ارتحلوا الناجية الناقة السريعة يعني أنه ما عاد يبالي بفراق أحد
٥ يقول إذا أتلفت روحي لا أجد في هوادجكم ما يعوضني عنها ولا فيها ثمن لها .
٦ يقول كل أحد مرتهن بالموت فلا يفرح أحد بمعي الآخر .

كمْ قد قُتِلتُ وكم قد متُّ عندَكُمُ ... ثمّ انتفَضْتُ فزالَ القبرُ والكفَنُ

قد كانَ شاهَدَ دَفني قبلَ قولهِمِ ... جَماعَةٌ ثمّ ماتُوا قبلَ مَن دَفَنوا

مَا كلّ ما يتَمَنّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تجرِي الرّياحُ بمَا لا تَشتَهي السّفُنُ[1]

رَأيتُكُم لا يَصُونُ العِرْض جارُكمُ ... وَلا يَدِرّ على مَرْعاكُمُ اللّبَنُ[2]

جَزاءُ كُلّ قَرِيبٍ مِنكُمُ مَلَلٌ ... وَحَظُّ كُلّ مُحِبٍّ منكُمُ ضَغَنُ

وَتَغضَبُونَ على مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ ... حتى يُعاقِبَهُ التّنغيصُ وَالمِنَنُ[3]

فَغَادَرَ الهَجْرُ ما بَيني وَبينَكُمُ ... يَهماءَ تكذِبُ فيها العَينُ وَالأُذُنُ[4]

تَحْبُو الرّوَاسِمُ مِن بَعدِ الرّسيمِ بِهَا ... وَتَسألُ الأرْضَ عن أخفافِها الثّفِنِ[5]

إنّي أُصَاحِبُ حِلمي وَهْوَ بي كَرَمٌ ... وَلا أُصاحِبُ حِلمي وَهوَ بي جُبُنُ[6]

وَلا أُقيمُ على مَالٍ أذِلّ بِهِ ... وَلا أَلَذّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ[7]

سَهِرْتُ بَعد رَحيلي وَحشَةً لكُمُ ... ثمّ استَمَرّ مريري وَارْعَوَى الوَسَنُ[8]

١ أي هم يتمنون موتي والأمور لا تدرك بالتمني ، ثم ضرب لهم السفن مثلا

٢ يقول: من جاوركم لا يقدر على صون عرضه عندكم لأنه يشتم فلا تبالون بشتمه والشطر الثاني مثل .

٣ التنغيص تكدير العيش . المنن جمع منة عد ما صنع معه من الإحسان .

٤ اليهماء الأرض التي لا يهتدى فيها الكثيرة المخاوف ، أي ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات ما لا حقيقة له لكثرة ما يتخيل فيها

٥ تحبو تمشي على يديها ورجليها الرواسم الإبل التي تمشي الرسيم وهو السير السريع الثفن ما مس الأرض من أعضاء البعير إذا برك يقول إن الأرض تبري أخفاف الإبل فتحبو على ثفناتها وذلك لطول السير

٦ أي أحلم ما دام حلمي يعد كرماً وإذا كان يعد جبناً فلا أحلم

٧ الدرن الوسخ .

٨ قوله استمر مريري أي قويت بعد ضعف . ارعوى ارتدع الوسن : النعاس .

وَإِنْ بُلِيتُ بوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ فإنّني بفِراقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ[1]

أبْلِي الأجِلّةَ مُهْرِي عِندَ غَيرِكُمُ وَبُدِّلَ العُذْرُ بالفُسطاطِ وَالرَّسَنُ[2]

عندَ الهُمامِ أبي المِسكِ الذي غرِقَتْ في جُودِهِ مُضَرُ الحَمراءِ وَاليَمَنُ[3]

وَإِنْ تأخّرَ عَنّي بَعضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخُّرُ آمَالي وَلا تَهِنُ[4]

هُوَ الوَفِيّ وَلَكِنّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ[5]

١ مثله أي مثل فراقكم قمن جدير يقول إن بليت من كافور بود ضعيف مثل ودكم فحق لي أن أفارقه كما فارقتكم

٢ الأجلة ما تلبسها الدواب العذر جمع عذار وهو ما سال على خد الفرس من اللجام . الفسطاط اسم مدينة مصر يقول طال مقامي بمصر حتى بليت عدة مهري وبدلت بغيرها .

٣ الهمام العظيم الهمة جوده كرمه أي هم العرب كلها بذلك

٤ تهن تضعف .

٥ يبلوها يختبرها .

فهرس

صفحة		بأقلام
٥	أبو الطيب المتنبي : سطور من صفحات حياته	بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد
٦	شخصية المتنبي في شعره	« الدكتور محمد حسين هيكل
١١	سر الاحتفال بالمتنبي	« الاستاذ أحمد بحرم
١٦	من شاعر الى شاعر : قصيدة	« « احمد امين
١٨	هل كان المتنبي فيلسوفا ؟	« « خليل مطران
٢٤	ابو الطيب المتنبي كان عبقريا ، ولكن . .	« « على الجارم
٢٨	الشاعر أبو الطيب	« الدكتور زكي مبارك
٣٣	الدسائس بين المتنبي والصاحب بن عباد	« الاستاذ ساي الكيالى
٣٧	عبرة الشباب من المتنبي	« « عيسى اسكندر المعلوف
٤٠	من نوادر المتنبي	« « شفيق جبرى
٤٢	حياة المتنبي حياة متعبة ممزوجة بالدم	« « أنيس مقدسي
٤٥	الوصف في شعر المتنبي	« « شوكت التوني
٤٩	ابو الطيب في مصر	« « حسن محمد الهواري
٥٣	الحياة الفنية في عصر المتنبي	« الاستاذين عبد الرحمن صدقي وطاهر الطناحي
٦١	جنون العظمة في المتنبي	
٧٢	من حكم أبي الطيب	
٧٣	المتنبي بين محاسنه ومباذله	بقلم الامير شكيب ارسلان
٧٩	أبو الطيب تاجر من تجار الأدب	« الاستاذ سليم عبد الاحد
٨٥	بين المتنبي وبعض الشعراء	
٨٦	شهرة المتنبي شهرة العظمة والفن الخالد	« « محمد محمد توفيق
٨٩	هل كان المتنبي متديناً ؟	« « على أدهم
٩٣	نفسية المتنبي	« « محمد مظهر سعيد
٩٩	الغموض في شعر المتنبي	« الاستاذين البرقوق وفقولا الحداد
١٠٤	عصر المتنبي عصر اضطراب وفتن	
١١١	– ٢٧٠ شعر أبو الطيب المتنبي	